الصَّبر مُفتاح التحدِّي

أ د. عقيل حسين عقيل
أستاذ التنمية البشريَّة والخدمة الاجتماعيَّة
جامعة طرابلس كلية الآداب

2024م

(قُل النَّصيحة إذا كُنتَ ناصحًا بلا إكراه، ولا تُبالغ في قولها؛ فَحِمْلُها ثقيل، وقلَّةٌ مَنْ يَحْمِلُونَه؛ فإن بالغت في قولها فقدّت مَنْ تظن أنَّك له ناصحٌ).

(اعلم أنَّ الصِّعابَ كفيلةٌ بهزيمة الكلّ إلَّا المتحدِّي لها صمودًا؛ فإنَّها أمامه لا تصمد؛ فكن متحديًا تأتيك الصِّعاب طائعةً).

د. عقيل حسين عقيل

2024م

جدول المحتويات

المقدِّمةُ.. 5

الصَّبرُ فضيلة التحدِّي عملًا 8

الصَّبر تحدّي صِّعاب:.. 24

الصَّبرُ تحدٍّ منبعُ أملٍ: 36

الصّبرُ تحدٍّ يُولد من الأمل أملًا: 43
الصَّبرُ يتطلّب إرادة: 52
الصَّبرُ إرادة مصدر قوَّة: 58
الصَّبرُ على الإرادةِ تحدِّيًا:.. 61
تحدّي الصِّعاب صبرًا يمكِّن من بلوغ الغايات:............................ 65
تحدّي الصِّعاب صبرًا والغاية مأمولة:..................................... 72
الصَّبر تحدّيًا يُمكِّن من بلوغ الخوارق: 78
التأهُّب صبرًا تحدّي صِعاب: 87
التأهُّبُ صبرًا يُمكِّنُ مِنَ الفعلِ:...................................... 93
الفعلُ مِنْ بعدِ صبرٍ وتحدٍّ: 96
الصَّبرُ على أداءِ الفعل: 103
الصَّبرُ على الارتقاء بالفعل: 104
الحوافز تدعم أفعال الصَّابرين:....................................... 110
العمل نجاحٌ (الإمكاناتُ والصَّبر): 118
الصَّبرُ يصنعُ المستقبل:.. 124
الصَّبرُ مِن أجلِ نيل المأمول يبوء المكانة:............................... 139
الصَّبرُ تحدٍّ يكسر القيود:.. 142
الصَّبر تحدّيًّا يتجاوز بأصحابه الدُّونيَّة:.................................. 159
الصَّبر يُمكِّن مِن تحدّي المخاطر: 165
تحدّي الصّعاب صبرًا يكشف المجهول:.................................. 167
الصَّبر على تحدّي الصِّعاب شجاعة: 171
الصَّبرُ درايةً:... 177
الميلُ عن الدِّراية حياد عن الصَّبرِ: 187

الصَّبرُ يكسرُ أوهامَ الخوف:... 191
الصَّبر تحدٍّ يكسرُ أوهام العقل: 200
فضيلة الصَّبر ونعمه: 207
فوائد الصَّبر عديدة، ومنها:.. 216
تجلِّياتُ رحمته تعالى في صبره: 219
المؤلِّفُ في سطورٍ 230
صدر للمؤلّف... 232
المؤلَّفاتُ المنشورة.. 235

المقدِّمةُ

الصَّبرُ قيمة موجبة، ولا يكون ذا قيمة موجبة إلَّا على الحقِّ أو من أجل إحقاقه؛ ولذا ليس للصَّبرِ علاقة بالتراخي والاعتماد على الغير، وليس الصَّبر كما يظنَّه البعض يأتي دون خيار (هكذا كرهًا)، وليس هو ذلك المقتصر على الضَّرورة القهريَّة، بل في حقيقته لا يكون إلَّا خيارًا وعلى رأس الاختيارات الموجبة؛ ذلك لأنَّ الصَّبر هو المفتاح الذي يُمكِّن مستخدميه من قبول التحدِّي عندما تحدث المواجهات مع تلك الصِّعاب التي تستوجب تفكيرًا معمَّقًا درايةً ووعيًا واستنارةً.

ولأنَّ الصَّبر قيمة موجبة وفضيلة حميدة أكَّد الله عليه في كثيرٍ من آياته الكريمة؛ ذلك لأنَّ أهل الصَّبر دائمًا في معيَّة الله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاة إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}[1]، وقال تعالى: {وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ}[2]؛ ولذا فمن يكن الله معه فَلِمَ لا يصبر، أَلَا يريدُ هذه المعيَّة التي لا تُعطى إلَّا محبَّةً مِنَ الله الصَّبور؛ وهكذا قال: {وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ}؛ ومن هنا فإذا كان صبرك بالله فمن يستطيع أن يخاصمك في صبرك وتحديك، أو يستطيع أن يكسر صبرك بالله؟ ولهذا فمن يصبر باسم الله فلا شكَّ أنَّ صبره لن يكون صامدًا إلَّا بعزَّة الله.

ولأنَّ الصَّبر صفة مِن صِفات الله تعالى؛ فَلِمَ لا يتمّ الاتصاف به محبَّة لِمن جعل الصَّبر صفة من صفاته الحسنى؟ ثمَّ جعل

---

[1] البقرة 153.

[2] النحل 127.

معيَّته مع من يتَّصف بصفة الصَّبر تحدّيًا للصِّعاب، وهي التي مهما عظمت لا تستطيع الصّمود أمام متحدّيها صبرًا.

وإذا تبيَّنا القرآن تدبُّرًا لاستوقفتنا آياته مفاتيح من بعد مفاتيح، وبداية نقول: ألم تكن البسملة مفتاحًا رئيسًا تُدخل قائلها يقينًا أينما شاءوا بسلام وتخرجهم متى ما شاءوا بسلام؟ أم هناك شكٌّ في أنَّ الإقدام على الأشياء باسم الله مفتاحٌ لا يعدّ أكبر تحدٍّ للصِّعاب التي تحول بين الإنجاز ومن يقدم عليه باسم الله؟

لا شكَّ أنَّ كلّ الصِّعاب التي تذلل باسم الله مفتاحٌ. ثمَّ ألا يكون قول الرَّسُول محمَّدٌ عليه الصَّلاة والسَّلام: (أسلم تسلم) من أكبر المفاتيح التي فتحت أبواب القياصرة، والأكاسرة، والأباطرة، والملوك، وكلّ الأبواب التي كان يختبئ من ورائها المتكبِّرون على العباد ظُلمًا؟ وكذلك ألا يكون قوله تعالى: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ}[3] من أكبر المفاتيح التي تتضمَّن مفهوم الصَّبر على من لم يأخذ بدين التوحيد الذي جاء به محمَّد رَسُولًا مرسلًا؟ فمضمون قوله: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} إعطاء فرص للانتظار، وفي هذا الشَّأن كمَن يقل لك: انتظر وستعرف أيَّ دِّينٍ سيعم الكَّافة، هل هو الدِّين الذي جاء به محمَّدٌ رسولًا للكافَّة، أم تلك الرِّسالات التي جاء محمَّدٌ بخواتمها؟

ألمْ يكن قوله تعالى: {أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاس حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}[4] من أكبر المفاتيح التي تَعطي الفرص للعقول بأنْ تختار عن تأنٍّ ورغبة وإرادة بعد أنْ تتبيّن وبلا إكراه؟ ولذا فمن كان صبره بالله الواحد القهَّار هل هناك من يستطيع أنْ يكيد له أو يقهره؟

---

[3] الكافرون: 6.

[4] يونس: 99.

ألم يكن قوله جلَّ جلاله: {اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ}[5] من أعظم المفاتيح التي تُمكِّن أصحاب الصَّبر مِن إعطاء الفرص للغير، وتقطع الطُّرق أمامهم متى ما حاولوا أن يلهوا رسول الله فيما يقولون؟! أي: ألم تكن من أعظم مفاتيح التجاوز عن كلِّ الترّهات التي تضيع وقت من يلهوا في الرَّد عليها أو حتى التوقُّف عندها؟! ولذا فعندما يقول من يقول ما يقول فيك ما ليس فيك؛ هل يلحقك شيءٌ مما يقال فيك؛ ومن هنا فلا تَعر اهتمامًا لما يقال فيك بغير حقٍّ أيَّة أهميَّة ولا أيَّ اهتمامًا.

ألم يكن قوله عزَّ وجلَّ: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ}[6] من أعظم المفاتيح التي تدلُّ على أنَّ الصَّبر هو الذي جعل أولئك الرُّسُل الكرام أولي عزم؟ أي: ألا يكون هذا القول الكريم مفتاحًا ميسّرًا لمن شاء أن يستخدمه في مرضاة الله تعالى؟

ألم يكن قوله تعالى: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ}[7] من أهم المفاتيح التي تفتح أمام قائليها وعيًا ودرايةً وعن قلبٍ كلّ أبواب الزِّيادة من النِّعم التي لا تُحصى؟

ألم يكن قوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ}[8] من المفاتيح الرّئيسة التي تمدُّ قائليها عن اعترافٍ بالطّمأنينة وتحرّر قائلها من الولاء لغير الله تعالى؟

هذه التساؤلات تدلُّ على أنَّ جميع آيات القرآن الكريم هي مفاتيح، ويا ليتنا نأخذها مفاتيح حتى نرى المعجزات مُحاطة

---

[5] ص: 17.
[6] الأحقاف: 35.
[7] إبراهيم: 7.
[8] الأنعام: 1.

بالمعجزات التي يحوطها المعجز الذي لا تستمدّ صفة حُسنى إلَّا من صفاته.

أ د. عقيل حسين عقيل

أستاذ التنميَّة البشريَّة والخدمة الاجتماعيَّة

جامعة طرابلس كلية الآداب

2024م

الصَّبرُ فضيلة التحدِّي عملًا

الصَّبر فضيلة من فضائل الله على مَنْ شاء لهم أن يكونوا مجعولون خُلفاء في أرضه؛ ولأنَّها فضيلة حميدة فالأخذ بها لا يكون إلَّا في مرضاته تعالى؛ ولذا جعل الله للصّابرين معيَّة معه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبر وَالصَّلاة إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}[9]. والمعيّة هنا جاءت للخاصّة وهم (الذين آمنوا)، ولكن أيَّة مؤمنين؟ إنَّهم الصَّابرون.

[9] البقرة: 153.

وفي مقابل معيَّة الله مع الصَّابرين، لا معيَّة مُعينة له مع أولئك الذين لا يصبرون على الحقِ ويعملون من أجل إحقاقه؛ ومن ثمَّ لا يستوي من يكون في معيّة الله مع الذين ليس لهم معيَّة معه؛ ولهذا فلا نصر لمن لا معيَّة لهم مع الله على من هم في معيَّته.

ومن هنا فإنَّ معيَّة الله سواء أكانت خاصَّة أم عامَّة هي معيَّة مناصرة وتعزَّيز قوَّة قاهرة لأيَّة قوَّة مهما عظمت؛ مصداقًا لقوله تعالى: {قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى}[10]. إنَّها معيَّة المناصرة والمؤازرة لموسى وهارون، وهي المعيَّة التي جعلت من موسى وهارون على الصَّبر؛ الذي به تحقَّق ما كانا يأملان؛ وفقًا لمشيئة الله في مواجهة فرعون؛ وذلك من خلال صبرهم على قبول التحدِّي الذي به قُهِرَ فرعون، ونُصر موسى وهارون عليهما الصَّلاة والسَّلام؛ قال تعالى: {فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ}[11]. ما أعظم الوعي بالثّقة المطلقة بين المخلوق والخالق: {قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ}؛ إنَّه قول موسى عليه الصَّلاة والسَّلام؛ الذي لم يراوده الشَّكّ ولا الظّنَّ في صبره على الحقِ ومعيَّة الله له ومناصرته.

وهكذا دائمًا معيَّة الله مع رُسُله وعباده الصَّالحين مستمرّة مع استمرار صبرهم على الحقِ ومن أجل إحقاقه: {إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى

---

[10] طه: 46.

[11] الشعراء: 61 – 63.

وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عزَّيزٌ حَكِيمٌ}[12]، يفهم من هذه الآيات الكريمات أنَّ المصاحبة بين الرَّسُول وأبي بكر كانت في معيَّة الله؛ ولأنَّها في معيَّة الله فلا خوف؛ ولذا وجب الصَّبر على المعيَّة التي لا تُقهر ولا تُهزم: {لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا}، ومفهوم كلمة: {لا تحزن} جاء بمعنى (اصبر ولا تقلق، ولا تخاف، ولا تتحسَّر)؛ ولما علم أبو بكر من رسول الله أنَّهما في معيَّة الله اطمئن قلبه {فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ}، وبعد إنزال السّكينة عليهما زادهما الله في النَّفس بسطة؛ حيث التأييد بجنود يناصرون رسول الله من عند الله {وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا}؛ فكانت كلمة الله على لسان محمَّد رسول الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السُّفلى.

وبما أنَّ مَنْ يصبر على الحقِّ لا بدَّ وأن يكون في معيَّة الله تعالى؛ إذن فمن يكون الله معه لا يحزن، ولا يخاف؛ قال تعالى: {قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ)، وقال: {إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى}، وقال: {لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} كلّ هذه الآيات العظيمة محطات من المعيَّة كلّ واحدة منها أعظم من أختها.

وممَّا يُفهم من قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبر وَالصَّلاة إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} يفهم إنَّها بالنّسبةِ إلى المؤمنين:

إنَّها تبشيريَّة: تبشرهم بأنَّ الاستعانة بالصَّبر والصَّلاة تجعلهم في معيَّة خاصَّة مع الله تعالى.

إنَّها تحريضيَّة: تحثهم على الإقدام على كلِّ ما من شأنه أنْ يجعلهم على الحقِّ صابرين وعلى الصَّلاة.

---

[12] التوبة: 40.

إنَّها وعظيَّة: تُمكّن من الإدراك الواعي مع وافر التيقُّن، وهي قيمة للتواصل من أجل الإرشاد للحقّ والهداية إليه، ومع أنَّ الموعظة لا تكون إلَّا في الكلمة الحاملة لها مِن مُرسل إلى مستقبل، إلَّا أنَّه إذا أُخذ بها كانت السَّبب في إصلاح الأحوال على أرض الواقع في علاقات حميدة بين المخلوقين والخالق.

ولذا فالموعظة فعل مُترتِّب على فعل النُصح وهي التي عليها يكون حال الموعوظ بعد أن يأخذ بالنَّصيحة التي سبق أن قُدِّمت إليه أو نُصح بها وفقًا لعلم مسبق، ومع أنَّ الإنسان في كثيرٍ من الأحيان هو في حاجة لمن يعظه، إلَّا أنَّه قد يكون رافضًا للموعظة إنْ لم تكن بالتي هي أحسن؛ ولهذا أمر الله تعالى رسوله الكريم بأن يدعو في سبيله -عزَّ وجلَّ-النَّاس بالحكمة والموعظة الحسنة؛ مصداقًا لقوله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ}[13].

والموعظة فضيلة حميدة أكثر من كونها نصيحة؛ فالنَّصيحة يمكن أن يؤخذ بها أو لا يؤخذ، ولكن الموعظة واجب الأخذ بها؛ لأنَّها لا تكون إلَّا من أجلك وفي مرضاة الله.

إنَّها قيمة وثوقيَّة: إنَّ الأخذ بالقيم الوثوقيَّة والتمسّك بها والتسليم بنتائجها إيمانًا، لا نقول: إنَّها سبب لجلب السَّعادة فحسب، بل إضافة إلى ذلك سبب لدفع موانع السَّعادة أيضًا؛ ذلك أنَّ المؤمن يعلم أنَّه مبتلى في حياته، وأنَّ هذه الابتلاءات تعدُّ من أسباب الممارسة الإيمانيَّة فتتكوّن لديه المعاني المكوّنة للقوى النَّفسيَّة المتمثِّلة في الصَّبر والعزم والثّقة بالله والتوكّل عليه والاستعانة به والخوف منه، وهذه القيم تُعدُّ من أقوى الوسائل لتحقيق الغايات النَّبيّلة في الدُّنيا، دون النَّظر لمقارنة المصائب بين مؤمنٍ وكافرٍ؛ لأنَّ هذه المقارنة تسقط الأجر

---

[13] النحل: 125.

وتخرج الإنسان من القيم الوثوقيَّة والإيمان بها؛ فالله تعالى يقول في محكم التنزيل: {وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا}[14].

إنَّ هذه القيم ليست مفردات عقيدة فحسب، بل هي هداية إلى منهج واقعي، ينظّم الجانب الرُّوحي كما ينظّم الجانب المادِّي؛ لأنَّ الإنسان مكوّن من جسد وروح، فلا يدع أحدهما ينمو ويترعرع على حساب الآخر؛ فهذه القيم دعوة إلى معرفة جزء مهم في طريقة الوصول إلى حياة كريمة بصورها وأشكالها المختلفة ضمن إطار من الحقّ والخير في التسليم، وهذه هي الوثوقيَّة، وهي كذلك دعوة إلى بعض المنابع التي تحيي القلوب والعقول، وتنقذها من بعض الخلط بين المفاهيم، إضافة إلى أنَّها تحمل منهجًا فكريًّا وعلميًّا لا يحكمها قيد سوى قيد ضوابط الشّرع وقيمه التي جاء بها الشّارع عزَّ وجلَّ.

إنَّها قيمة مناصرة: إنَّ قيم المناصرة وإن كانت جزءًا من الفضائل والقيم القرآنيَّة فإنَّها ذات خصوصيَّة؛ وذلك من حيث الاشتراك والافتراق، ومن حيث النسبيَّة والمطلقيَّة، ومن حيث الحقّ والباطل، فالولاية مثلًا قيمة لا تختصّ بمؤمن أو كافر، ولكلّ مِن المؤمن والكافر وليَّهُ، ولكن هذا الولي كيف ينصر وليَّه؟ وفي أيِّ اتجاه ينصره؟ وهل هذا النَّصر مدعاة للمذلّة أم للتفاخر؟ فهنا يكون مربط الفرس كما يقولون ومبلغ الغاية؛ ففي قوله تعالى: {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[15]. نجد في هذه الآية أنَّ قيمة الولاية من جانب المناصر متوافرة لدى

---

[14] النساء: 104.

[15] - البقرة: 257.

الطَّرفين، ولكن يبقى السُّؤال: هل الولي الذي يخرج من الظُّلمات إلى النُّور كالولي الذي يخرج من النُّور إلى الظُّلمات؟ وهنا تكمن قيمة هذه القيم في إظهار الدَّلالة وتوضيح مفاهيم المناصرة في اتجاه نصرة الحقّ وعلى الحقّ ومع الحقّ.

ولهذا فإنَّ قيم المناصرة لا تختلف عن غيرها من القيم التي تناولناها في كُتبنا السَّابقة من حيث كونها قيمًا، وإنَّما الاختلاف يكون في خصوصيَّة هذه القيم التي تحتويها من حيث التخصيص أو التعميم؛ فإن كانت القيمة خاصَّة كالاجتباء والاصطفاء التي تجسّدت في الأنبياء والمرسلين صلى الله عليهم وسلّم، وجب اتباع من اتّصفوا بهذه القيم، واتّخاذهم قدوة وأسوة حسنة؛ كون العموم لا يمكن أن يكونوا من المجتبين أو المصطفين، وإن كانت قيم عامَّة وهي كثيرة، وجب الاتّصاف بها والعمل على نشرها حتى تكون منهلًا للفكر وطريقًا للسُّلوك؛ لأنَّ هذه القيم وإن اختلفت مسمّياتها بين: قيم إقداميَّة، وقيم تأييديَّة، وقيم مناصرة؛ فأنَّها جميعًا تصبُّ في الاتجاه التقويمي للأنفس والأخلاق معًا، فتدفع بالإنسان إلى السّمو النَّفسي عن الدَّنايا، وإلى الرُّقي الأخلاقي في التعامل والسُّلوك.

إنَّ قيم المناصرة تتمثّل في أمور كثيرة؛ منها: الصَّبر {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} إلَّا أنَّ أعظم المناصرات تتجسّد في المواقف التي تعبّر عن القيم لهذه المناصرة أو تلك، سواء أكان المناصر داخل الموقف ويعيش أحداثه كمؤمن آل فرعون؛ مصداقًا لقوله تعالى: {وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَّبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ}[16]، أو إنَّه سعى إلى الحدث بنفسه مناصرة للحقّ (كمؤمن آل يس)؛ حيث نجده تحرَّك في

[16] - غافر: 28.

مناصرةٍ وموقفٍ عظيمين؛ قال تعالى: {وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرا وَهُمْ مُهْتَدُونَ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَة إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئا وَلَا يُنْقِذُونِ إِنِّي إِذا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ قِيلَ ادْخُلِ الجنَّة قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِين}[17]. وللتأكيد على موقف المناصرة جاءت لفظة {رجل} منكّرة؛ لأنَّها ليست هي القضيَّة، وإنَّما القضيَّة في الموقف الذي جسّده {رجلٌ}؛ ليظهر قيمة واجبة الاتباع في اتخاذها موقفًا، حتى أنَّ صياغة صورة الحدث لم تُعرْ اهتمامًا للرّجل، ولكنَّها أكّدت على القيم من المناصرة؛ إذ نستشعر أنَّه رجلٌ جاء من مكان ليس بالقريب؛ لأنَّه كان يسعى، فهو يسرع في مشيته؛ للوصول إلى مسرح الأحداث صابرًا وجادًّا مجتهدًا؛ وذلك في مبادرة منه لمناصرة المرسلين، ففي هذه القيم يغيب الزَّمان والمكان والتوقيت، وعلى هذا كان سعيه من أجل القيمة التي لم يحدّها مكان ولا زمان ولا وقت، بل سعى ووصل في الزَّمان والمكان المناسبين، وعرض رأيه في القضيَّة، وانتصر لهؤلاء الرُّسُل ضدّ رغبة قومه، وعبَّر لهم برأيه عن قيمةٍ وجب اتباعها؛ كونها لا تنافي الحقّ والعدل والعقل والأخلاق، وكلّ ما يدعو إلى هذه المعطيات والفضائل الحميدة والقيم الخيّرة؛ فهو يمثّل قيمة لا تنافي العقل والمنطق، وكلّ ما لا ينافي العقل والمنطق إنْ نفع أحدًا فلا يضرّ آخر.

وعليه: كلّ ما ينفع ولا يضرّ أصبح الأخذ به واجبًا، أمَّا تركه فاتهامًا للعقل، ومن هنا كلّ فضيلة أو قيمة حميدة وجب الأخذ بها، ومن ثمَّ فالمناصرة لا تكون إلَّا على حقٍّ وبالحقٍّ.

---

[17] - يس: 20- 27.

إنَّها تهيّؤيَّة: والتهيّؤ هو الخطوة الأولى التي تلفت الإنسان إلى نفسه متى ما غفل أو جهل؛ ولأنَّ التهيّؤ يقظة بعد غفلة؛ فهو لا يكون إلَّا من أجل حاجة تشبع رغبة وتُحفّز على ما يجب، وهو صّحوة العقل والفكر لما ينبغي أن يوليه اهتمامًا، به تتولَّد الفكرة من الفكرة، والحُجَّة من الحجَّة، والبرهان من البرهان، إنَّه منبع الأمل المولّد لقيمة التفاني في العمل والإخلاص فيه طاعة لأمر الخالق؛ ومن هنا فالتهيّؤ ما هو إلَّا تجاذب بين المتوافقات والمتباينات في آن واحد، ممَّا يجعل المتوافقات في أشدِّ حالات التلازم، والمتباينات في أقصى درجات الافتراق، وما بين التلازم والافتراق تصبح القوى الكامنة في حالة انتباه تجاه المرغوب فيه ممَّا يجعل التهيّؤ بإرادة مرحلّة متكاملة قبل الاستعداد والتأهُّب لأداء الفعل الذي كان مأمولًا.

إنَّها صانعة التحدّي: التحدّي فعل يتم الإقدام عليه عن وعي؛ بهدف تجاوز ما يخيف أو ما يعيق، أو بهدف القضاء عليه بغاية بلوغ المأمول العظيم ونيله، ولا يكون التحدّي قيمة إلَّا عن وثوق في النَّفس والمقدرة، وهنا تكمن قوَّة التحدّي الممكّن من تحقيق الأغراض وبلوغ الغايات ونيل المأمولات.

إنَّه قرار العقل بعد موعظة من الله تعالى أو أمر منه، أو بعد فكرة محيّرة أقنعت النَّفس؛ فأثارت إرادتها، وهيَّئتها إلى الاستعداد، وحفّزتها إلى التأهُّب، ودفعتها إلى العمل تقبُّلًا وثقة؛ فكان الإنجاز ميسّرًا بين يدي المتحدّيين.

وإنَّه لا تحدٍّ بلا إقدام على العمل في دائرة الصِّعاب، ولكن أيّ تحدٍّ؟ إنَّه التحدّي عن وعي بما يجب أخذه والإقدام عليه، وما ينبغي تجنّبه وتفادي معيقاته.

إذن: أفعال التحدّي لا بدَّ وأن تمرَّ بمرحلة مواجهة الصِّعاب، ولا يمكن أن يتحقّق الارتقاء للإنسان ما لم يقبل بتحدّي الصّعاب عائقًا من بعد عائق؛ ولهذا المتحدّون وحدهم يعرفون أنَّ نيل المأمولات العظيمة والرَّفيعة لا يتم إلَّا بعد تجاوز الصُّعوبات مهما عظمت.

وتحدّي الصِّعاب لا يتمُّ إلَّا بالقضاء على المخيف؛ ولهذا فإنَّ أوَّل مواجهة لا تكون إلَّا معه، وهذا لا يعني القضاء على الخوف، فالخوف لا سلبيَّة فيه، فهو لو لم يكن محفّزًا ما فكّرنا في القضاء على المخيف، فالخوف هو الحافز الرَّئيس للتحدّي، أي: لو لم يكن الخوف في نفوسنا ما تحدينا الصِّعاب، وما قدمنا على عملٍ به نبلغ المستقبل المأمول الذي يحول بيننا وما يمكن أنْ يداهمنا خوفًا.

وعليه: فإنَّ قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبر وَالصَّلاة إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} جاء تعظيمًا لأمرين اثنين: (الصَّبر والصَّلاة)، ومع أنَّ الله تعالى فضَّل كلّ من الصَّبر والصَّلاة فإنَّه في هذه الآية الكريمة قدَّم فضيلة الصَّبر على فضيلة الصَّلاة؛ من حيث:

ـ إنَّه -عزَّ وجلَّ-ذكر الصَّبر على وجه الخصوص أوَّلا ثمَّ تلاه بالصَّلاة.

ـ إنَّه قصر التخصيص على الصَّبر بقوله: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}.

وفي كلتا الحالتين يظلّ الصَّبر مفضَّلا والصَّلاة مفضَّلة؛ مصداقًا لقوله تعالى: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبر وَالصَّلاة وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ}[18] ففي هذه الآية الكريمة مع أنَّه -جلَّ

[18] البقرة: 45.

جلاله-جعل الصَّبر سابقًا على الصَّلاة فإنَّه خصَّ الصَّلاة بقوله: {وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ}.

ولأنَّ الصَّبر لا يكون موجبًا إلَّا في مرضاة الله؛ فوجب الصَّبر على الطَّاعات، والصَّبر على تجنّب المعاصي والمحرَّمات والانتهاء عنها، وفي المقابل لا صبر على الاستسلام للباطل، بل الصَّبر على التحدّي وحده المنقذ.

وعليه: فالصَّبر حقّ؛ ولأنَّه حقّ فالأخذ به حقّ؛ ولذا فمن لا يأخذ بالحقّ سيكون على الباطلِ؛ ولهذا يعد الصَّبر قوَّة تمسّك بالحقّ، وليس بقوَّة البقاء على الباطلِ؛ ومن هنا فلا صبر على باطلٍ؛ ولأنَّ الله مع الصَّابرين فلا مفرَّ من الفوز وتحقيق النَّصر وبلوغ المكانة الرَّفيعة التي تجعل الصَّابرين مع العليين، أمَّا غيرهم فليس لهم إلَّا السُّفليَّة والدُّونيَّة.

وبما أنَّ الله مع الصَّابرين فَلِمَ لا نصبر وكلّنا ثقة أنَّ الصَّبر على الحقّ لا يكون إلَّا في مرضاة الله؟! ومن هنا نعتقد أنَّ كلّ شيء في مرضاة الله يجعل فاعليه في معيَّة الله تعالى.

ومن هنا أيضًا نعرف يقينًا إنَّ فضيلة الصَّبر لا تستمدّ إلَّا من الصَّبور جلَّ جلَّال، ثمَّ من فضيلة الصَّبر تستمدّ نعم المصابرة والتقبُّل والتفهُّم والاستيعاب مع وافر درجات التحمُّل من أجلَّ شيء عظيم وجلَّيل؛ ولأنَّها فضيلة عظيمة أينما وردت في القرآن الكريم جاء من بعدها فرجٌ عظيم؛ ولذا فمن يقدر على هذه النِّعم يكون قادرًا على الفوز وتحدّي الصِّعاب؛ إذ بالصَّبر وقبول التحدِّي للصِّعاب تفرج كلّ الكُرب، ويتم نيل المأمولات من بعدها مكانةً وشفاءً وهيبةً وسُلطانًا وعلمًا ومُلكًا وحكمةً.

والصَّبر فضيلة حميدة؛ حيث لا تسرّع ولا قلق فيما يجب تجاه ما يجب، وهو دليل التفهّم والمقدرة على التحمّل من أجلَّ

الإقدام في الوقت المناسب على ما ينبغي الإقدام على أدائه أو فعله أو عمله.

ومفهوم الصَّبر ليس بمفهوم الانتظار والتوقّف عن العمل، أو البقاء في_الحيرة وكأنَّه لا حلّ من بعدها، أو وكأنَّ الأمور لن تنفرج أبدًا، بل مفهوم الصَّبر يرتبط بأفعال التحدِّي ارتباطًا ولا تأخير؛ إذ لا كلل ولا ملل في أثناء الصّبر على الحقِّ والاعتراف بإحقاقه والإقدام عليه؛ قال تعالى: {قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ}[19]؛ فقوله: {افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ) يعدُّ إعلان تحدٍّ للمخيف الصَّعب؛ إذ لا تردّد في نفس إسماعيل لحظة استماعه لأمر الله الذي جاء على لسان أبيه إبراهيم رؤيّة من الله تعالى، وزد على ذلك قوله: {سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ} تأكيد على قبول الفعل المترتّب على تنفيذ الرُّؤية (الذَّبح)، وكأنَّه يقول: ليست الموافقة والقبول بالفم قولًا فقط، بل أقدم يا أبتي على تنفيذ الفعل، وحينها ستجدني صابرًا بلا تردّد؛ ولذلك فقوله: {إِنْ شَاءَ اللَّهُ}، جعلت مشيئة إسماعيل في معيَّة الله تعالى، ومن هنا فمن يكن في معيَّة الله لن يصيبه مكروه، بل السَّلامة والنَّجاة هما النتيجة، وهكذا بالتمام كانت النتيجة: {وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ}[20].

في هذا المشهد الذي رسمته الرُّؤية آية من آيات الله تعالى كان الصّبر عظيمًا من الاثنين معًا: (إبراهيم وابنه إسماعيل) عليهما الصَّلاة والسَّلام؛ إذ كان صبرُ إبراهيم على ذبحِ ابنهِ، وكان صبرُ إسماعيل على قبولِ الذَّبحِ بلا تردّد؛ لأنَّ إسماعيل يعلم أنَّ أمر الذَّبح أمر من الله {افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ}؛ ولأنَّه يعلم أنَّه أمرٌ من الله، يعلم أنَّه سيكون نافذًا؛ ولهذا فلم يضع إسماعيل

[19] الصافات: 102.
[20] الصافات: 107.

نفسه في مواجهة أمر الله؛ فكان طائعًا لأمره تعالى، وبصبره على الطّاعة كانت الإجابة هي الفداء: {وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ}.

ولأنَّ الصَّبر لا يستمدُّ إلَّا مِن صِفة الله الصَّبور فلا شك أنَّ من يستمدّها عن قلبٍ لن تمسّه النَّار وإن عظم اشتعالها؛ مصداقًا لقوله تعالى: {قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ}[21]؛ فذلك إبراهيم -عليه الصَّلاة والسَّلام- الذي دعى إلى توحيد الله تعالى فكفر الكافرون به وبدعوته، ثمَّ ازداد غضبهم عليه وحقدهم بعد أن كسَّر إبراهيم تلك الآلهة التي يعبدونها من دون الله تعالى؛ فقرَّروا أن يحرقوه على مشهد من النَّاس؛ فجمعوا الحطب أكوامًا ووضعوا إبراهيم على الحطب المكوَّم، وأشعلوا النَّار في الحطبِ؛ فاشتعلت النَّار في الحطب كلّه فأكلته، ومع ذلك لم تمسّ النَّار إبراهيم بحرقٍ، بل فوق ذلك كانت النَّار بأمر الله تعالى بردًا وسلامًا على إبراهيم: {قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ}.

وعليه: فهناك علاقة قويَّة وسريعة ومجزية بين الصّبرِ والصَّابرين؛ ولذا فمن يصبر على أمر الله ويكون في مرضاته؛ كان في معيَّة الله، ومن يكن في معيَّة الله لا يمسَّهُ سوء ولا يُقهر ولا ينكسر أبدًا. ولكن أين الصَّابرون؟

أقول: إنَّهم أولئك الصَّامدون القادرون على تحدِّي الصِّعاب حتى يقهروها واحدةً مِن بعدِ أخرى.

وللتمييز بين المصابرة والصَّبر فإنَّ مفهوم المصابرة مفهوم تفوّق في البقاء على الصَّبر أكثر من الغير؛ وذلك بقوَّة المصابرة (المقاومة) في أثناء المواجهات، وهذه نعمة أعطاها الله الصَّبور لمن أمن إيمانًا راسخًا؛ حيث لا ظنون ولا شكوك من بعده؛ قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا

[21] الأنبياء: 69.

وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ}[22]. أي: إنَّ للمصابرة علاقة بقوَّة المواجهة، وتحمَّل ما تتطلّبه المقاومة، مما يستوجب بذل المزيد من الجهد مع وافر الصّمود صبرًا.

أمَّا الصّبر فعلاقته وثيقة بالموضوع المراد تحقيقه أو إنجازه أو فعله، والزَّمان والمكان المناسبان لتحقيق الموضوع الذي كان المنعم الله عليه بالصَّبر صابرًا من أجلَّه، فكثير من المواضيع تحتاج إلى زمن النّضج كالأشجار التي لا تعطي يوم غرسها ثمارًا، ممّا يجعل الانتظار لثمارها لا يخرج عن دائرة الصَّبر وقيمته المنتظرة؛ فالبناء والإعمار يحتاج إلى وقتٍ كافٍ لإنجازه؛ فلا بدَّ من الصّبر حتى يأتي وقت إنجازه، ومن يريد مغالبة الصِّعاب فعليه بالزِّراعة والصِّناعة والبناء والإعمار، وعليه بالصبر حتى يأتي يوم الحصاد، ويوم جني الثِّمار وتشييد العمار وبناء النَّهضة، ولا بدَّ أن يكون واثقًا أنَّ الثِّمار لن تكون بين يديه إلَّا بالعمل صبرًا؛ وإن لم يفعل ذلك ويقبل به صبرًا وعملًا فليس له إلَّا البقاء على الحاجة التي تقوده إلى ما لا يحمد عقباه، وهكذا دائمًا حال المتسرِّعين المستعجلين لن يأكلوا طعامًا إلَّا نيّئًا.

وعليه: فالصَّابرُ هو مَن لا قلق في نفسه، وهو الواثق من نفسه وقراراته وموقفه، وهو أيضًا المتمكِّن من استيعاب الآخرين وتقبُّلهم (هم كما هم) من أجلّ أن يُسهم في تغيير أحوالهم إلى (ما يجب أن يكونوا عليه) من الفضائل الحميدة والقيم الخيِّرة والأفعال الحِسان.

والصَّبر صفة لمن يتّصف به قولًا وفعلًا وعملًا وسلوكًا، ومع أنَّ الصَّبر صفة حميدة فإنَّه وللأسف الشديد لا يكون إلَّا بأيدي القلَّة؛ ذلك لأنَّ أمره عظيم؛ ولهذا كان صفة للأنبياء

[22] آل عمران: 200.

والرُّسُل والصدِّيقين والصَّالحين والمؤمنين الأبرار، وسيظلّ الصَّبر وسيكون فضيلة وصفة لمن استمدَّ ويستمدّ صفة صبره من الصَّبور المطلق جلَّ جلّاله.

وعليه: فإنَّ الصَّبر فضيلة حميدة وقيمة خيّرة؛ فمن تجسّدت هذه النِّعم في سلوكه وفعله وعمله كان من الموصوفين بالصَّبر الذي يضرب به المثل في التحمُّل من أجل نعم عظيمة، لا تكون إلَّا ذات مردود موجب وعظيم، ولا تكون إلَّا في مرضاة الله الصَّبور المطلق جلَّ جلّاله.

والصَّبور هو: "المعتاد الصَّبر القادر عليه وهو اسم من أسمائه تعالى، ومعناه: أنَّه لا يُعَاجِلُ العصاة بالانتقام مع القدرة عليه"[23].

وأمَّا صبر العبد فلا يخلو عن صعاب قابلة للقهر؛ ومن هنا فإنَّ معنى صبره ثبات داعي الدِّين أو العقل في مقابلة داعي الشَّهوة أو الغضب؛ فإذا تجاذبه داعيان متضادان فدفع الدَّاعي إلى الإقدام والمبادرة ومال إلى باعث التأنّي سمي صبورًا؛ هذا إذا جعل باعث العجلَّة مقهورًا وباعث العجلَّة في حقّ الله سبحانه معدومًا فهو أبعد عن العجلَّة ممّن باعثه موجود، ولكنَّه مقهور؛ فهو أحقّ بهذا الاسم بعد أن أخرجت عن الاعتبار تناقض البواعث ومصابرتها بطريق المجاهدة[24].

والصَّبور: مصدر لكلّ صبر، يستمدّ الصَّبر منه وهو لا يستمدّ من شيء؛ ومن هنا فالصَّبر دليل قوَّة العزَّيمة وسلامة الرَّأي والقرار والفعل والعمل؛ وذلك لأنَّه المستمدّ من الصَّبور المطلق، ومن اتّصف به كان من الصَّابرين الذين يحبّهم الله؛

---

[23] المعجم الوسيط، ج 1، ص 1049.

[24] الغزالي، المقصد الأسنى، ص 149.

مصداقًا لقوله تعالى: {وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ}[25]؛ ولذا فمن يبلغ مرتبة حبّ الله له فهل يخسر معركة، أو يخيب له طلبًا، أو يقصر عن بلوغ مأمولٍ ونيله؟

وعليه: فإنَّ الصَّبر في حقّ الله تعالى يكون درسًا في التَّوازن والنِّظام، أي إنَّه -سبحانه وتعالى- لا تحمله العجلَّة على تقديم ما لا يجب تقديمه، أو تأخير ما لا يجب تأخيره، بل حكمته -جلَّ جلَّاله- تتدخّل لتعمل على تسيير أمور خَلقه وفق نظام وسُنن ثابتة، لا يمكن أن تتبدّل هذه السُّنن أو تتغيَّر لتعجلَّ أو تسرّع في أمر من أمور عباده.

ولأنَّ الصَّبر فضيلة حميدة خيّرة من الله تعالى على عباده كان الصَّبرُ صفة للأنبياء والرُّسُل -صلَّى الله عليهم وسلَّم- أي: إنَّه صفة عمل وفعل وسُلوك، {وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كلّ مِنَ الصَّابِرِينَ} فقوله: {مِنَ الصَّابِرِينَ} دليل على عمق صبرهم وطوله وثباته، وهذا الصَّبر لا يكون إلَّا عندما يكون الصَّبر على الحقّ أو من أجلَّ إحقاق الحقّ؛ ومن هنا تكمن صفة القوَّة في قيمة الصَّبر فتجعل الصَّابرين على القوّة إن لم يكونوا قوَّة؛ ولهذا فالصَّبر لا يكون إلَّا متَّحدًا وملازمًا للقوَّة التي بها يتمكّن الإنسان من أن يوصف بالصَّبر الذي فيه التحمُّل الشَّديد وفي كلّ الشَّدائد وفقًا لدائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع.

ومن ثمَّ فإنَّ في الصَّبر التَّأنّي الذي ينفي صفة العجلَّة والتسرّع المؤدّي للألم؛ ولهذا فالصَّبور عزَّ وجلَّ لا يؤاخذ النَّاس بظلمهم ولكلّ أجلٌّ وحِسابٌ، وهو الغفور لمن استغفر وتاب إليه عزَّ وجلَّ؛ قال تعالى: {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاس بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجلٍ مُّسَمّى فَإِذَا جَاءَ

---

[25] آل عمران: 146.

أَجلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةَ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ}[26]، فتأخير العقاب على مستحقّيه لا يعني إسقاطه عنهم، بل وجوب وقوعه عليهم في وقت معلوم ومحدّد من الخالق جلَّ جلَّاله؛ حيث لا دخل للإنسان بهذا التوقيت ولا علم له به، ولولا صبر الله على المجرمين والعصاة لكان العقاب فوريًّا، لكنَّه لا يعجلَّ إنزال العقاب عليهم؛ وذلك ليمهلهم ويعلّمهم أهميَّة الصَّبر؛ كونه الفرصة العظيمة للتقييم والتقويم وللاعتبار والاتعاظ[27].

ولهذا لا يمكن أن يكون الصَّابر صابرًا إلَّا إذا كان في معيَّة الله تعالى، ولهذا أيضًا ينبغي أن يكون العاقل مع الله عزَّ وجلَّ؛ ليكون الله معه، ومن ثمَّ فمن لم يكن مع الله فليس له من ولي ينصره؛ قال تعالى: {قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ}[28]؛ أي: متى ما كان العباد مع الله طاعة كان الله معهم عونًا وسندًا؛ ومن هنا فإنَّ الاستعانة بالله تكون في قمّتها عندما يكون المستعين بالله على الحقِّ ومن أجل إحقاقه؛ ولذلك قال موسى -عليه الصَّلاة والسَّلام- لقومه: {اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا}، أي: اصبروا على الاستعانة بالله؛ فالله تعالى لا يخيب أمل المستعينين به أبدًا؛ وقال تعالى: {وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ}[29]، يفهم من هذه الآية الكريمة أنَّه متى ما كان العبد مع ربِّهِ مخلصًا طّائعًا وقادرًا على تحدّي الصِّعاب كان الصَّبر معه من الله تعالى؛ ولذا فمن يستمدّ صبره من الله لا بدَّ وأن يبلغ مأموله ويفوز به نيلًا.

---

[26] النحل: 61.

[27] عقيل حسين عقيل، من قيم القرآن الكريم (قيم وعظيَّة)، دار ابن كثير، سوريا – بيروت: 2013م، ص 155 – 161.

[28] الأعراف: 128.

[29] النحل: 127.

وفي المقابل ما يكون عليه الضَّعيف من استسلام لا يعد صبرًا؛ فالضَّعيف الذي يقبل بالأمر الواقع انهزامًا وظلمًا؛ لكي يقال عنه: إنه طائعٌ ومؤدّبٌ وعلى خُلقٍ؛ فهذه من صفة الأذلاء وليست من صفة الصَّابرين الصَّامدين في مواجهة الصِّعاب حتى يقهروها وتأتي إليهم مستسلمة بدلًا من أن يمشوا إليها منهزمين مستسلمين.

وعليه: فإنَّ الذين يستسلمون للقهر والمغالبة؛ فهم كالذين يُخربون بيوتهم بأيديهم: {يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ}[30] فبدل أن يفكِّروا في مستقبلٍ زاهرٍ وناهضٍ يقبلون بالاستسلام والرّكون إلى الاتكال على غير الله الذي أوجب العمل والقبول بتحدّي الصِّعاب حتى تُقهر على أيدي متحدّييها صبرًا.

ومن هنا علينا أن نفرّق بين مفهوم الصَّبر الذي لا يكون إلَّا موجبًا ومفهوم القهر الذي لا يكون إلَّا سَالبًا؛ ولهذا فحالة القبول بالقهر ليست بحالة الصَّابرين، بل لا تعدُّ إلَّا حالة للواهنين الذين لم يقبلوا بتحدّي الصِّعاب؛ ذلك لأنَّ الصِّعاب مهما عظمت فهي ليست من المستحيلات، وبما أنَّها ليست من المستحيلات فهي من الممكنات القابلة للتحدّي متى ما واجهها الصَّابرون الصَّامدون.

الصَّبر تحدّي صِّعاب:

الصّعب ليس بالمستحيل ولا المعجز، ولأنَّه كذلك فهو لا يخرج عن دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع؛ ولأنَّه ممكنٌ فَكسرُ قيده لا يكون إلَّا على الأيدي المتحدِّية للصّعاب والصَّابرة صمودًا في مرضاة الله؛ قال تعالى: {وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ

[30] الحشر: 2.

الْمُتَوَكِّلُونَ}[31]. إنَّ مفهوم قوله: {وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ} يشير إلى الإقدام على العمل مع وافر العزيمة والإصرار وقبول التحدّي؛ ولذا فمن يقبل بذلك لا شكّ أنَّ الله سيكون معه بالإجابة، ومَنْ يكون الله معه مجيبًا سيخرجه مِن كلِّ همّ وغمّ ويُنجيه مِن كلِّ المؤذيات.

ولهذا فإنَّ مفهوم التحدِّي هو قبول مواجهة الصَّعاب بلا تردّد؛ ولذلك دائمًا الصِّعاب تُهزم في كلّ المواجهات مع المتحدّين لها إرادةً وقرارًا مع وافر الاستعداد، والتهيّؤ، والتأهُّب بغاية الإقدام على الفعل في ميادين المواجهة.

ومن هنا فتحدِّي المؤمن للصِّعاب هو تمدّد حيويّ يحفِّز العقل والنَّفس على الظّهور عملًا وسلوكًا، ممَّا يجعل الطَّاقة المنبعثة في البدن ناهضة، وملفتة للمشاهدة والملاحظة من خلال قبول المواجهة مع المعيقات والصِّعاب، وقبول تحدّيها حتى تُهزم وتُقهر.

ولهذا فالتحدّي بالنِّسبة إلى المؤمنين النَّاهضين هو قرار مسبق مع وافر التهيّؤ والإرادة؛ من أجل مستقبل أفضل، فيه تهزم الحاجة، ويتحقّق الإشباع المرضي والمحفّز على مزيدٍ من التحدّي الممكّن من بلوغ الغايات ونيل المأمولات.

وعليه: فالتحدِّي يُمكّن المتحدّين من المواجهة والمغالبة، حتى وإن كان مع المرض والألم، إنَّه يُدخِلُ المتحدّين ميادين المنافسة سواء أكانت ميادين سياسيَّة، أم اقتصاديَّة، أم اجتماعيَّة أم إنَّها علمًا وعملًا؛ قال تعالى: {وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ}[32]. فقوله: {وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ} جاء مفهوم هذه الآية مترتِّبًا على

---

[31] إبراهيم: 12.

[32] النحل: 126، 127.

قوله: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ}[33]، عقاب في مواجهة عقاب، ولكن إن عفيتم في مقابل قبولكم الصَّبر على ذلك العقاب الذي تعرّضتم له وعوقبتم به فصبركم عند الله خيرٌ على خيرٍ؛ وصبركم هذا لا يكون إلّا بقبول الخير من الله على مَنْ صَبَرَ صَبْرُ الخيّرين.

أمَّا مفهوم قوله: {وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ} أي: بما أنَّك متوكِّل على الله صبرًا في زمن تحدّي الصِّعاب فثق إنَّ صبرك هذا من عند الله؛ ولأنَّه صبرٌ من عند الله فالصّعاب أمام صبرك معيَّة من صبر الله لا بدَّ وأن تُهزم وتُقهر، وليس لك من وراء ذلك إلّا الثواب الكبير من الله تعالى.

والسُّؤال:

لماذا التحدِّي؟

أقول:

_ لأجل إنجاز الأهداف.

_ لأجل تحقيق الأغراض.

_ لأجل بلوغ الغايات.

_ لأجل نيل المأمولات.

إذن: فالتحدِّي يصنع المستقبل، ويمكِّن من التفوّق، ويبني حضارة عندما يصبح التحدِّي عملًا مجتمعيًّا من أجل الأهم والأجود والأفيد والأنفع قيمة والأرفع مكانة.

وعليه: فإنَّ الصِّعاب تستوجب مزيدًا من الجهد لتحدِّيها بمهنيَّة وعلى أيدي المؤمنين أو أصحاب المهن إذا كان الأمر

---

[33] النحل: 126.

يتعلّق بالامتهان علمًا وتأهيلًا؛ ولذلك فالصّعاب تواجه مَنْ يعمل، ولا تواجه الكسالى، وهي التي لا تصمد أمام المتحدّين صبرًا وثباتًا مع بذل الجهد الممكّن من إنجاز الأهداف، أو تحقيق الأغراض، أو بلوغ الغايات ونيل المأمولات أو الفوز بها، ولا مستحيل في دائرة الممكن حتّى وإن كان الصّعب يملأ نصفها، ومن هنا وجب العمل على تذليل الصِّعاب؛ كي تتيسّر الأمور ارتقاءً؛ فالصِّعاب إن لم تداهم ارتقاء، لا بدَّ وأن تداهم من لم يداهمها، وحتى لا يحدث ما لا يحمد عقباه ينبغي تحدّي الصِّعاب تهيّؤًا، واستعدادًا، وتأهّبًا، وعملًا راقيًا تنجزه الإرادة والأمل لا يفارق.

ومع أنَّه لا صعب أمام مزيد من بذل الجهد ارتقاءً، فإنَّه لا ارتقاء لخرق المستحيل؛ فمن المستحيل أن يكون الإنسان عالما بلا علم، وفي المقابل يمكن له أن يصبح عالما على الرّغم من الصِّعاب.

وعليه:

فالقاعدة: (تحدِّي الصِّعاب)، أمَّا الاستثناء: (الاستسلام لها).

ولأنَّ الممكن ارتقاءً يُمكّن من تحدّي الصِّعاب، فَلِمَ لا يتهيَّأ الإنسان إليها قوَّة تدبّر حتى يقهرها إرادة؟! ممّا يجعل التهيّؤ للعمل لا مكان فيه للتردّد في نفس المتهيئ لأدائه، ومن يتوقّع أنَّ أداء العمل ميسَّر فلا يستغرب إن واجهته صعاب تحول بينه وبين تنفيذه.

ولذا فالتهيّؤ لتحدِّي الصِّعاب يُمكّن من أداء العمل ارتقاء؛ فكما تُرسم الخطط لتنفيذ العمل تحدّيًا تُرسم أيضًا لمقاومة المعيقين له؛ ولذلك فالذين يتهيّؤون لارتكاب أعمال التطرُّف بإرادة في معظم الأحيان هم يُقْدِمُون على تنفيذها دون تردّد،

والذين يقاومون أعمال المتطرِّفين بإرادة هم الآخرون يقدمون على مقاومتهم ومقاتلهم بكلّ قوَّة، أمَّا أولئك الموظّفون الذين تُصدر لهم أوامر تنفيذ التطرُّف، أو أوامر مقاومته فلن يكونوا فاعلين، بل ستكون أيدهم على الزّناد مرتعشة، وهنا تكمن العلّة.

وعليه: فمَن تهيَّأ واستعد لتحدي الصِّعاب وأقدم عليها فليس بالأمر الهين أن يتهيّأ لِما يُغيِّره عن الاستمرار فيها، إلَّا إذا فكَّر وتذكَّر وقَبِلَ إرادة أنَّ المعلومة في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع لا تُصحح إلَّا بالمعلومة الحاملة للحُجَّة؛ ومن هنا فكلّما توافرت الأفكار والحُجج تجاه القضيَّة الخارجيَّة مثار الانتباه والاهتمام كانت استجابة التهيّؤ للحدث أسرع، وكلّما تضاءلت الأفكار أو انعدمت كانت عمليَّة التهيّؤ متباطئة لحين استجماع الأفكار عن الحدث الخارجي الذي يُودّ الوقوف عليه.

ولذا فالتهيّؤ للقول الصّعب يؤدِّي إلى الاستعداد لأنْ يقال بإرادة، وكذلك التهيّؤ للعمل يؤدِّي إلى الاستعداد لأن يُفعل بعد إرادة وتأهّب وعن رغبة.

ومع أنَّ الممكن ارتقاءً لا استحالة فيه فإنَّه إن لم يعقب التهيّؤ استعداد؛ فلا إمكانيَّة؛ حيث لا إرادة؛ ولذلك فإنَّ غياب الإرادة يغيّب كلًّا من التهيّؤ والاستعداد؛ ومن ثمّ تقوى درجة الاستعداد المترتِّبة على الإرادة والتهيّؤ بقوّتهما وتضعف بضعفهما؛ وحينها لا إمكانيَّة لتحدِّي الصِّعاب؛ أي لا تحدٍّ بلا إرادة، ولا تهيّؤ، ولا استعداد، وحتى وأن اجتمعت في دائرة الممكن تظلّ منقوصة ما لم يتمكّن الإنسان من التأهُّب لأداء العمل وبلوغ الارتقاء قمّة.

وعليه:

إذا أردت تحدّى الصِّعاب فعليك:

ـ أنْ لا تحصر التفكير في شؤونك أو شؤون الغير الذي تربطك به علاقة وأهميَّة على المتوقَّع فقط، بل تجاوزه إلى ذلك غير المتوقَّع حتى وإن كان صعبًا.

ـ تأكّد أنَّ الصّعب لا يستطيع المقاومة إذا تحصّنت له متحدِّيًا.

ـ اصّمد؛ فالصّعب لا يصمد، أي: عليك أن تعرف أنَّ ما يبدو صعبًا للبعض لا يبدو كذلك لدى البعض الآخر؛ ولهذا عليك بقبول التحدّي حتى تهزمه كما غيرك هزمه.

ـ الصَّعب لا يزيد عن كونه حيويَّة؛ فينبغي أن يواجه بها ولا يواجه بغيرها، أي: لا يمكنك أن تهزم خصمًا وأنت لم تمتلك ذات السّلاح الذي يمتلكه تقنية. ولكن عندما تمتلك ذات السّلاح؛ فليس له بدٌّ إلَّا أن يقدّرك صلحًا وتصالحًا وعفوًا: {وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ}[34].

ـ مواجهة الصّعب لم تكن مستحيلة؛ ولأنَّها ممكنة فَلِمَ لا يواجه إلَّا من البعض؟

أقول:

لأنَّ البعض دائمًا أفضل من البعض، أي: دائمًا الواعون والصّابرون والمؤمنون بأنَّ الحقّ يُحقّ؛ يعملون على إحقاقه تحدّيًا وقهرًا للباطل، ومع ذلك فهم القليل العظيم الذي يصبر على الحقِّ ويعمل من أجله، وفي المقابل الأكثرون لا يكونون إلَّا في دائرة السّلبيَّة؛ مصداقًا لقوله تعالى: {أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}[35]، وقال تعالى: {أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}[36]، وقال جلَّ

[34] الأحزاب: 25.
[35] البقرة: 100.
[36] الأنعام: 37.

جلاله: {أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ}[37]، وقال: {أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ}[38]، وقال: {أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ}[39]، وقال: {أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ}[40].

ـ الصَّعب على علاقة بالباطل من حيث إنَّه لا يصمد إذا ما حدثت معه المواجهة؛ ولهذا الصّعب يقهر والباطل يبطل، ولكن لا يكون ذلك إلَّا على أيدي الصّامدين.

ـ اقبل بدفع الثَّمن جهدًا ووقتًا وإمكاناتٍ؛ تنل أضعافها مكاسب وفوائد متى ما استسلم لك الصّعب قهرًا.

ـ تحدَّ الخوف الذي يقنعك كسلًا، واعمل وابذل المزيد من الجهد تجد نفسك منتجًا، وفي المقابل إن استسلمت له فستجد نفسك متسوّلًا مع المتسولين على الأرصفة وبين الأزقة.

ـ أهّب نفسك للعمل تجد العمل بين يديك، وأهّب نفسك للتحدّي تجد نفسك متحدِّيًا للصعاب وقادرًا على قهرها، فأهّب نفسك لمواجهة الصِّعاب تجد الصِّعاب مستسلمة.

وعليه: فإنَّ التأهُّب لتحدّي الصِّعاب يؤجّج في النَّفس حرارة الاندفاع تجاه الهدف دون خوف مع إصرار على الإنجاز، ومن يتأهّب للشيء عن عزَّيمة بعد تهيّؤ وإرادة واستعداد يستطيع في دائرة الممكن ارتقاءً أن يُنفِّذ ما يشاء، وكيفما يشاء، ومتى ما يشاء في مشيئة الله تعالى.

ولأنَّ لكلِّ فعل ردّة فعل، إذن: فمن يتأهّب لأداء الفعل الصّعب ارتقاءً لا بدَّ أن يكون متأهّبًا لما يترتّب عليه من ردّةِ فعل، وإلَّا سيفاجأ بما هو مؤلم؛ ولهذا فعلى بني آدم اليقظة بغاية تنوير عقول بعضهم بعضًا؛ حتى يفيقوا من غفلتهم ويلتفتوا إلى

[37] الأنعام: 111.
[38] يونس: 60.
[39] العنكبوت: 63.
[40] الروم: 42.

ما يُمكِّن من النُّهوض وإحداث النُّقلة التي لا تكون إلَّا مترتّبة على القبول بتحدّي الصِّعاب من أجل غايات عظيمة ومأمولات أكثر عظمة.

وحتى لا تحدث المفاجئات في كلّ مرّة؛ فأخذ الحيطة والحذر عند تحدّي الصِّعاب ضرورة لمن شاء أن يتدبَّر أمره بلا عِلل، ولكن هذه ليست الغاية، بل الغاية أن تسود الحياة بين النَّاس بلا مغالبة، ولا هيمنة، ولا حرمان، ولا تمدّد على حساب الآخرين، ولا اتكاليَّة على الغير، حتى تصبح الغاية هي تجاوز الحلّ المتجاوز للإصلاح وإن كان إصلاحًا مساندًا؛ ولذلك فالغاية من بعد الحلّ بلوغ المكانة الممكّنة من بلوغ رفعة الشّأن، وعيش النّعيم، وهذه مع أنَّها غايات فإنَّها ستظل في دائرة الممكن ارتقاءً بين متوقَّع وغير متوقَّع، والعاملون عليها وحدهم يتهيّؤون لها ويستعدّون، ومن بعدها يتأهَّبون لتحدّي الأمر الصّعب، ثمّ يفعلون ويعملون حتى يبلغوا الغايات غاية من بعد غاية، وأملًا من بعد أملٍ.

ومن هنا تعد الصِّعاب مجموعة من المعيقات التي لا يتمُّ تجاوزها إلَّا بالإزاحة مع وافر الصَّبر، أي: لا إمكانيَّة لإنجاز الأهداف، وتحقيق الأغراض، وبلوغ الغايات، ونيل المأمولات ما لم تزح العوائق من السَّبيل المؤدّي إلى الفوز بها.

ولأنَّها عوائق؛ فهي قابلة لأن تزاح، ولأنَّها قابلة للإزاحة، فلا داعي للانتظار، ومن يتأخَّر عن إزاحتها في شبابه سيجد نفسه متأخرًا عمّن أزاحوا مثيلاتها وتقدّموا، والصِّعاب لا تخيف، بل المخيف عدم الإقدام على تحدّيها؛ ومع ذلك فالصِّعاب لا تواجه الكسالى، بل تواجه المتطلّعين لصنع المستقبل، فالصِّعاب إن لم تداهم تحدٍّ، فهي تداهم من لم يداهمها، وحتى لا يحدث ما لم يحمد عقباه ينبغي تحدّي

الصِّعاب تهيّؤًا، واستعدادًا، وتأهّبًا، وعملًا راقيًا تنجزه الإرادة والأمل لا يفارق.

ومع أنَّ الممكن ارتقاءً لا استحالة فيه، فإنَّه إن لم يعقب التهيّؤ استعداد فلا إمكانيَّة؛ ولذلك فإنَّ غياب الأمل يغيّب كلًّا من التهيّؤ والاستعداد، ومن ثمّ تقوى درجة الاستعداد المترتِّبة على الإرادة والتهيّؤ بقوّتهما وتضعف بضعفهما، وحينها لا إمكانيَّة لتحدّي الصِّعاب؛ أي لا تحدي بلا أمل وإرادة، وتهيّؤ، واستعداد، وحتى وإن اجتمعت في دائرة الممكن تظلّ منقوصة ما لم يتمكّن الإنسان من التأهُّب لأداء العمل وبلوغ المأمول والفوز به حلًّا.

ولذلك فالغاية بعد معرفة الحلّ هي بلوغ المكانة الممكّنة من بلوغ الأمل رفعة، وعيش النَّعيم، وهذه مع أنَّها غايات فإنَّها ستظل في دائرة الممكن ارتقاءً بين متوقَّع وغير متوقَّع، والعاملون عليها هم وحدهم يتهيّؤون لها، ويستعدّون إليها، ويتأهّبون لتحدّي الأمر الصّعب، ثمّ يفعلون ويعملون حتى يبلغوا الغايات، ومن بعدها نيل المأمولات. ولكن وفقًا لدائرة الممكن (المتوقَّع وغير المتوقَّع) كلّ شيء قابل لأن يتغيَّر كلّما توافرت معطياته أو اشتراطاته والرّغبة من ورائهما حافزٌ ودافعٌ.

ولذلك فتَوافُر الرّغبة في دائرة الممكن المتوقَّع يُسهِّل من عمليَّات الإنجاز، ويُسرّع من عمليّات الإقدام ويحقّق نجاحًا رائعًا، أمَّا في دائرة الممكن غير المتوقَّع فقد لا يحقّق ذلك؛ فعلى سبيل المثال: الشَّاب الذي ذهب إلى أحد حكماء الصّين ليتعلَّم منه سرّ النّجاح وسأله: هل تستطيع أن تذكر لي ما هو سرّ النّجاح؟ فرد عليه الحكيم الصّيني قائلًا: سرّ النّجاح هو الدَّوافع، فسأله الشّاب: ومن أين تأتي هذه الدَّوافع؟ فردَّ عليه

الحكيم: من رغباتك المشتعلة، وباستغراب سأله: وكيف تكون عندنا رغبات مشتعلة؟ وهنا استأذن الحكيم الصّيني لعدّة دقائق وعاد ومعه وعاءٌ كبيرٌ مليء بالماء وطلب من الشّاب أن يقترب من وعاء الماء وينظر فيه، فنظر الشّاب إلى الماء عن قرب، وفجأة ضغط الحكيم بكلتا يديه على رأس الشّاب ووضعها داخل وعاء الماء وبعد مرور بعض ثَّواني بدأ الشّاب يشعر بالاختناق، وبدأ يقاوم بشدّة حتى نجح في تخليص نفسه وإخراج رأسه من الماء، ثم نظر إلى الحكيم وسأله بغضب: ما هذا الذي فعلته؟ فرد عليه: ما الذي تعلّمته من التجربة؟ فقال الشَّاب: لم أتعلم شيئًا.

قال الحكيم: لا يا بُنيّ، لقد تعلّمت الكثير؛ ففي الثّواني الأولى أردت أن تُخلِّص نفسك من الماء ولكن دوافعك لم تكن كافية لعمل ذلك، ثمَّ من بعد كنت راغبًا في تخليص نفسك؛ فبدأت في التحرُّك والمقاومة ولكن ببطء؛ وذلك لأنَّ دوافعك لم تكن قد وصلت بعد لأعلى درجاتها، وأخيرًا أصبحتْ عندك الرّغبة المشتعلة لتخليص نفسك وعندئذ فقد نجحت.

ومن هنا وجب على التربويين غرس الثِّقة في أنفس النَّشء؛ حتى يستمدّوا القوَّة إن أردوا بلوغ المأمول، وإلَّا سيكونون ضعفاء ولا شيء لديهم إلَّا الأمنيات التي لا يمكن أن تصنع لهم مستقبلًا؛ ولهذا لا ينبغي أن نغفل عن:

ـ تهيئة الاستعدادات النَّفسيَّة والبدنيَّة والماليَّة لما هو متوقَّع ومأمول ولما هو غير متوقَّع حتى لا تحدث المفاجأة.

ـ غرس الثِّقة في النَّفس؛ حتى يتم التمكّن من تحدّي الصِّعاب.

ـ تحديد الأدوار الواجب لعبها؛ لتحقيق الأهداف المحدّدة من قبل المجتمع أو مؤسّساته أو هيئاته وجمعيَّاته.

ـ غرس الثِّقة في نفس الفرد وفي القيم الاجتماعيَّة الموجبة.

ـ غرس الثِّقة في أنفس الجماعة من خلال المشاركة الفعّالة في إعداد البرامج والمشاركة في تنفيذها والقيام بها.

ـ تنمية قدرات أفراد الشَّعب كلّه وغرس الثِّقة بينهم؛ حتى يتمكّنوا من تحقيق أهدافهم الاجتماعيَّة والسِّياسيَّة والاقتصاديَّة والثَّقافيَّة والنَّفسيَّة والذَّوقيَّة وفقًا للخطط والإستراتيجيَّات المرسومة.

ـ تهيئة استعداد الأفراد والجماعات لما يجب والتطلّع بهم إلى ما يُحدث النُّقلة.

ـ غرس الثِّقة في أفراد الشَّعب من خلال مؤسّسات الدّولة، دون الإغفال عن مشاورتهم فيما يتعلّق بهم من أمر، وأخذ وجهات نظرهم تجاه المستقبل الذي يأملونه أو يتطلّعون إليه.

ـ تنمية قدرات الأفراد والجماعات مع مراعاة أصحاب الحاجات الخاصَّة وتأهيلهم وتدريبهم ورعايتهم مع دراسة حالاتهم وتوظيفهم؛ كونهم مفردة من مفردات المجتمع المستهدف صُنع مستقبله.

ـ تقوية الإمكانات الماديَّة وتدعيمها بالمعلومة والمعرفة الواسعة المساندة للتطوّر والتقدّم واستثمارها فيما يفيد.

ـ تحفيز أفراد الشَّعب على المشاركة الفعّالة، ودفع مؤسّسات الدّولة إلى الإقدام على ما يفيد وينفع خدمةً وإنتاجًا.

ـ استثمار الإمكانات البشريَّة والماديَّة في تحسين أحوال الأفراد والجماعات وتحسين أحوال البيئة.

ـ إشعار أفراد المجتمع بأهميَّة المشاركة الاجتماعيَّة في اتخاذ القرارات وتنفيذها وتقويمها من الانحراف.

ـ حث الأفراد على الاستفادة من الإمكانات المتاحة والبحث عن إمكانات أخرى أو إمكانات بديلة في حالة نقص الإمكانات أو شُحِّها، واستثمار ما يتوافر منها إلى أقصى درجة ممكنة؛ تحقيقًا لعمليَّات التَّغيير الموجب.

ـ تأكيد أهميَّة المشاركة ودورها في بناء الثِّقة بتحريض الأفراد على ممارستها من أجل تأكيد منطق (النّحن) المستوعب للأنا والآخر حتى تتضاعف القوَّة ويزداد العطاء وتعم المكاسب ويتم نيل المأمولات.

ـ دفع الأفراد والجماعات وهيئات الدَّولة ومؤسّساتها إلى استيعاب الجديد والعمل على تطويره.

ـ الإصرار والتصميم على إزالة الشكّوك والمخاوف، وكلّ ما من شأنه أن يجعل المواطن في حالة خوف أو قلق؛ بأمل يحفّزه ويدفعه إلى المشاركة في صناعة المستقبل الرّفيع.

ـ تمكين الأفراد من إدارة شئون حياتهم بإرادتهم الحرّة دون أيِّ إكراه أو إجبار، وغرس الثِّقة في أنفسهم وفي مقدرتهم على إدارة ما يتعلّق بهم من أمر، مع إرشادهم لِما يفيد عمليَّات الاستثمار للإمكانات المتاحة، وتعريفهم بأساليب البحث عن البدائل كلّما دعت الضّرورة لذلك؛ ولهذا فكلّ ما لم يكن مستحيلًا فهو ممكنٌ، ومن هنا يعدّ كلّ مستحيل مثبت، والمستحيل هو الذي نعلمه ولا نعرفه، فعلى سبيل المثال:

ـ نعلم يوم الحساب ولكنَّنا لا نعرفه ولا يمكن لنا ذلك.

ـ الشَّمس تشرق وتغرب ولن نستطيع تغيير أمرها أو تبديله.

ـ القمر يعكس الضّوء ولن نستطيع إخفاء الضّوء عنه.

ـ الموتى لا يعودون إلى الحياة ولن نستطيع إيقاف الموت عنَّا.

ـ المستحيل مع أنَّه موجود فإنَّه لا يُنفى كغيره من الموجودات في دائرة الممكن؛ فعلى سبيل المثال: عندما يكون اليوم السَّبت فإنَّ الأحد سيأتي غدًا وفقًا لعلمنا، ولكن عندما يقع المستحيل فقد لا يأتي الأحد واليوم الغد الذي يحتويه. إنَّه الشَّيء الخارج عن دائرة الممكن وفق حساباتنا وقدراتنا واستعداداتنا وطاقاتنا؛ ولذا فكل من الممكن والمستحل يحدثان وفقًا لتوقّعاتنا، ولكن الممكن يتحقّق بأيدينا والمستحيل ما لم تستطع أيدينا على فعله، أي: المستحيل نتوقّعه ولكن وقوعه من خارجنا، أمَّا الممكن فنتوقّعه ويحدث داخلنا ونعمل من أجل تحديه حتى نقهره[41].

الصَّبرُ تحدٍّ منبعُ أملٍ:

الصَّبرُ تحدٍّ قيمة رفيعة؛ لأنَّه لم يكن صبرًا في ذاته، بل صبرًا على أملٍ من ورائه مأمول مرتقب، أمَّا المنابع فهي تلك الأصول التي لا يأتي الأمل إلَّا منها؛ كونها مكامن القيم والمبادئ ذات المعاني والمفاهيم التي يأمل النَّاس سيادتها بينهم دلالة ومعنى، وهي التي تتجسّد في الأفعال والأعمال والسُّلوكيَّات وتحدث النُّقلة إلى الأفضل والأفيد محبّةً ونفعًا، كما أنَّها ترتقي بمن سادت بينهم إلى معرفة ما يَكمُن خلف المجرّد وكيفيَّة كمونه.

إنَّها نتاج الموروث الاجتماعي والإنساني المستمدّ من الأعراف والأديان ذات الفضائل الخيّرة التي تحفّز على الارتقاء صبرًا وتحدِّيًا بغاية إحداث النُّقلة إلى ما يحقق الإشباع المرضي، كما أنَّها ترشد إلى ما يُمكّن من تجسيد القدوة الحسنة؛

---

41 عقيل حسين عقيل، الممكن (متوقّع وغير متوقّع) مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 14.

التي تُقدّر الآخرين حتى تُحظى بتقديرهم؛ فمنابع الأمل أساسها القيم الحميدة والفضائل الخيرة التي تمكّن من بلوغ الغايات، وهي التي تستوعب المتغيرات دون أن تحدث انتكاسات معرفيَّة أو سلوكيَّة.

فالقيم المتحديَّة صبرًا عندما تنتج المبادئ الأخلاقيَّة قولًا وفعلًا وعملًا وسلوكًا تقود إلى قبول التحدِّي بغاية تحقيق المأمول إرادة ورغبة، مع قبول الآخر واحترام خصوصيَّته التي بها يختلف عن الغير، كما أنَّها قادرة على الاستيعاب الممكن من التعاون والارتقاء رفعة.

ولأنَّها القيم المتحدّية عن إرادة؛ فالمساس بها ليس بالأمر الهيّن؛ ولهذا في دائرة المتوقَّع وغير المتوقَّع كل شيء ممكن، ولأنَّ كلّ شيء ممكنٌ؛ فمنابع الأمل قابلة للتقويض، متى ما تولّى الأمر فاسدٌ، أو دكتاتور أو محتلّ لا يُقدّر المقدَّر من قِبل النَّاس الذين يتعلّق الأمر بهم، فالقيم مع أنَّها نتاج الإرادة والرّغبة والمنافع المشتركة، فإنَّ التمرد عليها بإجراءات تعسّفية ممكنٌ؛ فمن يتمكّن من سلب إرادة النَّاس قهرًا يتمكّن من تقويض القيم عبثًا.

وعندما تستولي الأنا العابثة على أمر السّلطة الحاكمة، تصبح الأقوال غير الأفعال، حالها حال أحوَل العينين، الذي يلتفت إلى اتجاهٍ ما ليرى شيئًا آخر في الاتجاه الآخر، فنلاحظ في بعض الأحيان أنَّ أقوال الحاكم الفاسد تبدو وكأنَّها مؤيّدة لفضائلٍ وقيمٍ خيّرة، وفي المقابل أفعاله وأعماله تقوّضها من كلّ جانب؛ فالمفسد يدّعي الإصلاح حتى يظهر نفسه وكأنَّه المنقذ.

والقيم مع أنَّها منابع الأمل تحدِّيًا فإنَّها تتعرّض للتقويض من قِبل المستبدّين، وهي متى ما قوّضت تبدّلت وتبدّل أصحابها؛

وعندما تستبدل القيم عن غير رغبة ولا إرادة يصبح النفاق سائدًا على حساب الصّدق حتَّى تكاد لا تعرف الحقيقة مع قربها منك، وعندما يسود النِّفاق بين النَّاس بأسباب انعدام الثِّقة، يصبح الكذب إلى جانبه سائدًا جنبًا إلى جنبٍ مع التزوير والخيانة والغشّ واستباحة ممتلكات الدّولة.

ولأنَّ الفساد خروجٌ عمّا ترشد إليه منابع الأمل التي ارتضاها النَّاس عبر التَّاريخ رغبة وإرادة؛ فستظل المواجهة مع الفساد والفاسدين بين سرٍّ وعلانيَّة ولكلِّ ثمنه.

ولأنَّ منابع الأمل نتاج جمعي؛ فالمواجهة معها إن حدثت ستكون مواجهة بين خصوص وعموم، ممّا يجعل ساعة الحسم بينهما صبرًا وتحدّيًا ساعة مفاجئة فيها الفساد لن يكون أملًا.

ولذا فعندما يُقصى ويُمنع المواطن من ممارسة حقوقه الوطنيَّة يُدفع تطرّفًا ليكون على رأس هرم العنف، حتى وإن كان من قَبل ذلك على مستوى من مستوياته الدُّنيا، وهكذا مَنْ يستهدف الشّعب بالتكميم والتغييب والإقصاء، سيجد نفسه طرفًا معاديًا للشّعب ومطاردًا من قِبله، ثم سيكون ضحيّة ذنبه الذي لا يصمد ولا يصبر أمام ساعة إحقاق الحقّ عدالةً.

ومن هنا فمنابع الأمل تربط الحاضر بالماضي بهدف استمداد العبر والمواعظ، وتربطه بالمستقبل بغرض إحداث النُّقلة، وغاية بلوغ الحلّ الذي لا تأزُّم من بعده. فمنابع الأمل قيمًا لم تكن مقادير كميّة، بل كيفيَّة، وهي على الدّلالة والمعنى تجعل القدر لمن لم يكن له قدرًا عندما يُصبح على تلك الفضائل الحميدة، التي ترفعه مكانة وقدوة حتى تجعل من رأسه رأس هيبة. وهذا لا يعني أنَّها تعاليم تُلقّن؛ بل هي القيم القابلة لأن تتجسّد في الفعل الإنساني عملًا وسلوكًا؛ وتلك هي منابع إحداث

التغيير صبرًا وصمودًا وتحدّيًا في الزَّمن الآن؛ ليكون المستقبل زمنًا حاضرًا.

فتلك القيم الحميدة التي جعلت من معانيها صفات لمتشرِّبيها جعلتهم صبرًا وتحدّيًا على المكانة والرّفعة؛ فمن يتشرّب قيمة العدل حتى يتّصف بها عادلٌ، لا يختلف عمّن تجسّد الصّدق في قوله وفعله حتى أصبح الصّدق صفة لا تفارقه صادقًا، أي: من يتّصف بالعدل يوصف به عادلًا، ومن يتّصف بالصّدق يوصف به صادقًا؛ ولهذا فالنَّاس متى ما تخالفوا أصبحوا في حاجة لِحَكمٍ عدلٍ وأناس صادقين لا يكتمون شهاداتهم تحدّيًا للباطل وخوفًا من الله تعالى: {وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ}[42]، وهذا الأمر قد لا يتحقّق ما لم تتطابق قيمة العدل عدالةً مع شخصيَّة الحَكَم أو القاضي أو من كان شاهدًا.

إذن: في الوقت الذي فيه منابع الأمل تزيل المخاوف، هناك ما يُخيف ومن يخيف؛ فالحاكم غير العادل مُخيف؛ لأنَّه لم يأخذ بقيمة العدل، وهذا ما يتخالف مع ما يأمله النَّاس؛ فالنَّاس يأملون تطبيق العدالة، ولكن عندما يكون الحاكم على غير علاقة مع قيمة العدل فلا عدالة، وهنا تكمن العلّة التي تفصل النَّاس عمّا يأملون وتبعدهم عنه إلَّا الصَّابرون تحدّيًا[43].

وعليه: فإنَّ الأمل هو الحيويَّة المحفّزة للاندفاع تجاه كلّ ما من شأنه أن يُمكّن من بلوغ الغايات صبرًا وتحدّيًا، وهو الحيويَّة التي تصهر الرّغبة في الطُّموح مع قبول تحدّي الصِّعاب.

---

[42] البقرة: 283.

[43] عقيل حسين عقيل، الخدمة الاجتماعية الناهضة (كيف تصنع أملا وتبلغ مأمولا)، المصريّة للنشر والتوزيع، القاهرة: 2020م، 9 -12.

ومع أنَّ الأمل بالنِّسبة إلى بني آدم يرتبط بالمستقبل، فإنَّه بالنِّسبة إلى آدم -عليه الصَّلاة والسَّلام-كان مرتبطًا بذلك الماضي الذي كانت فيه الأرض والسّماوات رتقًا؛ فالأمل بالنِّسبة إلى آدم هو العودة إلى تلك الجنَّة التي فُقدت مِن قِبله في لحظة غفلة، ومع ذلك بعد صحوة منه وزوجه بقيا صابرين أملًا مع قبولهما للتحدّي؛ حيث لا حياد عن الطَّاعة لأمر الله: {ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى}[44].

والأمل مع أنَّه من حيث المفهوم واحدٌ، فإنَّه من حيث الدّلالة ليس كذلك؛ ولذا وجب التفكير في الزَّمن وضبطه بين ماضٍ لن يعود وماضٍ يأمله آدم وبنوه الذين يعتقدون يقينًا راسخًا أنَّ الجنَّة حقيقة على قيد الوجود؛ فتلك الجنَّة التي خُلق فيها آدم وزوجه قبل أن تُفتق الأرض من السّماوات، ظلّت هناك في علوٍّ، أمَّا الأمل فظل منقطعًا على الأرض التي أُهبط بها ومن عليها من المختلفين والمتخالفين دُنيا.

ومن ثمّ فالأمل لا يقتصر على الزَّمن المستقبل، بل الأمل يستوعب المستقبل مثلما يستوعب الماضي بالتَّمام؛ فآدم -عليه السَّلام-الذي خُلق في الجنَّة، ثمّ أُهبط منها على الأرض إلى الحياة الدُّنيا بعد ارتكابه فعل الخطيئة ندم، وهو يأمل أن يعود إلى ذلك الماضي الذي فيه كلّ ما لذّ وطاب، والنَّدم كان أكثر وضوحًا في عقل آدم بعد أن أُهبط به والأرض أرضًا إلى الحياة الدُّنيا؛ ولهذا فالأمل بالنِّسبة إلى آدم لم يكن مرتبطًا بمستقبلٍ جديدٍ، بل مرتبط بماضٍ يأمله مع وافر الصّبر على الطَّاعة، ووافر التحدِّي للمعصية. وهكذا كلّ من يفقد شيئًا عظيمًا يأمل العودة إليه، فالذين يُهجّرون من منازلهم وأوطانهم لا أمل لهم أكبر من أن يعودوا آمنين لبلدانهم وأوطانهم كما كانوا من قبل،

[44] طه: 122.

وسيعملون ما في وسعهم من أجل العودة، بل سيقبلون دفع الثّمن ولو كانت أرواحًا من أرواحهم.

وعليه: فالأمل يرتبط بالصّبر، وقبول التحدّي، والإقدام على العمل أكثر من ارتباطه بالزَّمن؛ فالزَّمن متّصل ولا فواصل فيه على الرّغم من الشّروق والغروب نتيجة حركة الأرض حول نفسها وحول الشّمس، وهذه لا تزيد عن كونها مواقيت حسابيَّة، أمَّا الزَّمن فهو الزَّمن المتَّصل، وما الماضي والحاضر والمستقبل إلَّا تقسيم عددي بأسباب الشّروق والغروب.

ومع أنَّ الأمل قيمة فإنَّه ليس بمادِّي؛ فالمادِّي وإن كان من ورائه أمل فهو لا يُبلغ إلَّا بمزيدٍ من الصّبر والتحدّي وبذل الجهد، أمَّا الأمل فهو ما يخالج نفس الإنسان تجاه الشَّيء الذي لا يبلغ إلَّا بجهدٍ يبذل؛ ومن هنا فالأمل محفّز نفسي بحيويَّة الرّغبة تجاه الغايات؛ ولهذا فمن يفقد المكانة لن يكون له أمل سوى العودة إليها، وهكذا سيظل الصّعود للقمّة مطلبًا وأملًا لمن فقده مكانةً.

فالمكانة التي لا تتحقّق إلَّا بالعمل، ولن تُبلغ ما لم يكن الأمل من ورائها يُصنع، والصّبر والتحدّي جنبًا إلى جنبٍ؛ ولأنَّ الأمل في اتجاه بلوغ الغايات لا يتحقّق إلَّا عملًا، فسيظلّ الأمل مفهومًا لا معنى له ما لم ينعكس في جهود تبذل بقوَّة الرّغبة والإرادة تجاه غايات تُمكّن من إشباع الحاجات المتطوّرة؛ ولهذا فالأمل العظيم يستوجب بذل الجهد مع مقدرة وصبر على توليد الفكرة من الفكرة؛ حتى لا يتمَّ التوقّف عند حدّ معرفة المشاهد والقصور عن معرفة المجرّد، قال تعالى: {فانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ}[45]، أنزلت هذه الآية بدلالة التمعّن فيما تنظرون

---

[45] العنكبوت: 20.

إليه من عجائب، والنّظر إلى العجائب يستوجب التفكير في الكيفيَّة التي بها خُلقت العجائب: {أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ}[46]، أي: يا بني آدم، لا تستوقفوا عقولكم عند المشاهد، بل مدّوا نظركم إلى الكيفيَّة التي عليها وبها خُلقت الأشياء؛ فالنّظر إلى الإبل والسّماء والجبال والأرض ضرورة، لكن الأعظم من ذلك النّظر إلى الكيفيَّة التي بها خُلقت الإبل، والكيفيَّة التي بها رُفعت السّماء، والكيفيَّة التي بها نصبت الجبال، وسُطحت الأرض.

هذه الآيات أنزلت بلغة التعجّب {أفلا ينظرون}، فلو نظر بنو آدم لعرفوا، ولو عرفوا لتدبَّروا، ولأنَّهم لم ينظروا بكيفيَّةٍ واعيةٍ؛ فلن يتذكّروا ما يعظهم، ولن يتدبُّروا ما يفيد أمرهم، ولن يفكّروا فيما يجب، وهنا يكمن القصور عمَّا يحقّق الأمل ويمكّن من نيل المأمولات.

ولذلك وجب التذكّر حتى لا تتكرّر الأخطاء، ووجب التدبُّر دون غفلة عن العبر وما يوعظ، ووجب التفكّر فيما يُمكّن من معرفة الكيفيَّة التي تُمكّن من معرفة المستحيل مستحيلًا، ومعرفة المعجز معجزًا، ومعرفة الممكن ممكنًا.

ولذا لا ينبغي أن يكون التفكّر منزويًا عن الماضي والحاضر، بل ينبغي أن يكون مرتبطًا بهما ويمثلان له قاعدة تأسيس لكلِّ الافتراضات التي من شأنها أن تكون مسهمة وفاعلة في صناعة المستقبل المأمول.

ومن ثمّ يعدّ التوقّف أو الانكفاء سِمة تشير إلى وجود خلخلة وبعثرة حقيقية في التفكير، ممّا يخلق ارتباكًا وفوضى معرفيَّة لا تكون نتائجها محمودة؛ فالتفكّر ارتقاء لا يكون إلَّا واقعًا

[46] الغاشية: 17-18.

ضمن دوائر متعدّدة تكون حاضنة له؛ فتمنحه كلّ ما من شأنه أن يحقّقه؛ ولهذا فالتفكّر ارتقاءً هو الذي يسير بالفكر الإنساني نحو إيجاد بدائل تكمن فيها معطيات النّهوض الذي يمنح النَّاس حياة فيها الآمال تتحقّق.

الصّبرُ تحدٍّ يُولد من الأمل أملًا:

الصّبر لا يكون إلَّا عن عزَّيمة مع وافر الإصرار، مع قبول دفع الثّمن جهدًا يبذل، وديمومة محسوبة لا تغفل عن أخذ الحيطة والحذر؛ ولذا فتوليد الأمل هو توليد الشَّيء من الشَّيء، فمن المفيد أن تنظر إلى أولئك الذين سبقوك أملًا وارتقاءً، ومن المفيد أن تضطلع على تجارب الآخرين، ومن المفيد أن تشترك مع الغير في توليد الآمال، ومن المفيد أن تسأل أصحاب الحكمة، ومن المفيد ألَّا تستقرّ على روتينٍ قد تجاوزه الزَّمن، ومن المفيد أن تتطلّع لأيِّ شيء مفيد.

ولأنَّ توليد الأمل هو توليد الشَّيء من الشَّيء؛ إذن فلا استحالة، مع العلم أنَّ الأشياء وفرة في كلِّ مكان، وعليه:

ـ لِمَ لا تصنع من الشّجر أبوابًا؟

ـ لِمَ لا تصنع من القطن ملابس؟

ـ لِمَ لا تفكّر فيما تفكّر فيه قبل قوله وفعله والعمل به؟

ـ لِمَ لا تقيّم نفسك عند كلّ قصور؟

ـ لِمَ لا تفكّر في تطوير أساليب العمل الذي جعل منك روتينيًّا ولا تجديد؟

ـ لِمَ لا تتحدّى نفسك قبل أن يتحدّاك الغير؟

إذن: عليك أن تعرف أنَّ كلّ شيء يتجدّد ويتطوّر ويتولّد فلا تغفل أكثر ممّا غَفِلتهُ؛ وعليك أن تنظر إلى الكون وكيف

يتمدّد ويتسع ويتسارع توليدًا؛ وعليك أن تعرف أنَّ الله تعالى خَلق الكون والأرض لم تكن إلَّا جزءًا منه، وأنبت آدم وزوجه من الأرض نباتًا (توليدًا)؛ ولذا يكفيك يا ابن آدم غفلةً؛ وليس لك إن أردت مستقبلًا ناهضًا إلَّا قبول التحدّي للصّعاب التي إن واجهتها تنهزم أمام صمودك وصبرك وتحدِّيك.

ولذلك فتوليد الشَّيء من الشَّيء بين نشوء وصنعة؛ ومن ثمَّ فالشَّيء لا يكون إلَّا خلقًا، أمَّا توليد الشَّيء من الشَّيء فلا يكون إلَّا نشوءًا، وكل هذا بيد الله تعالى، أمَّا الذي بين أيدينا إن عملنا استطعنا أن نولِّد من الشَّيء أشياءَ.

ولأنَّ النّشوء لا يكون إلَّا من شيءٍ كانت الأرض وكان نشوؤنا منها، ولو لم يكن اللاشيء، ما كانت الأرض شيئًا منه، ولو لم يكن الانفجار العظيم ما كان اللاشيء شيئًا، ولو لم تكن تلك الذَّرة ما كان ذلك الانفجار العظيم، ولو لم يكن الخالق ما خُلق شيء؛ قال تعالى: {وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[47].

ومع أنَّ الله خَلق كلّ شيء وهو الخلّاق لما يشاء، متى ما يشاء، كيفما يشاء، وأينما يشاء، ولكنَّ البشر لا يعلمون كلّ ما خُلق؛ فهناك ما يعلمونه خبرًا، وهناك ما يأخذونه أمرًا ونهيًا، وهناك ما يدركونه عقلًا، وهناك ما يرونه مشاهدة؛ فالبشر كما يسلّمون يقينًا بما يعلمونه؛ فهم يؤمنون يقينًا غيبيًّا بما يجهلونه؛ كونهم قد بلّغوا به إعجازًا؛ فعلى سبيل المثال: المؤمنون يعلمون بالسّاعة، ولكنّهم يجهلون ساعتها، ويعلمون بالنّعيم ويجهلون نعمه، ويعلمون أنَّ السّماوات والأرض كانتا رتقًا، ويجهلون كيفيَّة فتقهما، وهكذا سيكونون عاجزين عن معرفة الكيفيَّة التي سترتقان بها من جديد: {فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ

---

[47] المائدة: 17.

وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عزَّيزٌ ذُو انْتِقَامٍ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ}[48].

ومع أنَّ النّشوء مترتّب وجودًا على ما خلق، فإنَّه لا يكون إلَّا وفقًا للمشيئة، التي هي دائمًا سابقة على الشَّيء، أي: لا شيء ينشأ ويُخلق إلَّا من مشيئة الخالق، ومشيئة المشيء إرادة خَلقية، خَلقت تلك الذّرة، وفجّرتها خلقًا آخر؛ ولذلك فَخَلق الشَّيء من الشَّيء وجَعلهِ على الهيئة والصّفة يعدُّ نشوءًا من مشيئة الخالق.

وعليه: فإنَّ العقل المتأمّل في الوجود الخَلقي يدرك أنَّ وراء كلّ شيء مشيء له؛ فلو لم يشئه ما كان شيئًا، وبما أنَّه أصبح شيئًا؛ فهو لم يكن إلَّا وفق مشيئة، وهذه تستوجب مقدرة خلقيَّة، وخَالق يهيئ المخلوق للخلق قبل أن يخلقه؛ ومن ثمّ فلا شيء إلَّا من مشيء؛ قال تعالى: {إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شيئًا}[49].

ولأنَّ خَلق الشَّيء من الشَّيء يعد نشوءًا؛ إذن فلا نشوء إلَّا والحياة تملؤه؛ فالأرض لو لم تكن على الحياة ما كان ترابها صالحًا لخلق الإنسان، وإنباته مثل النبات نباتًا، إنَّه النَّبات الذي من بعده لا تخلق الكائنات من الكائنات إلَّا تزاوجًا.

ولذلك كان الخَلق أوَّلًا، ثمّ جاء النّشوء مترتّبًا عليه، ومن بعده جاء خلق الأزواج من طين، ثمّ جاء خلق التزاوج من نطفة؛ فكان التكاثر على التسيير فيما لا شأن للإنسان به، وكان التخيير وفقًا للإرادة والرّغبة التي تمتدّ بين شهوة عاطفيَّة، وخُلقٍ وحُسن تدبُّر وضبط ضمير.

ولأنَّ الكون لا يخرج عن كونه شيئًا؛ فالشَّيء لا يمكن أن يكون إلَّا مخلوقًا؛ ولأنَّه المخلوق فلا يمكن أن يكون خالقًا؛

---

[48] إبراهيم: 47، 48.

[49] الأنعام 80.

فالخالق (لا يكون شيئًا، ولا يكون لا شيئًا، ولا يكون شيئًا آخر). بل هو الخالق، الذي يَخلق ولا يُخلق.

وعليه: فإنَّ الأشياء المخلوقة لابدَّ أن تتولّد من بعضها البعض، وتتناسل من بعضها البعض بقوَّة خارجة عنها؛ انطلاقًا من أنَّ (المخلوق لا يمكن أن يخلق نفسه)؛ ومن ثم فإنَّ تتبّع استمداد الشَّيء من الشَّيء المستمدّ منه، أو المخلوق من المخلوق منه يعد الطّريق العلمي الممكّن من معرفة الخالق عن بيّنة وعلم تامّين، وهو الممكِّن من توليد الشَّيء من الشَّيء، فَلِمَ لا ننظر ونستطلع ونستقرأ ونتطلّع ثمّ نقبل بالتحدّي ونصبر على العمل الممكِّن من بلوغ الغايات ونيل المأمولات من بعدها؟

ولهذا فقد بيَّن الله لنا الشَّيء خَلقًا، ثمّ نشوءًا (خلق من خلق) أي: خلق الشَّيء من الشَّيء؛ وذلك ليبيّن لنا آياته إعجازًا، ثمّ ليفسح أمامنا إمكانيَّة توليد الشَّيء من الشَّيء أملًا؛ ولهذا قد عمل أصحاب العقول ما عملوا توليدًا (تكاثرًا) دون أن يخلقوا شيئًا؛ لأنَّ الخلق استحالة بالنِّسبة إلينا؛ ذلك لأنَّه فعل الخَالق: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شيئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}[50]، أمّا توليد الشَّيء من الشَّيء فهو الممكن؛ حيث تولّد الفكرة من الفكرة أملًا يصنع مستقبلًا قبل أن يأتي إلينا.

ولأنَّ الخالق جعل الجنَّة مأمولة للمؤمنين، فكان عليهم الصّبر وقبول التحدّي والعمل من أجل بلوغها؛ مصداقًا لقوله تعالى: {أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ثُلَّةٌ مِّنَ الأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِّنَ الآخِرِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّنْ مَعِينٍ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ

---

[50] يس: 82.

مِّمَّا يَشْتَهُونَ وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[51]، أي: لا جنَّة بلا عمل، وهذا يعني: لا عمل بلا أمل؛ فمن كان له أملٌ عملَ عليه، ومن لم يولّد أملًا في نفسه وعقله فلا مأمول له؛ ممّا يجعل وجوده عبئًا على نفسه وعلى الغير.

فالله تعالى جعل لنا مأمولًا عظيمًا (الجنَّة)، ويودُّ أن تكون لنا فيه مكانة؛ فقال: {وَقُلِ اعملوا}[52]، أي: اعملوا صابرين على تحدِّي الصِّعاب حتى تولّد لكم آمالًا تمكّنكم من بلوغ الجنَّة والفوز بها؛ فهو كمن يقول: إنَّ الجنَّة تنتظركم فلا تتأخروا عنها؛ فاعملوا كلّ ما من شأنه أن يمكّنكم مِن الرُّشد والغنا والمتعة في مرضاته والرَّفاهية والسَّلام والأمن، فهذه جميعها إن كانت في مرضاة الله فإنَّها تقرّبكم من أبواب الجنَّة حتى تدخلوها آمنين، أي وكأنَّه يقول: تجنّبوا ما يؤدِّي بكم إلى الألم والفقر؛ فالألم لا مكان له في الجنَّة، والفقر لا مكان له في الجنَّة، ومن يعيشهما في حياته الدُّنيا إرادة (الفقر والألم) فهو كمن يمنع نفسه عن الاقتراب من أبواب الجنَّة؛ ومن ثمَّ لِمَ لا نعمل حتى نصبح أغنياء ونطوي صفحة الفقر وصفحة الألم؟ وما هي المعطيات الفارقة بين الغنى والفقر؟

أقول:

العمل مع قبول التحدّي ومزيدٍ مِن الصَّبرِ هو الفارق.

ولكن أيُّ عمل؟

العمل المرضي لله تعالى، وهو المرضي للنَّفس والآخر في وقت واحد؛ ولهذا العمل غير المرضي قد يشبع حاجة، ولكنَّه لا يُمكِّن من نيل المأمول؛ فهو قد يجعلك متباهيًا ومتكبّرًا

---

[51] الواقعة: 11 - 24.

[52] التوبة: 105.

ومفسدًا وهذه الصِّفات لا تؤدِّي بأصحابها إلى الفوز بالمأمول العظيم (الجنَّة).

ولأنَّ الله يريدنا أغنياء بنعيمه في الدَّارين؛ فجعل لنا الخيرات في الدَّارين مع الفارق في المقارنة، وللفوز بالعيش النَّعيم قال: {اعملوا} وبعث رُسُله يحثّون على العمل؛ مصداقًا لقوله تعالى: {وَيَا قَوْمِ اعملوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ}[53] أي: اعملوا ما استطعتم حتى تبلغوا الغنى رشدًا (غنى النَّفس والعقل والقلب) بمعنى: اعملوا الخيرات الحسان بلا تردّد، وولّدوا ممّا تعملون آمالًا عريضةً بها تطوى المسافة بينكم والمأمول العظيم الذي ينتظركم؛ أي:

ـ يا فقراء النَّفس ولّدوا الغنى في نفوسكم كلمة طيّبة.

ـ ولّدوا الغنى في عقولكم فكرة منتجة.

ـ ولّدوا الغنى في قلوبكم محبَّة لله وعبيده واصبروا عليه.

ـ ولّدوا الغنى في أعمالكم وجهودكم تحدٍّ للفقر.

ـ ولِّدوا من الفكرة فكرة بنَّاءة.

ـ ولِّدوا من النِّعمة نعمة متجدّدة.

ـ ولّدوا من الهدف أهدافًا قابلة للإنجاز.

ـ ولِّدوا من الغرض أغراضًا بلوغها ممكنٌ.

ـ ولِّدوا من الغاية غايات لا يأس من بعدها.

ـ ولِّدوا من الأمل آمالًا مشبعة للحاجات المتطوِّرة والمتنوّعة.

---

[53] هود 93.

ـ ولِّدوا من الصّبر صبرًا، ومن التحدِّي تحديًا، ولا استغراب؛ فكل شيء ممكن في دائرة المتوقَّع وغير المتوقَّع؛ فلا تتأخروا إن أردتم بلوغ الجنَّة.

وعليكم جميعًا أن تفكّروا حتى تستطيعوا توليد الأمل من الأمل، وعليكم بإدارة الزَّمن، وعليكم بامتلاك الإرادة التي لا تكون إلَّا بقرار منكم؛ فاتخذوه عن وعيٍ قرارًا، وفي كلّ قرار عليكم بالصّبر الذي من بعده يتحقّق الخير بتقوى الله؛ فإن فعلتم ذلك لا شكّ أنَّ الجنَّة ستقترب منكم أكثر ممّا تقتربون إليها محبَّةً.

ومع ذلك فكّروا؛ فالتفكير المتّزن يخرج من التَّأزُّمات ويخلّص من الآلام والمواجع، ومنه تلد الفكرة فكرة أعظم؛ فهي وإن كانت فكرة مجرّدة فإنَّها قد تتولَّد من الشَّيء المشاهد أو الملاحظ، كما تتولّد وتستمدّ القوانين من المعطيات الكونيَّة والطَّبيعيَّة؛ ولأنَّ الفكرة مولود العقل؛ فهي متى ما وُلدت فيه، ولّدت منه رؤية لشيء قابل للتحقّق بين أيدي النَّاس، وهي لا تكون كذلك إلَّا بتلاقح الآراء (سالبها وموجبها)، وكلّما كثرت المستفزَّات الخَلقيَّة والخُلقيَّة أثارت العقل انتباهًا لما يجب؛ فتدفعه حيويَّة الحيرة تجاه التخلّص من العَتَمة التي تَحول بين المحيّر والمأمول.

ولذا فالفكرة لا تلد في الخارج، بل الخارج يستفّز العقل ويُلفته إلى ما يُمكِن أن يُستكشف؛ فيبدأ العقل في العمل تجاه المستفزّ والحيرة تلازمه حتى يبلغه، وبعد بلوغه فلن تجد الحيرة مكانًا لها عند المستكشف معرفة وعن دراية، أي: لا يمكن أن تبقى الحيرة مع التجلّي المعرفي، بل تبقى مع بقاء اللبس والغموض والظُّلمة العتمة، وفي المقابل تزول بزوالهم.

ولهذا تعدّ الفكرة صوغًا عقليًّا لمولودٍ لم يولد بعد؛ وهو بعد الولادة لن يكون فكرة، بل شيئًا غيرها، ولكنّه المؤسّس عليها؛ فلو لم تكن ما كان؛ ولهذا فالفكرة لا تزيد عن كونها عمليّة عقليَّة واعية تمكن من استنباط الشَّيء من الشَّيء، بعد تهيّئه على الشّكل أو الصُّورة أو الرِّسالة والموضوع، ممّا يجعل المستنبط في صورة موضوع عام؛ حيث لا تفاصيل؛ فالتفاصيل لا تكون إلَّا للموضوع الذي تمدّدت الفكرة فيه بداية ونهاية، والفكرة هي الفكرة، والموضوع ارتقاء لا يكون إلَّا المفسّر للفكرةِ إيضاحًا.

فبعد أن تطوَّر الإنسان من حياة الفطرة والتقليد إلى حياة الإنباء والفكرة، أصبح يُبدع استكشافًا، وليس خَلقًا؛ ذلك لأنَّ المخلوق لا يَخلق، ولكنّه في دائرة الممكن يكتشف المخلوقات، ثمّ يكتشف منها أسرارًا كانت مجهولة؛ فيكتشفها ملاحظة وبحثًا، وتأملًا، واستنباطًا، واستقراءً، ثمّ يوظّفها أملًا بما يعود عليه بالمنفعة، وهكذا هي الحياة والإنسان فيها يتطوّر بالفكرة، ومع ذلك لم يكن التفكير كلّه مؤسّسًا على استنباط الفكرة ارتقاءً، بل هناك مِنَ الفكرة ما يؤدِّي إلى السُّفليَّة والانحدار دونيَّةً.

ومع أنَّ الفكرة تلد في العقل البشري بداية بمستفزّات خارجيَّة، فإنَّها بعد أن تلد منه إنتاجًا، تصبح وفقًا للقدرة قابلة للانتقال من عقلٍ إلى عقلٍ مع وافر التأثير، سواء أكان تأثيرًا موجبًا، أم سالبًا، وعندما تكون الفكرة بنائيَّة، تدفع المتلقِّين لها إلى الارتقاء، ولكن إن كانت هدّامة؛ فستدفع بمتلقيها إلى ارتكاب الأعمال الدُّونيَّة؛ ومع ذلك فالعيب لا يلاحق الفكرة المجرّدة، بل العيب يلاحق مَنْ كان من ورائها (من أوجدها)؛ الذي فكّر فيما يضرّ في الوقت الذي ينبغي أن يفكّر فيه فيما يفيد وينفع، وهنا تكمن العلّة التي تكمن في أصحاب الفكرة الهدَّامة سواء الذين أنتجوها، أم أولئك الذين سوّقوا لها ووظّفوها.

وعليه:

ينبغي ألَّا ننظر للمستقبل وكأنَّه الزَّمن المجرّد، بل ينبغي أن ننظر إليه مأمولًا فيه الخلاص من كلّ سُفليَّةٍ ودونيَّةٍ، وليس لنا إلَّا الصّبر والتحدّي عملًا من أجل بلوغه نفعًا، نفعًا يخلّص من كلّ حاجة وفاقة، ومن كلّ مرض وداء، ومن كلّ ظلم وعدوان، ومن كلّ ضعف ووهن؛ ولذا فلا ينبغي لنا أن ننظر إلى المستقبل وكأنَّه مجرّد زمن؛ فإن نظرنا إليه هكذا كونه لا يزيد عن زمنٍ فلا شكَّ أنَّنا سنكون في خانة الكسالى المنتظرين، وفي المقابل إذا نظرنا إليه مأمولًا فليس لنا إلَّا العمل والصّمود صبرًا، والقبول بالتحدّي من أجل بلوغه ونيله أو الفوز به.

ولسائل أن يسأل:

ممّا يتولّد الأمل تحدٍّ؟

إنه يتولَّدُ من:

ـ التذكّر الذي يلفت العقل إلى قراءة التَّاريخ وأخذ العبر والمواعظ منه.

ـ التأمّل في المشاهد حتى معرفة المجرّد الذي من ورائه.

ـ التدبُّر الذي لا يتيسّر إلَّا بعد استقراء واستطلاع للواقع كما هو؛ بهدف تغييره إلى ما ينبغي أن يكون عليه رفعة ونهضة.

ـ التفكير فيما يجب بلا عواطف مع القبول بدفع الثَّمن من أجل الأفضل المأمول.

ـ قبول تحدّي الصِّعاب ومواجهتها حتى تُقهر وتُهزم.

وعليه: لم يكن الأمل مجرَّد استقراءٍ للمستقبل، بل الأمل لا ينفصل عن العمل تحدِّيًا من أجل بلوغ المستقبل، أي: إنَّ

أصحاب الآمال العريضة لا ينظرون للمستقبل زمنًا مجرّدًا، بل ينظرونه الحياة المأمولة، التي فيها التيسير مخلّصًا من كلّ تعسير؛ ولهذا فهم يسابقون الزَّمن عملًا منتجًا ومبدعًا؛ ومن ثمَّ فالآملون ليس لهم وقت للانتظار، وهذا الأمر أخرجهم من خانة المستهلكين إلى خانة المنتجين، ومن خانة الضُّعفاء إلى خانة الأقوياء، ومن خانة الفقراء إلى خانة الأغنياء، ومن خانة المستسلمين إلى خانة المتحدّين.

فالأمل كونه من إنتاج العقل، لا يستمدُّ إلَّا من واقع هو في حاجة لأنْ يُطوّر أو يغيّر؛ لأنَّ معظم الآمال هي نتاج استشعار مُعضلة أو مشكلة تستوجب التجاوز أو تتطلّب حلًّا، ومتى ما بلغ الإنسان حلًّا اكتشف معضلة أخرى تلفت عقله وتستثيره تفكيرًا بغاية بلوغ المأمول حلًّا؛ فيفكّر تدبُّرًا حتى يقتنص للفكرة حلًّا من خلال بحث يتّضح فيه أثر المتغيّرات المستقلّة والمتداخلة في كلّ معضلة، وكلّما ازداد عدد المشاكل والمعضلات الحياتيَّة يفترض أن تتولّد آمال منقذة.

ولأنَّ الإنسان في دائرة الممكن خُلق مخيَّرًا؛ فينبغي أنْ يفكّر فيما يشاء كيفما يشاء والأمل لا يفارقه، فيقبل ويرفض، ويخطئ ويصيب، ويصبر ويصمد في صبره، ويتحدّى ويقبل بالتحدِّي؛ ومن ثمَّ فبإمكانه أن يتطوّر ارتقاءً، أو أن يتخلّف وينحدر دونيَّةً؛ ولأنَّ الإنسان في أمرهِ مخيّرٌ فله من المشيئة في دائرة الممكن ما له، يأمل أو لا يأمل، يؤمن ويكفر أو يشرك كما يشاء؛ ذلك لأنَّ كلّ شيء في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع هو بين يديه إرادة ورغبة ومقدرة واستطاعة.

الصَّبرُ يتطلّب إرادة:

الصَّبرُ ليس بالأمر الهيّن هكذا كما يظنُّه البعض وكأنَّه المملوء سلبيَّة، بل الصَّبرُ تحدٍّ مملوء بالحيويَّة الدَّافعة إلى

النُّهوض وصُنع المستقبل رفعة ونهضةً؛ ولهذا فالصَّبر لا يقدر عليه إلَّا أصحاب الأفكار الذين لا يغفلون عن الأخذ بمواعظ التَّاريخ وعبره، ولا يغفلون عن الأخذِ بحكم أهل الحكمة؛ ولهذا فأهل الصَّبر أهل إرادة، والإرادةُ تؤدِّي بأهلها إلى امتلاك زمام الأمر بلا سُلطان خارجي، فبها يتمكّن الإنسان من الاختيار الحرّ، وبدونها يقاد ويُقهر وفقًا لرؤية الغير، وهي الوعي بما يجب وبما لا يجب مع وافر الحرّيَّة؛ إذ لا إرغام من أحدٍ؛ ومن هنا فهي منبع الأمل للذين يأملون بلوغ غاياتهم بلا تدخّلات على حساب القيم الخيِّرة والفضائل الحميدة والكرامة الإنسانيَّة.

وعليه: فإنَّ الإرادة بدون تمكين الأفراد والجماعات من ممارستها تظل مفهومًا مجرّدًا ليس إلَّا؛ ولهذا فأهميَّة الإرادة كونها المتجسِّدة في الأفعال، وبها يتمكّن النَّاس من بلوغ ما يأملون عملًا وسلوكًا؛ ومن ثمّ فالتمكّن من الإرادة إرادي، أمَّا التمكين منها فمسئوليَّة من يتولّى مسئوليَّة سواء أكانت أسريَّة أم اجتماعيَّة أم وطنيَّة أم إنسانيَّة.

ولأنَّ الإرادة وعي بما يجب وبما لا يجب؛ فهي قرار يصدر للإقدام الاختياري دون إكراه على ما يجب أو ما لا يجب، مع تحمُّل ما يترتّب عليه من أعباء ومسئوليَّات، والإرادة وثيقة الصّلة بالوعي بفعل يحقّقها ويخرجها من المعنوي إلى المحسوس، الذي يُظهر العلاقة القويَّة عن ثقة مع الموضوع الذي به ظهرت إلى حيّز الوجود المشاهد والملاحظ.

والإرادة في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع تكون مسئولة وقد لا تكون؛ فعندما تكون مسئولة عن الأخذ بالبديل تحقّق للفاعل وللموضوع الاعتبار والاعتراف والتقدير، وعندما لا تكون مسئولة عن اختيار البديل لا تحقّق لصاحبها

الاعتبار، ولا الاعتراف ولا التقدير، بل تحقّق له النّدم يوم لا ينفع النَّادمين ندمهم.

ولهذا فالإرادة قرار يحمل مسئوليَّة، والمسئوليَّة لا تكون إلَّا عن وعي تام بما سيتحمَّله الإنسان مع وافر الرِّضا بما سيترتّب على ما سيقدم عليه من عمل أو سلوك؛ حيث لا إجبار من أحدٍ؛ ومن هنا فالإرادة فيها من التمكين ما فيها؛ ولهذا فهي منبع أمل لمن قوّضت حرّيَّته أو حُرِمَ من ممارستها بإجراءات تعسُّفيَّة من قِبل الغير.

ولأنَّ الإرادة تمكين فهي منبع أمل؛ كونها نتاج قرار قابل للتنفيذ، وهي بعد التنفيذ في دائرة المتوقَّع تُمكِّن الإنسان من تحمُّل أعباء المسئوليَّة دون تردّد، أمَّا الإقدام على الفعل بدون توافر الإرادة؛ فقد لا يحقّق للفعل إنجازًا بأسباب الخوف والتردّد، وإنْ تمّ إنجازه إكراهًا فلن يكون مثالًا.

والإرادة المسئولة الواعية هي التي لا يتخلّى فيها الإنسان عن تحمُّل ما يترتّب عليها من أعباء جِسام، ومن أجلها يصبر ويصمد ويقبل بالتحدّي والغايات العظيمة لا تفارقه؛ ومن ثمّ فلا يترتّب عليها ندمًا؛ ولهذا فلكلِّ شيء قاعدة إصلاحيَّة واستثناء إفسادي. والاستثناءات هي التي يقدم على فعلها المارقون أو المنحرفون، وبخاصّة أولئك الذين يتربّعون على قمّة السّلطان ولا يحيدون عنه، وكأنَّ الأوطان لم تنجب غيرهم من بني الوطن أو وكأنَّ الشَّعب (كلّ الشَّعب) لا يوجد فيه أحد مؤهّل لممارسة الحرّيَّة بأسلوبٍ ديموقراطيّ.

ولذلك في مقابل هذه القواعد المنظّمة لممارسة الحرّيَّة تظهر الاستثناءات من قِبل الأنا (الشَّخصانيَّة)، ممَّا يجعل مَنْ وضع نفسه على قمّة سلّم السُّلطان مهيمنًا على كلِّ أمرٍ سياسي واقتصادي واجتماعي في خانة الاستثناءات مطاردًا، حتى وإن

نصَّب نفسه شرطيًّا مدَّعيًا سلامة الوطن والأمن العام وتنفيذ القوانين بحزم، أو حتى وإن نصَّب نفسه واعظًا ومرشدًا بما أنَّه في دائرة الاستثناءات لن يكون إلَّا مطاردًا حتى النِّهاية.

ولهذا فكلّما اشتدّت المطاردة واشتدّت التَّأزُّمات بين قاعدة الاعتبار وقمّة سلّم السُّلطان، وهُدّد الآخرون بالموت من قِبل من هم في دائرة الاستثناءات، أصبح الموت عندهم مطلبًا مع توافر الرّغبة؛ ولهذا يفقد من هو على قمّة سلم السُّلطان مكانته، ويفقد الشّرطي سلاحهُ، والواعظ حُجَّتهُ التي بها يلاحق الآخرين، ويكون كلّ منهم ضحيَّة مستبدلًا بلا ثمن.

وعليه: فأنَّ الموت الذي هو سلب الحياة يتحوّل إلى قيمة مقدّرة إجابًا، وبه يتمّ نيل الاعتراف والتقدير والاعتبار عندما يكون عملًا يرجو الإصلاح أملًا وارتقاءً.

ومع أنَّ بعض النَّاس يتصوّرون أنَّ الإرادة هي حُسن الاختيار، فإنَّه لو كان الأمر كذلك لكان المسمّيان لمعنى واحد، والدّليل على ذلك أنَّ الإرادة عندما تكون أمام أمرين فإنَّها تختار أحدهما أو تستبدله دون الآخر، وكذلك فإنَّ الإرادة عندما تتخذ قرارها يكون هذا القرار في اللحظة نفسها اتجاه هذا الأمر، أمَّا الاختيار فيكون من أمور متعدِّدة يقع الاختيار على واحد منها يتمّ دفعه للإرادة التي تتّخذ قرارها فيه.

فالاستبدال إمَّا أن يكون بين أمرين، أو بين اختيارين وفقًا لِما تمليه القيم، أو ما تمليه المصلحة، أو حتّى ما تمليه الأطماع، وإمَّا أن يكون الاستبدال الإرادي من متعدّد البدائل؛ فالإنسان بإرادته الحرّة يستطيع أن يختار أو يستبدل ما يشاء وفقًا لتفضيلاته، أو وفقًا لِما هو أقلّ ضررًا، أو لِما هو أكثر ضررًا من غيره؛ فأصحاب الشَّرّ لا يفضِّلون غيره بإرادة، وأصحاب الحقّ والخير لا يفضّلون غيره، وهكذا كلّ شيء بإرادة، ومن

بين هذا وذاك في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع، يستطيع الإنسان أن يُرتِّبَ بدائله وفقًا للمتاح مع مراعاته للظّرف الزّماني والمكاني، ولكلِّ خصوصيَّة لا تتطابق مع خصوصيَّات الآخرين وإنْ تماثلت معها.

ولأنَّ العلاقة قويَّة بين الإرادة والاختيار والرَّغبة في الاستبدال، ودرجة التفضيل بين ما هو قابل للاختيار منه، أو قابل لاستبداله بالكامل، فإنَّ التقييم للاستبدالات أو الاختيارات والتفضيلات يُسهم في تهذيب الإرادة وتطويرها وتغييرها من أجل استبدال ما هو أفضل أو أنفع، وهكذا تتحسّن الأحوال وتقوَّم من قِبل الواعين بما يجب وبما لا يجب؛ لتكون السُّبل ممهّدة تجاه غايات مستنيرة بالحقّ وموجبات إحقاقه.

فالاستبدال الإرادي هو في واقع الأمر تقديري، بمعنى أنَّه يقوم على تقدير الأنا للقيمة المفترضة، ثمَّ تقييم تلك القيمة وصولًا إلى قرار الضّرورة الإراديَّة للاستبدال؛ فالتعويض مثلًا، هو استبدال إرادي لفاقد يجب تعويضه لضرورة أو لرغبة أو حاجة[54].

ولهذا فالإرادة قرار اختياري يؤخذ بوافر الرَّغبة تجاه كلَّ ما من شأنه أن يحقّق الرِّضا في حدود الوعي بما يجب وبما لا يجب، مع تحمُّل ما يترتّب عليه من أعباء ومسئوليَّات؛ ولذا فالإرادة وثيقة الصِّلة بالوعي بعزَّيمة تحقّقها وتخرجها من المعنوي إلى المحسوس الذي يُظهر العلاقة القويَّة عن ثقة مع الموضوع الذي به ظهرت إلى حيّز الوجود المشاهد والملاحظ.

والإرادة في دائرة الممكن قد تكون مسئولة وقد لا تكون؛ فعندما تكون مسئولة تحقِّق للفاعل وللموضوع الاعتبار، والاعتراف، والتقدير، وعندما لا تكون مسئولة لا تحقّق

---

[54] عقيل حسين عقيل، الهوية بين متوقع وغير متوقع، ص 178 - 180.

لصاحبها الاعتبار ولا الاعتراف ولا التقدير، بل قد تضعه في السّجن أسيرًا بين الجدران، ومع ذلك لكلٍّ مبرّره، والمهم في هذا الأمر بما أنَّها الإرادة فهي المعبّر عن الحقيقة ولو تمَّ إنكارها اضطرارًا.

وعليه: ينتفي الإرغام والإكراه وكلّ أساليب الإجبار المهينة كلّما وعي الإنسان إرادة بما يعمل أو يفعل أو حتى فيما يفكّر ولِما يتهيَّأ ولمن يستعدّ؟ ومتى يتأهّب؟ وبماذا؟

فالإرادة هي: قيمة تحقيق المكانة التي يسعى النَّاس إليها، ممَّا يجعل المستهينين بالآخرين مستهانًا بهم سواءً أكانوا على دراية بذلك أم لم يكونوا، ومن يجعل للآخرين مكانة يجد له عندهم مكانات، ومن يعتبر ويتّعظّ لن تكون له حاشية إلَّا من المتّعظين؛ ومع ذلك في دائرة الممكن كلّ شيء متوقَّع فلا داعي للغفلة، ولا داعي لاستغفال الآخرين، ولا داعي لسلب إراداتهم.

ولأنَّ الإرادة حقّ فينبغي أن تمارس بحرّيَّة في دائرة ترسيخ الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة، ولأنَّها حقّ ينبغي الاعتراف بممارستها؛ ولهذا يسعى الإنسان دائمًا لنيل الاعتراف لأجل تبوأ مكانة اجتماعيَّة أو علميَّة أو إنسانيَّة.

وهنا ينبغي أن نميّز بين الإرادة الفرديَّة والإرادة العامَّة؛ فالإرادة الفرديَّة هي في حدود الخصوصيَّة التي تتساوى فيها مع خصوصيَّات الآخرين دون اختلاف وإن كان هناك تنوّع وتعدّد.

أمّا الإرادة العامّة فهي التي يتمُّ توصيفها بصلاحيَّات واختصاصات تشريعيَّة وقانونيَّة، وهي القابلة للتقييم والتقويم وفقًا لمعايير موضوعيَّة متّفق عليها بمقاييس الجودة؛ ذلك لأنَّ الإرادة قرار يحمل مسئوليَّة، والمسئوليَّة لا تكون إلَّا بوعي تام

بما سيتحمَّله الإنسان مع وافر الرّضا بما سيترتّب عليه في أثناء التنفيذ.

ولأنَّ الإرادة نتاج قرار قابل للتنفيذ؛ فهي بعد التنفيذ تُمكِّن الإنسان من تحمُّل أعباء المسئوليَّة دون تردّد مع وافر الصَّبر وقبول التحدِّي، أمَّا الإقدام على الفعل دون توافر الإرادة قد لا يحقِّق للفعل إنجازًا موجبًا أو لم يُنجز أصلًا بأسباب الإجبار والإكراه أو بأسباب الخوف والتردّد.

ومن ثم فإنَّ الإرادة المسئولة هي الإرادة الواعية التي لا يتخلّى فيها الإنسان عن تحمُّل ما يترتّب عليها من أعباء جِسام؛ ومن هنا فلا يترتّب ندم في نفس من أقدم على أدائها؛ ولهذا يكون لكلِّ شيء قاعدة إصلاحيَّة واستثناء إفسادي. ومن ثمَّ فمن يقرّر أن يواجهك عن إرادة؛ فعليك ألَّا تستهين بالأمر؛ وعليك أن تعرف أنَّ الإرادة كفيلة بأن تُنجز في دائرة الممكن غير المتوقَّع ما لم يكن في دائرة الممكن متوقعًا[55].

الصَّبرُ إرادة مصدر قوَّة:

الصَّبرُ عن إرادة لا يكون إلَّا عن وعي ودراية؛ ولهذا فامتلاك الإرادة قوَّة، ومن يمتلكها يمتلك زمام أمره؛ فهي النشاط الواعي الذي يَقدم عليه الإنسان الحرّ عن وعي وإدراك سابقين؛ لأجل بلوغ غايات بعزّيمة وإصرار وبدون تردّد؛ ولذلك فاتخاذ القرار عن دراية وتنفيذه بكلّ وعي وتحمّل ما يترتّب عليه من أعباء يدلّ على ممارسة الفعل الإرادي بين الأفراد والجماعات والمجتمعات البشريَّة، ومع ذلك لا إرادة إلَّا بقدرة وقرار، وتنفيذ، ومسئوليَّة، وتهيئ نفسي مع واسع الصَّبر وواسع التحدّي.

[55] عقيل حسين عقيل، الإرهاب بين قادحيه ومادحيه، ص 39 - 43.

ولهذا قوَّة الإرادة will هي التي تُمكِّن الإنسان من ممارسة الحرّيَّة.

وعليه: فالقاعدة هي:

ـ قوَّة الإرادة.

ـ اتخاذ القرار.

ـ تنفيذ القرار.

ـ حمْل المسئوليَّة.

ـ قوَّة الصَّبر.

ـ قوَّة التحدِّي.

ـ تنمية القدرة.

ـ التهيؤ النَّفسي.

والاستثناء هو:

ـ ضعف الإرادة.

ـ عدم المقدرة على اتخاذ القرار.

ـ عدم المقدرة على تنفيذ القرار.

ـ التخلي عن حمْل المسئوليَّة.

ـ القلق والاستعجال والتّسرُّع.

ـ الاستسلام والرّكون للدّعة.

ـ عدم تنمية القدرة.

ـ عدم التهيؤ النَّفسي.

وعليه: فإنَّ قوَّة الإرادة تقوّي المناعة، وبما أنَّ الإرادة تقوّي المناعة؛ إذن: **القاعدة هي:**

ـ قوَّة الإرادة.

ـ قوَّة المناعة.

والاستثناء هو:

ـ ضعف الإرادة.

ـ ضعف المناعة.

وعليه:

وفقًا لقاعدة المتوقَّع: خذ بالقاعدة.

ووفقًا لقاعدة غير المتوقَّع لا تهمل الاستثناء.

ولهذا كلّما قويت إرادة النَّاس قويت مناعتهم.

فالمناعة immunity سياج دفاعي يُحصِّن الأفراد والجماعات والمجتمعات من الانهيار، ويقيهم من الاستسلام لِما لا يجب؛ ولهذا على الأفراد والجماعات والمجتمعات العمل على تقوية مناعة الأنفس حتى لا يستسلموا للمؤثّرات السَّلبيَّة، وحينها يصبح الانحراف وكأنَّه قاعدة.

لذلك على الشّعوب أنْ تستثمر قواها إرادة من أجل تقوية بناء شخصيَّة الفرد والجماعة والمجتمع على مبادئ وقيم تجعلهم على حالات من الاعتبار والرّقي في المهارة والمسلك؛ حتى لا يكونوا على حالة انسحاب وضعف ووهن وركون إلى كلّ سالب، أي يصبح أمرهم مغلوب عليه من قِبل الذين قبلوا التحدّي على حِسابهم.

ولهذا يستثمر إخصائي التنمية البشريَّة والأخصائي الاجتماعي والأخصائي النَّفسي قوَّة الإرادة في تعطيل أنماط التفكير الخاطئة عند العملاء قيد البحث والدّراسة؛ وذلك بغاية تنمية أنماط التفكير الصّائبة، التي تُمكّن الأفراد من أحداث النُّقلة إلى مستويات الطُّموح المتطوِّرة عبر الزَّمن.

ولذلك فقوَّة القرار تكمن في قوَّة الإرادة، ومن ثمَّ فقوَّة القرار تكمن في قوَّة اتخاذه بمسئوليَّة مع الصّمود وقبول التحدّي صبرًا وعملًا، وكذلك تكمن في درجة الوعي والإلمام به وبالمعطيات التي تستوجب إقراره؛ ولذلك كلّ قرار يُتخذ سيظل نوايا وتصميمات مجرَّدة إلى أن يتمّ الإقدام على تنفيذه، حينها يصبح القرار نافذًا؛ وذلك بتماثل العزَّيمة والإصرار مع الإرادة الفاعلة صبرًا وصمودًا وتحدّيًا.

الصَّبرُ على الإرادةِ تحدّيًا:

مع أنَّ الإرادة قوَّة؛ فإنَّها إن لم تُفعَّل باستمرار قد تصبح على الوهن والضّعف، وقد تلين حتى تختفي وتنعدم؛ ولهذا متى ما فارقها الصَّبر وَهَنتْ ومتى ما كان لها رفيقًا نهضت وعظمت.

ومع أنَّ كلّ شيء بقرار ولا شيء بدونه، فإنَّ القرار لا يخرج عن كونه متوقَّعا أو غير متوقَّع؛ ولهذا كل القرارات على المستوى البشري هي في دائرة (الممكن). وبما أنَّنا نعرف أنَّ كلّ شيء يقع في دائرة الممكن، إذن فلا داعي للاستغراب.

وعليه: (كلّ شيء بقرار)، يســاوي: (كلّ شيء ممكن)، وبما أنَّه لا مستحيل في دائرة الممكن؛ إذن علينا بقبول تحدّى الصّعاب دون خوف ودون تراجع مع صبرٍ عن دراية وإرادة؛ ومن هنا فمن لا يتحدّى الصّعاب لا يُمكن أن يكون له مستقبلٌ نافعٌ وناهضٌ، ومن لا يُسرع قوَّة وتدبُّرًا لتحدّي الصّعاب لن

يجد له مكانًا ليضع قدميه عليه أمام الحركة السّريعة للمتنافسين، ممّا يجعل البعض على الرَّصيف جالسين في دائرة المستقبل؛ كونهم بقوا جالسين بلا أمل ولا مأمول مرتقب سوى الأمنيات المميتة.

ولهذا كلَّما كان القرار الإرادي قويًّا، وكان تنفيذه قويًّا مع وافر الصَّبر عملًا وتحدّيًا تجاوز أصحابه العقبات التي تحول دون إحداث النُّقلة الممكِّنة من النّهوض والرّفعة.

ولكي نتمكن من اتخاذ القرار عن وعي، علينا بمعرفة العلاقة التي تربط قوَّة القرار بقوَّة اتخاذه.

ولذا **فقوَّة القرار** في ذاته تكمن في الآتي:

ـ ما يحقّقه وما يترتّب على إنجازه.

ـ قوَّة الالتزام بتنفيذه.

ـ استيعابه لكلِّ من يتعلّق الأمر بهم أفرادًا أو جماعات أو مجتمعات.

ـ استيعابه للمتغيّرات ذات العلاقة بالموضوع.

ـ بلوغ محققاته لِما كان متوقَّعًا أو أنَّها كانت متجاوزة له.

ـ إحداثه للمفاجأة الموجبة التي تُحدث استغرابًا لكلِّ من لا يتوقّعه.

أمّا **قوَّة اتخاذ القرار** فتكمن في:

ـ أهميَّة القرار ذاته.

ـ قوَّة المعايير والقواعد والأسس والمبادئ.

ـ قوَّة التنفيذ.

- قوَّة الهدف.

- قوَّة الخطة.

- قوَّة إعداد البرامج.

- وضوحه والمستهدف من ورائه.

- الإصرار على تجاوز السّلبيَّات.

- الاقتناع وعدم التردد بمبررات اتخاذه.

- بما يتركه من أثر موجب.

وعليه: فالإرادة وثيقة الصّلة بالوعي والفعل الذي يحقّقها ويخرجها من المعنوي إلى المحسوس بفعل مادّي إرادي، وحينها يصبح الإنسان مسئولًا عمَّا فعل بإرادته سواء أكانت مسئولة أو غير مسئولة.

- الإرادة غير المسئولة: هي التي لا تحقّق لصاحبها الاعتبار والاعتراف والتقدير.

- الإرادة المسئولة: هي التي تحقّق للفاعل وللموضوع الاعتبار، والاعتراف والتقدير.

ولذا فلا إرادة دون موضوع واضح؛ ولذلك فبوضوح الموضوع تتحقّق الإرادة بالقوَّة الدّافعة إلى الفعل بعد تهيّئ واستعداد وتأهّب.

وعليه: الإرادة مسئوليَّة، والمسئوليَّة النَّاهضة لا تكون إلَّا بوعي تام بما سيتحمّله الإنسان لأداء ما يناط به من مهام: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا

جَهُولًا}[56]؛ ولنا أن نقول: إنَّ الأمانة هي خلافة الله في أرضه، وهذه هي المسئوليَّة التي تميّز بها الإنسان عن غيره من الكائنات، وليست العبادة فقط؛ لأنَّ جميع الكائنات منقادة لله عابدة له تسبّحه وتقدسه؛ ومن ثمّ فالإرادة تجعل الإنسان مسؤولًا؛ لأنَّه لا بدَّ أن يكون على وعي بما يقدم على فعله[57].

وعليه: فالإرادة المسئولة هي التي لا تكون إلَّا عن وعي، وهي التي لا تحقّق النّدم لأصحابها؛ ولهذا فلكلِّ شيء قاعدة إصلاحيَّة واستثناء إفسادي.

القاعدة الإصلاحيَّة:

- الدّفاع عن العِرض مع وافر التحدِّي.
- الدّفاع عن الوطن مع وافر الصَّبر.
- الدّفاع عن النَّفس بلا تردّد.
- تعمير الأرض صمودًا.
- نشر الوعي بقيمة الإنسان في الحياة.
- الحث على العلم النّافع.

أمَّا الاستثناء الإفسادي فيتمثل في:

- التفريط في الوطن.
- التفريط في النَّفس.
- هتك العرض.
- تخريب الأرض.

---

[56] الأحزاب 72.

[57] منطق الحوار ص 173.

ـ تعميم الجهل.

ولهذا فالإرادة قوَّة تُمكّن من حمل المسئوليَّة، وفقًا لصلاحيَّات واختصاصات مع وافر الوعي بما يجب، ووافر الإدراك تجاه ما يجب، ومع معرفة ميسّرة لحمل المسئوليَّة عن إرادة ورغبة صبرًا وتحدّيًا[58].

تحدّي الصِّعاب صبرًا يمكِّن من بلوغ الغايات:

الغايات مع أنَّها بعيدة المنال فإنَّ بلوغها ممكنٌ، وزمن بلوغها يقع بين جُهدٍ يبذل مع صبرٍ على بذل الجهد الممكّن من بلوغها والفوز بنيلها في الزَّمن المستقبل؛ قال تعالى: {فَاصْبِرْ صبرًا جَمِيلا إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدا وَنَرَاهُ قَرِيبا}[59]؛ ذلك هو تقدير الزَّمن للمستقبل المعلوم للعليم تعالى، وهو المجهول للذين عقولهم لا تستطيع أن تخترق المستحيل؛ ومع ذلك فمن أجل الغايات العظيمة أهل الدِّراية يعملون، وهم واثقون من بلوغها صبرًا وعملًا في مرضاة الله تعالى.

ولأنَّ الصَّعب ليس بمستحيلٍ فإنَّ تحدِّيه لا يكون إلَّا ممكنًا، ومع ذلك فلا تحدي للصّعاب بلا غايات مرجوة؛ ولهذا فالغاية هي بلوغ ذلك الشَّيء البعيد الممكّن من نيل المأمول، وهي تُبلغ عملًا وجهدًا يبذل مع صبرٍ وتحدٍّ يمكّنان من تجاوز الصِّعاب بعد مغالبتها بأهداف تنجز وأغراض تتحقّق.

والغاية مع أنَّها تُبلغ فإنَّها لا تدرك إلَّا من قِبل صاحبها الذي يأمل بلوغها؛ فهي لم تكن هدفًا مشاهدًا، بل هي ذلك المجرّد الذي يدرك ولا يشاهد.

[5858] عقيل حسين عقيل، الخدمة الاجتماعية الناهضة (كيف تصنع أملًا وتبلغ مأمولًا)، المصرية للنشر والتوزيع، القاهرة: 2020م، ص 91 – 108.

[59] المعارج 5 – 7.

والغاية لم تكن هي المأمولة، بل هي ما يمكّن من بلوغ المأمول، أي إنَّ المأمول هو ذلك الشَّيء المراد نيله أو الفوز به، أمَّا الغاية فهي الكامنة في العقول والصّدور، والتي في الغالب لا يعلن عنها حتى نيل المأمول الذي كان في الأنفس مجرّد غاية وأمل.

فالغايات لم تكن مثل الأهداف التي تحدّد بوضوح، بل هي في عقل الضَّامر وضميره، الذي وحده يعرف ماذا يريد؟ أو ماذا يرغب من وراء تلك الأهداف التي حدّدها وثابر على إنجازها عملًا وصبرًا.

فالباحث العلمي على سبيل المثال: لا بدَّ له أن يحدّد أهداف بحثه أوَّلا بأوَّل، حتى يتمّ اعتمادها من قِبل الأستاذ المشرف والتصديق عليها من لجنة القبول، أمَّا أغراض الباحث وغاياته فهي من وراء نيله درجة الماجستير أو الدّكتوراه، وهو وحده الذي يعرف غاياته، ولا يعلمها إلَّا الله أو من أخبرهم بها.

وفي المقابل إنَّ غايات النَّاس النَّاهضة هي غايات مرجوّة مأمولة؛ حيث لا قنوط ولا يأس؛ ولذا فلا يمكن لمتخصّص أيٍّ كان أن ينهض بالمهنة أو بدوره المهني ما لم تكن الغايات في عقله مأمولة.

ولأنَّها الغاية؛ فهي لا تدرك إلَّا ممّن يعلمها سرًّا وجهرًا؛ فعلى سبيل المثال: الغاية من التمدّد الكوني المطلق لا يعلمها إلَّا العليم المطلق؛ فذلك أنَّ معرفة الغاية من تمدّد الكون هي متجاوزة لدائرة الممكن، ومن ثمَّ فلا تدرك إلَّا من خارجها (من قِبل من بيده العلم المطلق) الذي خَلق ويخلق وسيخلق، قال تعالى: {وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ}[60].

---

[60] الذاريات: 47.

يفهم من هذه الآية: أنَّ ما اكتشفه علماء الفيزياء من تمدّد كوني لا مفاجأة فيه لمن يعلم أنَّ صفة الخالق هي الخَلق بلا انقطاع، فهو الذي خَلق الكون الذي نحن فيه (السّماء والأرض)، وكذلك خَلق الأكوان التي تعلونا طباقًا (سماوات وأرضين)، وهو الذي خلق التمدّد الكوني بلا انقطاع {وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ} وهو الذي بيده نهاية الكون: {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ}[61]، وهو الواحد الذي يعلم الغاية من وراء ذلك ولا أحد بإمكانه أن يعلمها.

فعلماء الفلك والفيزياء وكذلك المؤمنون على الرّغم من خلافهم على خَلقِ الكون، فإنَّهم يتَّفقون على أنَّه لم يعد بعد بلوغ الغايات إلَّا النّهاية التي لا يعلم الغاية من ورائها إلَّا الله جلَّ جلاله.

وعليه:

الغاية لم تكن النّهاية كما يعتقد البعض؛ ذلك لأنَّ الغاية من ورائها مأمول، أمَّا النّهاية فمن ورائها العدم، أي: إنَّ الغاية تُبلغ ليكون من بعدها المأمول بين اليدين قابلًا للتعامل معه حقيقة في ذاته وليس غاية، فالغاية دائمًا تكمن في الصّدور والعقول، وهي تتطلّب صبر مع حُسن تدبُّر حتى تُبلغ؛ ومع ذلك لم يكن بلوغها في ذاته هو الغاية، بل الغاية هي التي تُمكِّن من بلوغ الشَّيء؛ ليكون من بعد بلوغه قابلًا لنيله أو قابلًا للنيل منه، أو الفوز به شيئًا بعد أن كان مجرَّد أمل.

ولهذا فالغاية هي الأخرى قابلة لتجاوزها، أي: قابلة لتجاوزها بما هو مأمول، فالغاية تُمكّن أصحابها من بلوغ المأمول؛ ولهذا لم تكن هي المأمولة، بل هي فقط تُوصِلُ أصحابها صبرًا وعملًا حتى ملامسة المأمول، ولكن كيف ينال

---

[61] الأنبياء: 104.

المأمول؟ أو كيف ينال شيء منه؟ أو كيف يمكن أن يتمّ الغوص في أغواره؟ فذلك لا يكون إلّا حسب الجهد والأسلوب والمقدرة على الصّبر والعمل، وهو أيضًا بعد أن يتمّ بلوغه غاية قابلة لأن تتجسّد في الشَّيء المشبع للحاجة أو الملبّي للرّغبة أو المقصد أو الطّلب.

إذن: الغاية لم تكن الشَّيء كما يظنّ البعض حتى يقال عنها: (الغاية هي ذلك الشَّيء)، بل الغاية للمُشيء (الإنسان) فالغاية لا تزيد عن كونها ذلك الذي يضمره العقل البشري تجاه ذلك المأمول الذي يستوجب بعد بلوغه غاية كيفيَّة بها يتمّ التعامل معه أو التمكّن منه أخذًا؛ ولهذا سيكون هناك جهد يبذل بعد بلوغ الغاية وهو التعامل مع المأمول كسبًا وإشباعًا للرّغبة أو الشَّهوة أو الحاجة المتنوّعة.

فعلى سبيل المثال: إذا كان للإنسان غاية محدّدة وليكن السّفر إلى دولة ما؛ ولتكن على سبيل المثال: جُمهُورِيَّة أَلمانيَا الاتِّحَاديَّة، وتحقّق له هذا السّفر ودخل بإجراءات قانونيَّة إلى ألمانيا، فهنا تعد الغاية قد تمّ بلوغها، ولكن ما المقصد من ورائها؟ هل المقصد من ورائها هو العمل أم العلاج؟ أم مجرّد الإقامة والعيش هناك؟ فهذا الشَّيء لم يكن الغاية، بل هذا الشَّيء هو المأمول وهو المترتّب على بلوغ الغاية (بلوغ الأراضي الألمانيَّة)؛ وهذا الأمر يتطلّب ممّن كانت له غاية السّفر إلى ألمانيا أن يفصح عن مأموله، وأن يعمل عليه ويصبر حتى يتمّ نيله أو الفوز به وفقًا للجهد الموضوعي.

ولهذا فالغاية لا تزيد عن كونها الكامنة في الصّدور والعقول التي ترسم لمستقبلها مأمولات وتسعى إليها غاية تبلغ، ومن بعدها يتمّ نيل المأمول جهدًا مع قبول تحدّي الصِّعاب وصبرًا لا يجعل في نفس صاحبه للملل مكانًا ليركن إليه.

وعليه:

ـ الغاية تُبلغ فاصبر واعمل مجتهدًا ولا تقنط.

ـ الغايات لا تبلغ إلَّا تحدٍّ؛ فعليك بالتحدّي الذي يمكّنك منها صبرًا وتيسيرًا.

ـ الغاية مع أنَّها في النَّفس وتحت سيطرة العقل، فإنَّ الشَّيء المراد بلوغه قد يكون بعيدًا، ومع ذلك قوَّة الغاية وتحفّز أصحابها وصبرهم عليها يسرّع من طيي الهوة بين من يضمر في نفسه غاية والشَّيء المراد بلوغه.

ـ بلوغ الغاية يُمكّن من تفحّص المأمول ونيله.

ـ الغاية تُبلغ ولكنَّها لم تكن في ذاتها شيئًا، بل الغاية بلوغ الشَّيء؛ ليكون من بعد بلوغه عملًا يجعل نيل المأمول الذي تمّ بلوغه في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع ميسّرًا.

ـ ومع أنَّ الغاية تُمكّن من بلوغ الشَّيء، فإنَّها لم تكن هي الشَّيء في ذاته، فالشَّيء يتم نيله أو أخذه، أمَّا الغاية فلا تؤخذ ولا يتمّ نيلها، بل نيل الشَّيء لا يؤخذ إلَّا من بعدها؛ فينبغي للإنسان أن يولّد في نفسه غايات وفي عقله تدبّر، ثمّ يعمل حتى يتمّ نيل المأمول الذي لم يكن قبل نيله إلَّا مجرّد أمل.

ومن ثمّ فمن يُرد أن يبلغ الغايات العظيمة؛ فعليه أن يجعل غاياته درجات سلّم (درجة أعلى من درجة) أي: كلّما وضع الإنسان أحد قدميه على درجة من درجات السّلّم، أهّب قدمه الأخرى إلى الدّرجة التي هي أعلى من التي وضع عليها قدمه الأولى؛ ولذا فلا ينبغي لأحدٍ من بني آدم أن يغفل ويضع قدميه معًا على درجة من درجات السّلم؛ حتى لا تنكسر بأيّ علّة ويجد نفسه قد وقع على الأرض الدُّنيا حطامًا؛ فالقدمان لا يوضعان

بسلام وصاحبهما مطمئن إلَّا على قمّة استراحة السّلم الذي يرتق الأرض مع السّماء ارتقاء.

إذن: بلوغ الغايات يستوجب:

- تخمين مع حُسن تدبّر.
- وعي بالمأمول.
- إمكانيَّة بلوغ المأمول.
- قبول تحدّي الصِّعاب.
- صبر لا إحباط من بعده.
- ثِقة لا شكّ يراودها.
- يقين لا حياد عنه.
- صمود وإن كانت الصِّعاب تصاحبه مؤقّتا.
- ثبات ولا حياد عن تلك الأهداف الواضحة تجاه الغايات المراد بلوغها.
- عمل مؤسّس على التفهُّم والتبيّن؛ حيث لا غموض.
- اعمل وأنت تفكّر في كيفيَّة توليد الغاية من الغاية.

ولذا فعلى بني آدم أن يعملوا، وعليهم أن يعرفوا إنَّهم سيبلغون السّماء ارتقاء كلّما عملوا وفقًا لغايات يتمّ بلوغها، ولأجل بلوغ الارتقاء قمّة فلا بدَّ من سيادة الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة بين بني آدم، تقبّلًا، واحترامًا، وتقديرًا، واعتبارًا، واستيعابًا، وتفهّمًا، وتدبّرًا، مع مراعاة البدء مع النَّاس من حيث هم، من أجل أن يبلغوا الغايات العظام مع صبرٍ دون كللٍ وملل.

ولأجل ذلك ينبغي للإنسان أن تكون له غايات قابلة للبلوغ، وينبغي أن يكون من وراء الغايات التي تمّ بلوغها غايات أعظم من تلك التي قد بُلغت وحقّقت الاطمئنان لآمليها.

وكذلك في دائرة الممكن غير المتوقَّع هناك من يحدّد أهدافه بمعزَّلٍ عن قدراته وإمكاناته المتاحة، ممّا يجعل الأهداف لا تزيد عن كونها قد كُتبت على الورق، أو خبّأت في الصّدور، وهنا كما يقولون يقف حمار الشّيخ عند العقبة؛ حيث لا شيء ينجز، سوى الحديث عن تلك الأهداف المقبورة، وهنا يكمن الوهن والضّعف، ولا تتحقّق الغايات التي بنى البعض عليها آماله وهمًا وتخيلًا.

ومن ثمّ ينبغي لبني آدم عند رسم السِّياسات أن يجعلوا وراء كلّ هدف غرضًا، من ورائه أغراض تحقّق لهم المكانة والكرامة، أي تحقّق لهم المكانة الشَّخصيَّة قدوة، وتحقّق لهم الكرامة الآدميّة قوَّة ورفعة، وتحقّق لهم العيش السَّعيد قيمة. ولكن إن لم يعملوا ويفعلوا فلا شيء لهم إلَّا البقاء على الرّصيف بين حاجة وشُبهة، وهنا يكمن الانحدار علّة.

ولذا فكلّما أُنجز هدفٌ، من ورائه غرضٌ، من ورائه غايةٌ، يتمّ اكتشاف أهداف من ورائها أغراض تحقّق غايات أكثر أهميَّة، فالحياة الدُّنيا لا غاية من ورائها إلَّا رتق الأرض بالسّماء ارتقاءً، أي: كلّما وضع الإنسان أحد قدميه على درجة من درجات السّلم ارتقاء وتحقّقت له الرّغبة المرضية قيمة وفضيلة، يجدّ نفسه أكثر رغبة تجاه الصّعود إلى الطَّوابق العليا حتى يرى بأمِّ عينيه أنَّ الأرض والسّماء قد رُتقتا جنَّة.

فعلى بني آدم أن يعرفوا إنَّهم سيبلغون السّماء ارتقاءً كلّما عملوا وفقًا لأهداف تنجز رغبة، وأغراض تتحقّق عن إرادة، وغايات يتمّ بلوغها عن قوَّة، ولكن إن أحسّ بعضهم بشيء من

التّعب فعليهم بوضع أيديهم مع أيدي الصّاعدين ارتقاءً، وعليهم أن يتأكَّدوا أنَّهم في حاجة لوضع أيدهم مع أيدي الصّاعدين قوَّة.

وعليه:

فالغايات هي حيويّة الدَّوافع، ومثيرة الحوافز النَّفسيَّة والذّهنيَّة والعاطفيَّة بقوَّة الرّغبة والأمل تجاه ما يمكن أن يبلغ في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع. والإنسان بلا غايات فهو بلا آمال، ومن ثمّ فلن يكون في عصره من بين صنّاع المستقبل ومحدثي النُّقلة[62]؛ قال تعالى: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ}[63] يدلُّ مفهوم هذه الآية الكريمة على وجوب الصَّبر مع صبر الصَّابرين؛ الذين يريدون وجه الله تعالى؛ ذلك أنَّ الذين يدعون ربَّهم جلَّ جلاله واثقون من نيل المأمول الذي صبروا من أجله أو هم صابرون من أجله.

تحدّي الصِّعاب صبرًا والغاية مأمولة:

الصَّبر فضيلة من الله تعالى لا يقدر عليه إلَّا مؤمن، وله من الدِّرايةِ والاستنارةِ ما له؛ قال تعالى: {يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عزَّمِ الْأُمُورِ}[64] إنَّها وصيّة لقمان لابنه؛ إذ يحثُّه على إقامة الصَّلاة والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وجاء حثُّه هنا على الصَّبر ليس في حالة الاعتياد والتيسير، بل في حالة ما إذا واجهته صعاب؛ وهنا وكأنَّه يود أن يقول: يا بني حتى وإن واجهتك صِعاب عظيمة فاصبر مع وافر التحدّي لها حتى

---

[62] عقيل حسين عقيل، مبادئ التنمية البشرية، مكتبة الخانجي، القاهرة، 105 - 113.

[63] الكهف: 28.

[64] لقمان: 17.

تكسرها دون كلل ولا ملل، وبكل ما لديك من إصرار وعزَّيمة؛ فاصمد إنَّها لا تصمد أمام تحديك لها عملًا وصبرًا.

ومع أنَّ البعض لا يرى إمكانيَّة أمام الصِّعاب، فإنَّ البعض لا يرى مأمولًا إلَّا من بعدها، ومع أنَّ مواجهة الصِّعاب ليست بالأمر السّهل، فإنَّ تحدِّيها ليس بالمستحيل ولا بالمعجز؛ ومن هنا فنيل المأمول لا يعدّ أمرًا هيِّنًا، وهذا لا يعني أنَّه خارقة، بل المأمول في معظمه عند العظماء عظيمًا؛ ولهذا لا يمكن بلوغه ونيله إلَّا بتحدّي الصّعاب، فالمأمول هو الباعث الذي ولّده الأمل فكرة؛ حتى أصبح شيئًا يتمّ بلوغه ونيله؛ ولأنَّه مولود الفكر فهو للآملين مثل الوليد للآباء رعايةً وعنايةً، وحرصًا وعملًا جادًّا؛ ولذلك تحشّد الإمكانات وتبذل الجهود من أجل بلوغه صبرًا وعملًا، ثمّ نيله والحفاظ عليه حفاظًا على مولود من الأصلاب، دون أن يوقف الإنجاب من بعده؛ فالابن دائمًا في حاجة للأخوة، والآباء في حاجة للأبناء رحمة، وهكذا المأمول يتولّد من الفكرة والمشاهد مأمولًا من بعده مأمولات.

والمأمول لا ينجبه الانتظار، بل ينجبه القبول بتحدّي الصّعاب والإقدام على تحديها وبكل ثبات وصبر، ومن ثمّ ينجبه الفكر المنظّم والعمل الجاد، وفي المقابل الانتظار لا عمل، ومفهوم لا عمل يشير إلى النتيجة الصّفريَّة أي لا شيء بين اليدين يعد أو يحسب؛ ولهذا فالمأمول لم يكن المنتظر، بل المتوقَّع كما هو. فإذا جعلنا المأمول منتظرًا فلا داعي للعمل، فهو المتوقَّع الذي حُدِّدت الأهداف من أجله، وَوَضَحت الأغراض والغايات من ورائه، ورسمت الخطط والإستراتيجيَّات المؤدِّية إلى نيله.

ولأنَّ المأمول لم يكن المنتظر فهو أيضًا لم يكن المرتجى؛ فالمرتجى لا سبيل لبلوغه إلَّا من خلال الغير الذي قد لا

يستجيب لمطلبٍ واحدٍ ولو توسّل المتوسّل، أمَّا المأمول فلا انتظار ولا توسّل إلَّا لله تعالى، إنَّه الاعتماد على النَّفس والإمكانات المتاحة، والتي يمكن أن تتوافر وتتاح إرادة ورغبة وضرورة؛ ولهذا فالمأمول لم يكن الجهد المبذول، بل ما يبذل من الجهد هو من أجل نيله، أمَّا المأمول فهو المترتب على الجهد الذي أنتجه شيئًا ملموسًا؛ فالفلّاح على سبيل المثال: يحرث ويزرع وأمل الحصاد لا يفارقه، ولسائل أن يسأل:

لِمَ لا يكون الحصاد مأمولًا؟

أقول: الحصاد جهد يبذل، أمَّا مأمول الفلَّاح فهو أن ينال إنتاجًا وافرًا. فإن كان وافرًا نال مأموله، وإن كان غير ذلك فسيكون موسمه درسًا له لمواسم أكثر أملًا.

وعليه:

الأمل يحرّك الآمل ويدفعه، ونيل المأمول يطمئنه ويحفّزه على المزيد، فالآمل صبور ولا يقنط، والحياة الدُّنيا بالنّسبة إليه مدرسة يجب أن يكون فيها ناجحًا ومتميّزًا إن أراد أملًا أعظم لحياة أعظم.

والمأمول وإن صعب نيله فنيله ممكن، شريطة القيام بعملٍ موجبٍ، مع صبر على بذل الجهد والمثابرة، ثمّ تحدّي الصِّعاب وتحدّي الفشل، مع العلم أنَّ الفشل لا يكون إلَّا بأيدي اليائسين، ولا يكون إلَّا عن إرادة منهزمة لشخصيَّة لا تقبل التحدّي، وهذا لا يعني أنَّ المأمول صعب المنال، بل يعني فقدان العزَّيمة (تصميمًا وإصرارًا) على حياة أفضل، والعزَّيمة لا تُمنح، ولا تُشترى، بل تستمدّ من العقل الذي يفكّر في أمره وتحسين أحواله وضمان مستقبله، وهذه لا تكون إلَّا بيد العقلاء. فمن له عقل لا يليق به ألَّا يستثمره ويوظّفه فيما يفيد شخصه ومن لهم علاقة به، فالذي اختار أمله غزو الفضاء، قد اختار الصّعب

تحدٍّ، فبلغ الفضاء غزوًا ومأمولًا؛ ومن ثم ثبت لنا أنَّ الصّعب لا يصمد أمام المتحدّين، أي: إنَّ الصِّعاب لا تستسلم إلَّا على أيدي المتحدّين؛ ولذا فَلِمَ لا نتحدّى؟

والمأمول مع أنَّه باعث خارجي (خارج الفكرة) فإنَّه لا يكون إلَّا خَلقًا (خَلق الشَّيء ولا شيء)، أو أنْ يكون مولود الفكرة، فعقل الإنسان لو لم يفكّر ما أنتج الفكرة، ولو لم يكن مستبصرًا ما ولّد من المشاهد فكرة وبها استنار درايةً ومعرفةً.

ومن هنا فالمأمول يتعدَّد ويتنوّع وفقًا للحاجة والمطلب، وهو لا يُبلغ إلَّا عن إرادة وجهد يبذل مع القبول بدفع الثّمن صبرًا وعملًا، وقد يكون المأمول خاصًّا وفقًا للحاجة والشَّهوة والرّغبة، وقد يكون عامًّا؛ كونه مأمولًا عظيمًا، وكلّ مأمول عام فيه منافسة، وقد يكون عليه الصِّراع، فرئاسة الدّولة مأمولة عند الكثيرين، والمنافسة الحرّة وفقًا للدّستور وحدها الحاسمة، ولكن لا يمكن أن يكون رئيسُ البلد إلَّا فائزًا واحدًا في الانتخابات الدِّيمقراطيَّة؛ ومع ذلك البعض قد يحترم نتائج الدَّستور والبعض قد لا يحترمها، فتنقلب المنافسة الحرّة إلى صراعٍ دامٍ، وهنا تكمن العلّة، وقد تحدث الانقلابات على الدَّساتير كرهًا، وهذه في معظمها أساليب لا تُحترم عند الذين يخافون الله.

ولأنّ الانقلابات لا تكون إلَّا كرهًا؛ إذ لا دستور، فهي تحمل عناصر فنائها فيها ممّا يجعل بعد كلّ انقلاب انقلابات.

والتعليم مثال آخر على المأمول العام: فهو مع أنَّه عامّ، فإنَّه لا يكون على حساب أحد، وفيه يتنافس المتنافسون.

أمَّا الفوز بالجنَّة فيعد المثال الأعظم للمأمول العام، ومع أنَّها مأمول عام، فإنَّ بلوغها والفوز فيها لا يكون إلَّا خاصًّا؛ لأنَّ نيلها نيل مكانة، مكانة تستوعب الجميع دون أن يكون أحد على

حساب آخر؛ وهنا فلا مقارنة بين مكانة رئاسة الدَّولة التي لا تشغل إلَّا مفردة، ومكانة أعظم تستوعب ما خَلق مأوى ونعيمًا ومتعةً؛ قال تعالى: {يَا قَوْمِ اعملوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ}[65].

ولهذا فالجنَّة مأمولٌ ولم تكن أملًا، فالأمل مولود الفكرة، أمَّا الجنَّة فَخَلق الخَالق، وهي متاحة لمن يشاء ويعمل من أجل نفسه ونيلها فوزًا مع الفائزين.

ومع أنَّ المأمول عام (الجنَّة)، فإنَّه لا يتم نيله إلَّا بجهد خاصّ؛ لأنَّ العلاقة بين المخلوق المجازَى بها والخالق المجازي بها علاقةً خاصَّةً.

أمَّا إذا كان المأمول عامًّا والمطلب أيضًا عامًّا؛ فالمثال الذي يمكن سوقه افتراضًا: أنَّ دولة ما قد تمَّ احتلالها من الأجنبي، ففي هذه الحالة لن يكون لمواطنيها مأمول إلَّا تحريرها، ومن هنا يصبح المأمول العام مطلبًا عامًّا؛ ولا أمل للشّعب كلّه إلَّا تحرير وطنهم، فيعملون كلّ ما هو ممكن حتى يتحرَّر كما أملوه مأمولًا.

وهناك ما يماثل هذه الأمثلة؛ من حيث إنَّ المأمول جمعيًّا والنَّوايا فرديَّة، كالقيام بفريضة الحج المأمولة من المسلمين، غير أنَّ تأديتها لا تؤسّس إلَّا على النِّيَّة، وهذه لا تكون إلَّا فرديَّة وكأنَّ الفرد حاج بمفرده، فينوي بنفسه حجًّا، ثمّ يتقدّم مع الحجيج لأداء الأركان الأخرى، ومن هنا يندمج الأنا في الذَّات العامَّة.

ولسائل أن يسأل:

---

[65] الأنعام: 135.

أين الأمل في هذه المثال؟

أقول الأمل: هو تلك الحيويَّة التي هيَّأت المسلم لإعداد العدّة استعدادًا وتأهُّبًا حتى قام بأعمال الحج وناله من بعد غاية.

والآمل: هو المسلم المقدِم على أداء فريضة الحجّ.

أمَّا المأمول: فهو القيام بالفريضة على أتمّ وجه.

فالحجّ مع أنَّه مأمولٌ عظيمٌ لدى المسلمين؛ فإنَّه يعدّ عملًا يجب القيام به من أجل مأمول أعظم، (الجنَّة)؛ حيث النَّعيم الدّائم. أي: إنَّ المسلمين يميّزون بين النّعمة والنَّعيم؛ فهم يعرفون أنَّ الدُّنيا بيت النِّعم المتعدّدة والمتنوّعة، وأنَّ الآخرة بيت النَّعيم الدّائم. وللتمييز: فالنِّعم فيها الأذواق تتعدَّد وتختلف وتنقطع، أمَّا النَّعيم لذّة دائمة لا تنقطع، ولا يختلف عليها ولا يتخالف، أي: إنَّ الجنَّة فيها النَّعيم بذاته، أمَّا الدُّنيا فيها النِّعم تتحوّل فضلات؛ ومن هنا فالفرق كبير بين النَّعيم لذّة لا تنقطع، ولا تنقص، ولا تنتهي، ولا يتعفّن نعيمها ويترك زبالة تشمئز الأنفس من رائحتها النَّتنة.

وعليه: فإنَّ المأمول المطلق هو الفوز بنعيم الجنَّة، أمَّا ما دونه فهي مأمولات في دائرة الممكن؛ ولهذا فالمأمول هو: المقصود في ذاته دون سواه؛ ليتمَّ نيله استجابة لأمل عن رغبة، سواء أكان نسبيًّا أم مطلقًا.

وعليه: المأمول لا يكون إلَّا معلومًا، والقصد إليه ثابتٌ، وإن أخذ العمر كلّه، فالمهم أن يُبلغ وينال، فساعة نيله وكأنَّه لم يقض ما انقضى من وقتٍ، وساعة نيله وكأنَّه كان غير متوقَّع على الرَّغم من توقّعه.

وعليه فالمأمول:

ـ لم يكن خيالًا مجرّدًا.

ـ إنه نتاج العمل الجاد.

ـ يتم نيله والفوز به.

ـ يفتح آفاقًا جديدة أمام الآملين.

وعلى الآملين:

ـ التفكير الجاد؛ حتى يولّدوا من الفكرة فكرة.

ـ التعلّم؛ حتى يتعلّموا كيف يتعلّمون.

ـ أنْ يرفضوا؛ حتى لا يكون الرّفض غاية.

ـ أنْ يتقبّلوا دون أن يكون التقبُّل مذلّة.

ـ أن يحترموا حتى لا يصبح الاحترام جبنًا.

ـ أنْ يتفهّموا ظروف الغير دون أن يجعلوا مأمولاتهم على حسابهم.

ـ أن يتكلّموا دون أن يصبح الكلام ثرثرة.

ـ أن يستوعبوا قبل أن تخلط الأوراق.

ـ أن يحاججوا؛ كي لا تتَّسع دوائر التُبَّع.

ـ أن تكون لهم دراية واستنارة؛ حتى يتبيّنوا عن وعيٍ.

الصَّبر تحدّيًا يُمكِّن من بلوغ الخوارق:

بلوغ الخوارق في دائرة الممكن بين متوقَّع وغير متوقَّع، ومع أنَّه ممكنٌ فإنَّه لا يمكن أن يبلغ دائرة المعجز التي لا يبلغها إلَّا الأنبياء والرُّسُل الكرام عليهم صلوات والله وسلامه، وكذلك لا يبلغ مطلقيَّة المستحيل التي لا تكون إلَّا بأمر الله؛ قال تعالى:

{وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولا}[66] مع أنَّ مفهوم هذه الآية يشير إلى إمكانيَّة بلوغ الخوارق، فإنَّه يرشد قطعًا على استحالة بلوغ المستحيلات؛ وبذلك فلن يكون الاستكبار إلَّا استعلاءً عن الحقيقة وجحود لمبرراتها ومعطياتها وهو معاندة بدون حُجَّة دامغة، فالمستكبر يقف على الحقيقة ويغض النَّظر عنها، بعدم اعترافه بأنَّها الحق. وهذا الأمر لا يُنقِص من شأن الحقيقة، بل يُنقص من شأن المستكبر عليها بغير حقٍّ.

قال الزّجاج: "إنَّ المتكبِّرين هم الذين يرون أنَّهم أفضل الخَلق وأنَّ لهم من الحقِّ ما ليس لغيرهم، وهذه الصِّفة لا تكون إلَّا لله خاصَّة"[67].

والتكبُّر عن الحقِّ يكون بالحياد عنه والميل كلَ الميل إلى ما يؤدِّي إلى إخفائه ومغالبته بالباطل، والمتكبِّرون عن الحقِّ هم الذين يقومون بأعمال الوضاعة التي تقلل من شأن مرتكبيها، بما يقدمون عليه من أفعال لا تُرضي الله ورسوله ولا تُرضي المؤمنين المستخلفين في الأرض، وهؤلاء المتكبّرون هم الذين إن قالوا كذبوا، وإن عملوا أفسدوا.

وعليه: إنَّ المفسدين هم الذين يتكبّرون عن الإصلاح، أمَّا المصلحون فهم الذين يتكبّرون بفعله ويكبرون، وفي هذا الأمر قال تعالى في إبليس عندما استكبر عن السُّجود لآدم عليه الصَّلاة والسَّلام: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ}[68]. إنَّ استكبار إبليس

---

[66] الإسراء 37.

[67] مجدي الشورى، القول الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى. القاهرة: مكتبة العلم، 1999، ص 78.

[68] البقرة: 34.

كان استكبارًا عن الحقِّ، أمَّا تكبُّر الملائكة فكان تكبُّرًا بالحقِّ، ومن هنا فالسُّجود يدل الطَّاعة ويُعبِّرَ عنها.

ولهذا فالمتكبّر الحقّ هو المتكبّر بصفاته الحسان المتعالي بها؛ إحقاقًا للحقِّ وإزهاقًا للباطل، والمتكبِّر بالإضافة هو المقتدي بما ترمي إليه صفات المتكبّر جلَّ جلاله، أمَّا المتكبّر أو المستكبر بغير حقٍّ فهو الظَّالم لنفسه وعقله وبدنه وروحه، وهذا الظّلم المركَّب يجعله في الدُّنيا يعيش القلق والألم معًا، وفي الآخرة يذوق العذاب الشّديد؛ ولهذا فهو لم يستخلف في الأرض ولن يُستخلف في الجنَّة.

ومن ثمَّ دائمًا الاستكبار لا يخفي الحقيقة، بل في نظريَّة التحليل النَّفسي الاستكبار اعتراف غير مُعلن، ولكن يمكن استنباطه والعمل على إظهاره بالتي هي أحسن؛ وذلك بعد إجراء عمليَّة التحليل للشّخصيَّة المستكبرة عن الحقِّ، وهؤلاء هم الذين قال فيهم عزَّ وجلَّ: {وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يَسْمَعُ آَيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}[69] فمفهوم: {كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا} يعني: أنَّه سمعها ولكنَّه لم يأخذ بها ولا يعمل بها، وهذه دليل إثبات التكبُّر بغير حقٍّ، ودليل إثبات أنَّ التكبُّر عن الحقِّ لا يضعف الحقّ في شيء أو يلغيه، وأنَّ الجحود من البعض يدل على أنَّ البعض قد آمن ولم يتكبّر عنها، وبهذا التكبّر الموجب يستمدّ صفته من المتكبر المطلق.

وعليه: فلا شكَّ أنَّ الفرق كبير بين مَنْ يستسلم إرادة للسُّكون ويركن إليه، ومن يتمدّد مع تمدّد الحركة، أي: الفرق كبير بين من يرى الشّمس شروقًا وغروبًا ويضبط عقله ونفسه مع مواقيتها تذكُّرًا وتدبُّرًا وتفكُّرًا، ومن لا يراها إلَّا في أثناء الشُّروق ولا يتحرّك مع حركتها والأرض.

---

[69] الجاثية: 8.

ولذا فإنَّ تحدّي الصّعاب بحثٌ علميٌ غير مقولبٍ يتجاوز بالباحثين معرفة ما آلفته طرق البحث العلمي التي تصوغ فروضًا يكون جزءٌ من المعلومة متوّفرًا فيها وجزءٌ منها مجهولًا، أمَّا بلوغ الخوارق فهو تجاوز للمقولب الذي بتجاوزه يتم التمكّن من معرفة المستغربات؛ وذلك كما تساءل نيوتن: لِمَ لا تصعد التُّفاحة إلى أعلى بدلًا من سقوطها إلى أسفل؟ وبدأ في بحثه وتجاربه حتى اكتشف قانون الجاذبيَّة إضافة جديدة تامَّة؛ كونها لم تستمدّ من نصف المعلومة المجهول، بل اكتشفت معلومة جديدة فكانت إضافة تامَّة للعلوم والمعارف الإنسانيَّة.

إذن: الخوارق بها يتمّ تجاوز المألوف والمحتمل في دائرة الممكن غير المتوقَّع من خلال تحدّي العقل البشري للكوابح والمعيقات، وهي نتاج المقدرة الذّهنيَّة ذات الرّؤية الثّاقبة للمشاهد والملاحظ بغاية التعرّف عليه وعلى القوانين التي هو عليها وعلى الكيفيَّة التي بها خُلق حتى التمكّن من معرفة المعجز معجزًا والمستحيل مستحيلًا، ومن ثمَّ فلا استغراب.

ولهذا فالخوارق تُصنع وتُبدع كونها على غير سابقة معروفة، فمن بلغها اختراقًا (تجاوز المألوف) وأظهر ما كان مجهولًا أو مختفيًا لحيّز المشاهدة والملاحظة فقد أضاف جديدًا لميادين المعرفة الواسعة. فالخوارق لو لم تكن ممكنة ما كانت، ولأنَّها في دائرة الممكن فهي ستتولّد خارقة ومن بعدها خوارق، وما الاستغراب الذي يصاحبها أو المفاجآت التي تلاحق وجودها إلَّا بسبب كونها لم تكن متوقَّعة.

والخوارق تُصنع؛ لأنَّها تأتي عن غير قاعدة، وعن غير معتاد ولا مألوف ولا متوقَّع، ممّا يجعل علامات الاستغراب والاستفهام والتعجّب توضع عليها وعلى مَنْ اكتشفها أو جاء بها.

أمَّا الصُّنع فهو إظهار ما لم يكن ظاهرًا، أو إيجاد ما لم يكن بين اليدين موجودًا، أو إظهار الشَّيء الظَّاهر على غير ظهوره إبداعًا، أو استخراج الشَّيء من الشَّيء بطريقة أو أسلوب غير معتادٍ ولا مألوفٍ.

والصُّنع هو أن يتمّ الإتيان بما لم يسبق لأحدٍ الأتيان به، وهو نتاج التفكير المفتوح؛ حيث لا سقف يحدّه ولا موانع تكبحه؛ أمَّا الخارقة فهي بلوغ ما لم يكن متوقَّعًا، والخوارق أعمال غير معجزة، أي: لو لم تكن ممكنة ما كانت، ولكنّها غير عامّة فهي تحتاج إلى مقدرة عقليَّة تتجاوز بصاحبها ما يمكن تدبّره إلى ما يمكن بلوغه؛ كونه لم يكن مستحيلًا ولا معجزًا. والخارقة تقود أصحابها فكرًا إلى الإبداع الممكّن من معرفة ما كان مستغربًا.

ومن ثمّ فالفكرة تحدٍّ تقود إلى العمل المبدع، والعمل المبدع بداية قد يصفه البعض بالمستحيل على الرّغم من تحقّقه مشاهدة وملاحظة، فالهبوط على القمر البعض كذّبه بداية، ولكنّه لم يصمد في تكذيبه؛ لكونه أصبح حقيقة لا تخفى.

ولهذا فالصّعود إلى القمر يعد عملًا من أعمال الخوارق التي بإمكان العقل البشري أن يبلغ ما هو أعظم منه، فالإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم، هو الإنسان المحقّق للخوارق وفقًا لدائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع، ولا استغراب، ولا مفاجأة، بل الاستغراب ألَّا يرتقي عقل الإنسان إلى اقتناص الفكرة الممكّنة من الارتقاء وبلوغ الخوارق.

وهنا أقول:

الجنَّة بين أيديكم فاعملوا يا بني آدم من أجلها، فاغزوا الفضاء بكلِّ الخوارق التي بإمكانكم العمل عليها والعمل بها، فبلوغ الجنَّة غير مستحيل، بل المستحيل ألَّا تعملوا ارتقاءً من أجل بلوغها.

وهنا لا أقول مواعظ، بل لِمَ لا نتعظ، ونتدبّر أمرنا حتى نتمكّن من بلوغ الخوارق ارتقاء؟ ومن يرى غير ذلك فكأنَّه لم يُخلق بصيرًا، وليس له من الحواس ما يمكّنه من خَلق الخوارق وتجاوزها بخوارق أكثر ارتقاءً؛ فمن يغفل عن ذلك فكأنَّه قد غفل عمَّا بنته الحواس وما ستبنيه من حضارات، فالتذكّر يربط العقل بما أنجزته أيدي النَّاس، وبما غفلت عنه، ليتدبّر حاضره، ويفكّر في مستقبل يستوجب رسم الخطط الممكّنة من الخوارق في دائرة الممكن.

وعليه:

فالإنسان مؤهّل للارتقاء عقلًا وحسًّا، فهو يتذكّر؛ ليتّعظ ويُصلح، ويتدبّر؛ ليبني وينتج، ويفكّر؛ لإيجاد خارقة بها يصنع مستقبلًا راقيًا، يَرتق الأرض بالسّماء.

ومن أراد أن يكون له شأن؛ فليعمل على تحقيق المكانة قيمًا وفضائلَ، وإذا أراد الإنسان أن يرتقي قيمًا وفضائلَ؛ فليأخذ بمفاتيح العلم، ويبدأ إصلاح حاله من حيث هو، حتى يهيئ نفسه ويتأهَّب للعمل من أجل تحقيق ما ينبغي له أن يكون عليه ارتقاءً.

فالارتقاء حركة دؤوبة، يتحقّق عبر التَّاريخ بالجهد الرّصين والعمل المتّصل مع الصَّبر البناء، الذي منه تؤخذ العبر، وتستمدّ المواعظ، وتنقل التجارب النّاجحة شواهد؛ فالارتقاء لا يحدث فجأة؛ فهو مثل الوليد، يولد وهو في حاجة للرّعاية والعناية، ثمّ يكسب قوَّة تدفعه إلى تحقيق ما هو أعظم، وهو كالبناء بدايته وضع حجرة على الأرض، ثمّ يصبح صرحًا شامخًا وكأنَّه يريد أن يفتق الأرض بالسّماء ثانيةً، فهكذا هو الارتقاء تطلّعًا يجسّد الطّموح، ويمكّن من بناء حضارات أهلها

يسودون ثمّ يفنون، وتبقى الحضارة تاريخًا متكئًا على الارتقاء علمًا وفكرًا وقيمًا وفناً وثقافةً وإعمارًا وبناءً وأدبًا.

ولأنَّ التَّاريخ البشري مليء بالتّجارب النَّاجحة، وكذلك الفاشلة، فهو قد مرّ بنشوء حضارات سادت ثمّ بادت وحلّت محلّها حضارات أخرى، ففي تلك الأحقاب سادت حضارة عاد وثمود، ومن بعدها حضارات الغرب، وحضارة الفرس، وحضارة الإسلام والعرب، واليوم حضارات الشّعوب تتداخل لتسود القرية الصّغيرة، فهي على الرّغم من تنوّعها، فإنَّها حضارة أمَّة واحدة، إنَّها تقدّر الخصوصيَّة، وتُمكّن من الاندماج علمًا ومعرفةً، وتقنيةً وإعمارًا، وتؤكّد قيمة الإنسان في ممارسة حقوقه، وأداء واجباته، وحمْل مسئوليَّاته وبكلّ شفافيَّة.

ومع ذلك فالإنسان دائمًا في حاجة للارتقاء؛ فهو يسعى من أجل حياة أكثر أمنًا، وأكثر نعيمًا، وأكثر عدلًا، وأكثر رفاهيَّةً ورقيًّا؛ فقيمة الإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم تستوجب تقديرًا عاليًا، ورعاية صحيَّة متقدّمة، وتعليمًا يخلّص من أيّ تأزُّمات تحدث، ونُظم تُمكّن من التمدّد بكلّ حرّيَّة دون أن يحدث أيّ تماسّ مع تمدّد الآخرين بكلّ حرّيَّة.

ولكن هذه لن تتحقّق ما لم يرتقِ الإنسان عن مثيرات الشَّهوة غير العاقلة، وإغواءات النَّفس، ومغريات الحياة الدُّنيا (السُّفليَّة)، وتفضيلات الأنا على حساب الغير، وألَّا يتردّد عن الإقدام على ما يجب الإقدام عليه أو الإقدام من أجله، مع مراعاة أهميَّة الخوف؛ كونه ضرورة من أجل مستقبل ناهض وسلامة وأمن يمكِّننا من العمل النَّاجح ومن بعده بلوغ الخوارق تحدٍّ للحاضر بما هو أكثر جودة، مع اعتماد قيمة الاحترام للرّأي والرَّأي الآخر، وتقبُّل المختلفين ثقافةً ودينًا وعرقًا.

ولذلك فالاختلاف لن ينقطع بين النَّاس بما أنَّ هناك من يرى القيم والفضائل أساس العمل والتقدّم والارتقاء، ومن يراها لا تزيد عن كونها قيودًا ينبغي أن تزال متى ما تعارضت مع المصلحة الخاصّة، ومع وجود الاختلاف، فلا وجود لما يعيق ولادة الخوارق، بل الاختلاف هو المحفّز تحدٍ ومنافسة على ولادة المزيد من الخوارق تحدّ لكلِّ الصِّعاب.

ومن ثمّ فالرّغبة في بعض الأحيان تتمركز على (الأنا) أنا ومن بعدي الطّوفان، وهنا تكمن العلّة، وحتى لا تكون الأنانيَّة القاتلة؛ فعلينا بتضافر الجهود والنّهوض معًا حتى نقضي على عوامل الشّد والتخلّف ونرتقي تقدّمًا ونهضةً من بعدها نهوض مع أملٍ ناهضٍ.

وحتى لا تكون العلّة نهاية المطاف فينبغي لنا بلوغ الحلّ الذي يحتوي في مضمونه قبول الآخر (هو كما هو)، والعمل معه (من حيث هو)، من أجل الارتقاء معًا إلى مستقبل مأمول، فالفرد وإن خُلق فردًا فهو لم يُخلق وحيدًا؛ ولهذا لا ينبغي أن يفكّر وحيدًا، ولا ينبغي أن يعيش وحيدًا، بل ينبغي أن يفكّر حتى يعرف كيف يفكّر جماعيًّا، وأن يعمل مع الآخرين ارتقاءً بغاية ما يجب نهوضًا.

ولكي يتمكّن الإنسان من اتخاذ قراره عن وعي؛ فعليه بمعرفة العلاقة التي تربط قوَّة قراره بقوَّة اتخاذه، فقوَّة القرار تكمن فيما يحقّقه من فوائد، وما يترتّب عليه من ارتقاء مأمول، وما يحدثه من مفاجآت موجبة، ومن ثم فاتخاذ القرار ارتقاء يُمكِّن من إحداث النُّقلة بعد صبرٍ وقوَّة عزّيمة.

ولأنَّ صُنع الخوارق لم يكن مستحيلًا فَلِمَ لا تُصنع باستمرار تحدٍ للعقل بملكاته العقليَّة؟ فالعقل دائمًا هو مَكمن الخوارق، فمن بلغ عقله تعقُّلًا عن غير توقّع بلغ المعجز إعجازًا، ومن

بقي في دائرة المتوقَّع فلا إمكانيَّة لبلوغ الخوارق التي في النّهاية لا تكون إلّا في دائرة الممكن.

ولكن لكي تصنع الخوارق فهي في حاجة لمناخ مناسب؛ حيث لا قيود على التفكير الإنساني، ولا موانع، ولا تخويف من أحدٍ، بل المكتبات مليئة بالمصادر والمراجع والدّوريَّات العلميَّة، وأنَّ المقرّرات المدرسيَّة والجامعيَّة معدّة على قاعدة: (كلّ شيء ممكن ولا استغراب)، ثمّ إنَّها تحرّض المتعلّمين على التحدّي وقهر الصِّعاب. وإلى جانب ذلك فالتحفيز يسرّع من إدارة العجلة تجاه التقدّم وإحداث النُّقلة وإيجاد ما لم يكن متوقَّعًا.

وعليه:

ـ بلوغ الخوارق مُمكن فلا تستغرب.

ـ فكّر فيما تفكّر فيه حتى تبلغ خارقة.

ـ لا تستسلم للمتوقَّع فقط وتغفل عن غير المتوقَّع الذي يخرجك من زمن المفاجآت.

ـ لا تُوقِف تفكيرك عند حدود المألوف، فالتوقّف عند حدوده لا يمكّنك من بلوغ الخوارق إضافة معرفيَّة.

ـ لا خارقة إلّا بمقدرة عقليَّة، فانتبه لنفسك ولما حولك ولما يجب حتى ولو تجاوزت المألوف بما هو موجب.

ـ الخوارق يتمّ اكتشافها بين الفجأة والانتباه، فانتبه واعلم أنَّ السّرحان مضيعة للوقت؛ فلا تعوّد نفسك وعقلك الخوض فيه ضياعًا.

ـ اكتشاف الخوارق أو بلوغها يُمكّن من معرفة قوانينها تاليًا، أي: إنَّ الخوارق تكتشف أوَّلًا ثمّ بعد الاكتشاف يتمّ التعرّف على القوانين التي هي عليها.

ـ معرفة الخوارق تُمكِّن العقل من التحدّي والبحث عن المزيد.

ـ معرفة الخوارق تحدٍّ للصّعب وقهره.

ـ معرفة الخوارق تمكّن من معرفة المعجز تسليمًا.

ـ معرفة الخوارق تمكّن من معرفة المستحيل والوقوف دونه مستحيلًا.

ـ صُنع الخوارق لا يكون إلَّا تجاوزًا للقولبة والتمنهج وأساليب الرّتابة المملّة.

ـ صُنع الخوارق يُظهر أو يوجد ما لم يكن ظاهًرا أو موجودًا علميًّا ومعرفيًّا.

ـ صُنع الخوارق صور تُنتج على غير هيئة مسبقة.

وعليه: يعدّ استخراج الشَّيء من الشَّيء على غير مألوف خارقة عقليَّة[70]؛ ولهذا ينبغي للإنسان أن يعوّد نفسه على الأخذ بالمنهج العلمي ويفضّل أن يتجاوزه معرفة بما هو أكثر تيسيرًا حتى وإن كانت الفِكَر نتاج وقتها، وعليه بقبول الصِّعاب والعمل على تحدّيها حتى تُهزم[71].

التأهُّب صبرًا تحدّي صِّعاب:

التأهُّب مع وافر الصَّبر والعزَّيمة مرحلة من مراحل الإعداد والاستعداد الممكِّن من الإقدام على الفعل أو العمل أو السُّلوك، والمتأهَّب لا يكون إلَّا وأمر العودة إلى الخلف لن يعد

[70] عقيل حسين عقيل، الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (تحدي الصِّعاب يمكن من بلوغ الغايات)، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م، ص 7 – 46.

[71] عقيل حسين عقيل، صنع المستقبل، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 85 - 118.

بالنّسبة إليه إلّا كرهًا؛ ولهذا فالتأهُّب لا يكون إلّا عن تصميم؛ إذ لا مجال للقلق ولا التردُّد.

والتأهُّب صبرًا مرحلة قيميَّة متجاوزة لمرحلة التهيّؤ وإعداد العُدّة والاستعداد، أي: إنَّ مرحلة التَّأهُّب هي المرحلة المترتِّبة على ما سبقها من تلك المراحل جميعًا فلو لم تسبقها إنجازًا وتحقّقًا ما كانت؛ ولذا فالتأهُّب قيمة تلفت الانتباه الفكري والعقلي لِما هو آتٍ أو متطلّع له بهدف تحسين الأحوال أو إحداث النُّقلة من مستوى قيمي أدنى إلى مستوى قيمي أعلى، وإذا لم يتأهّب الإنسان لصناعة مستقبله مع وافر الصَّبر عملًا فلا يمكنه صناعته، ومن يتطلّع تأهُّبًا لما هو مأمول ويسعى إليه عملًا يبلغه غاية، وهنا يعد التأهُّب صبرًا هو التطلّع لمرحلةٍ من مراحل الوعي الفكري والثّقافي، فيها تمتدّ الذّات من حيّز التمركز على ذاتها إلى مجال التطلّع تجاه الآخر الذي له من الخصوصيَّات التي تميّزه عن غيره، ممّا يجعل الذَّات في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع قادرة على نيل كلّ ما من شأنه أن يحقق لها الفائدة والمنافع.

أمَّا التطلُّعيَّة وفقًا لخماسي تحليل القيم فتعد منطقةً وسطًا بين الذَّاتيَّة والموضوعيَّة، وهي مجال النشاط الفكري والسّلوكي المتميّز عن (الذَّاتيَّة) والمتميّز عن (الموضوعيَّة)، وفي الوقت ذاته مكوّن مشترك بين مقوّمات الذَّاتيَّة ومقومات الموضوعيَّة، ممّا يجعلها قاطعًا مستقلًّا بذاته في خماسي عقيل لتحليل القيم[72].

ولذا فعندما تقتصر رؤى الشَّخصيَّة على مكوِّنات الذَّات القيميَّة، توصف بالذَّاتيَّة، وعندما تستوعب تلك الرّؤى وتستوعب إلى جانبها ما ينبغي لها أن تقوم به أو تفعله وتسلكه تجاه الآخرين، حينها توصف الشَّخصيَّة في هذه الحالة بأنَّها

---

[72] عقيل حسين عقيل، خماسي تحليل القيم، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2004، ص 38.

منطقيَّة أو تطلّعيَّة؛ حيث تتطلّع إلى ما هو أفضل وفقًا لافتراضاتها المنطقيَّة لِما هو متوقَّع أو مفترض، وبالتّالي تقبل تحدّي الصّعاب التي تقف في سبيلها.

والمحذور الذي قد يظهر في هذه الشَّخصيَّة المتطلِّعة، هو ليس كلّ ما يمكن أن يتأهّب له تطلعًا يكون بالتمام على الحقيقة المتوقَّعة؛ ذلك لأنَّ المتوقَّع المتطلّع إليه تأهّبًا بالضَّرورة يحتاج إلى زمن ومبررات الإثبات أو النّفي؛ ولهذا فإنَّ الأحكام التي ستثبته مؤجّلة، فإذا سلكتْ الشَّخصيَّة أو فعلتْ أو حكمتْ وفقًا لافتراضاتها فقد تفعل أو تسلك خطأً؛ ومن ثمَّ فعليها أن تنتظر إلى أن تتبيّن؛ حتى لا يقع الخطأ أو يحدث الانحراف.

وعليه: فالإنسان المتطلّع صبرًا وتأهّبًا للحقيقة بمنطق قيميّ معرفي، هو في حالة تطلّعيّة، أي: إنَّه في حالة النُّقلة من التمركز على الذَّات والرّكون إليها إلى حالة الاتزان النَّفسي الذي يتفاعل مع قيم المجتمع وعاداته وأعرافه ومعتقداته، ثمَّ يتفاعل مع كلِّ ما هو مفيد لدى الآخر، وليس بمنغلقٍ على ما يقصره دائمًا على تراثه القيمي، بل هو من يكون في حالة امتداد موجب مع الثَّقافات والأفكار الإنسانيَّة الأخرى، وفي الوقت ذاته لا يُفرِّط في خصوصيَّته الذَّاتيَّة التي جعلت له تاريخًا وفيه ما فيه من الكنوز المعرفيَّة والقيميَّة، ومن هنا فالشَّخصيَّة التطلُّعيَّة شخصيَّة متأهّبة ومتحدّية لأمر الواقع عندما يكون ساكنًا ولا فوائد.

وفي هذا المستوى القيمي بعد أن كانت المغالبة على المستوى الذَّاتي للعاطفة في تقييم الآخر ومعتقداته وأفكاره وحضارته، تصبح المشاعر من بعدها والأحاسيس الذَّوقيَّة تتهذّب صبرًا وخوفًا وتدبُّرًا وتطلّعًا تجاه ما يُفيد عند الآخرين

دون إقصاء لأحدٍ منهم، إنَّها الشَّخصيَّة الاستيعابيَّة المتأهِّبة لقبول الآخر أو مواجهته بأحكام وحُجج منطقيَّة.

إذن: الشّخصيَّة المتطلّعة تأهّبًا هي الشَّخصيَّة التوافقيَّة، التي تستوعب قيم وفضائل (الذَّاتيَّة) وتتفتّح بإرادة ومنطق على الآخرين دون أحكام مسبقة؛ وذلك لاعتمادها قيمة الحرّيَّة في كلّ اختياراتها؛ فهي تتفاعل مع الحقّ والعدل والواجب والمسئوليَّة على مستوى الذَّات ومستوى الآخر، وعندما تتأهّب الشَّخصيَّة لتجسيد هذا المفهوم التطُّلعي توصف بأنَّها متطلّعة ومتأهّبة ومتحدّية للصِّعاب وحُجّتها الفكريَّة المنطق دون غفلة عن الواقع وما يفرضه من موجبات للعمل والحلِّ.

ولذا فعندما لا تسيطر العاطفة أمام العقل على الفعل والسّلوك بالتّمام، يُفسح مجال جديد للعقل والنَّفس وتتأهّب صبرًا ومنطقًا بأن يكون التفكير فيما يجب، ممّا يجعل النَّفس تسعى لِما يُفترض أو تميل إليه، والميل هنا موجب؛ حيث التأهُّب والتطلُّع للأفضل، الذي يحافظ على الهويَّة والخصوصيَّة، ثمَّ يمتدّ من أجل أن يتعرّف على الجديد المفيد، ويسعى إلى الحصول عليه تحدِّيًا للرتابة المعتادة. وهذا لا يعني أنَّ كلّ تأهّب وكلّ ميل هو موجب، فعندما تتأهّب الشَّخصيَّة وتميل من حالة التمركز على الذَّات إلى حالة التخلّي عن بعض من مكوناتها القيميَّة تصبح الشَّخصيَّة على حالة من الانسحابيَّة، فتوصف في هذه الحالة بالشَّخصيَّة الانسحابيَّة التي تتخلّى عمّا يجب الأخذ به، وهنا يصبح التحدّي سالبًا؛ كون الشَّخصيَّة أصبحت تتخلّى عن بعض القيم الحميدة دون مبالاة، أي: أصبح التحدّي للقيم الحميدة وليس التحدّي بها.

أمّا التطلّع الموجب فهو الالتفات إلى ما يفيد علمًا ومعرفة ورؤية دون أن يكون على حساب قيم الذَّاتيَّة، فتصبح التطلُّعيَّة

تأهّبًا هي مرحلة من الوعي يُمكّن الذّات من استيعاب دورها وما يجب أن تفعله مع الآخر، حتى لا يحلّ ما يخيف محلّ ما يطمئن.

ولأنَّ التطلُّعيَّة صبرًا هي حالة تأهُّب ووعي بالمحيط المعرفي والثَّقافي والحضاري، فهي تعدّ مرحلة نُضج، به تتمكّن الشَّخصيَّة المتطلّعة من الإلمام بالموضوع المشترك مع الغير كواقع لا مفرَّ من التعامل معه مع وجوب تحسينه وتطويره والنُّهوض به رفعةً وتقدمًا.

ولأنَّ المستوى القيمي للذَّاتيَّة يتمركز على ما يدور من حوار بين الرّغبات والمطالب، والحاجات والبواعث، والحقوق والواجبات والمسئوليَّات إذن ينبغي أن يكون في حدود الدّين والعرف والقيم السَّائدة على مستوى المجتمع أو الدّولة؛ حيث ثبات الذّات وتغيّر الأدوار وتنوّع المواضيع؛ ولذا فإنَّ التطلُّعيَّة هي درجة من الاعتراف بأنَّ للآخر رغبات ومطالب وحاجات وبواعث مشبعة، وحقوقًا وواجبات ومسئوليَّات ينبغي لها أن تُقدّر وتحترم، وإن لم تُقدَّر وتُحترم ستكون العواقب غير محمودة؛ ولهذا فمن غير المنطقي أن يتمَّ تجاوزها أو الإغفال عنها، ولا ينبغي أن تُمسّ بما هو على حسابها وفضائل النَّاس الحميدة وقيمهم الخيّرة.

وللتمييز بين المستويات القيميَّة للشخصيَّة المتأهّبة صبرًا أقول:

1 ـ الأنانيَّة: معيارها الشّخصانيَّة (أنا كلّ شيء).

2 ـ الانسحابيَّة: معيارها نفعي انسحابي (أنا أوّلا، وإلَّا..).

3 ـ الذَّاتيَّة: معيارها العاطفة (نحن كلَّ شيء).

4 ـ التطلُّعيَّة: معيارها المنطق (حُجّة بحُجّة).

5 ـ الموضوعيَّة: معيارها العقل (نحن معًا ونحن سويًّا).

وعليه: عندما يخاف الإنسان من المظالم وأفعالها يتأهّب للتمسّك بالقيم والمعايير الاجتماعيَّة التي تستنبط من الإطار المرجعي لمجتمع العاطفة، ويقدّر قيم الآخر ومعاييره، في هذه الحالة تعد ذاته في حالة تطلّعيّة، وعندما يتمسّك الإنسان بالقيم والمعايير الخيّرة بغض النّظر عن مصادرها تؤسّس أحكامه على الموضوعيَّة، وتُعد معاييره إنسانيَّة؛ ولذا عندما تميل كفّة المعايير العامَّة بمنطق على حِساب كفّة المعايير الخاصّة حينها تتأهّب الشَّخصيَّة وتميل إلى الموضوعيَّة فتوصف بالتطلُّعيَّة، وعندما تتأهّب وتميل إلى ذلك دون حُجّة ولا حقيقة تصبح الشَّخصيَّة في حالة ميلان إلى الأنانيَّة.

ومع أنَّ المنطق يَفترض أنَّ النَّاس متساوون في الحقوق والواجبات والمسئوليَّات فإنَّ الواقع قد يُثبت غير ذلك؛ حيث نجد البعض من بني الإنسان في حالة إشباع، والبعض في حالة عوز، والبعض في حالة ادّخار بعد الإشباع، وآخر في حالة شُح، والبعض الآخر في حالة إيثار؛ حيث يُقدِّم من هو في حاجة أو من هو أفضل على من هو أقل؛ ولذا فالشَّخصيَّة المؤثرة، هي الشَّخصيَّة المنطقيَّة التي تميّز بين ما يجب وما لا يجب، وعندما تحتكم بالمنطق تقول الحقّ وتفعل صوابًا؛ مصداقًا لقول الله تعالى: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}[73].

وهنا فالشَّخصيَّة المتطلِّعة لا تقتصر أهدافها وغاياتها على الظّرف الآني، بل تمتدّ منه تحدّيًا لكلِّ عوامل الشّد إلى ما هو مستقبلي، فتتأهّب للمغالبة وتميل إليها[74].

---

[73] الحشر: 9.

[74] عقيل حسين عقيل، الفاعلون من الإرادة إلى التأهب، مكتبة الخانجي، ص 262 - 267.

التأهُّبُ صبرًا يُمكِّنُ مِنَ الفعلِ:

التأهُّب صبرًا فيه من التّأنّي المقصود عمدًا بغاية النّجاح والسّداد؛ ولذا فكلّ ما كان التأهُّب للعمل عن صبرٍ وتحدٍّ كانت النتائج المأمولة وكأنَّها بين الأيدي مع أنَّها لم تبلغ بعد؛ ولهذا فالذين أوتوا العلم والدِّراية استنارت عقولهم بالمعارف الواسعة الممكِّنة من بلوغ المكاسب والخيرات ونيلها؛ وذلك بما عملوا وصبروا وتحدّوا؛ قال تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ}[75]. يفهم من هذه الآية الكريمة من يعمل في مرضاة الله ويصبر ويصمد متحدِّيًا للصِّعاب ينال الثواب العظيم من الرّب العظيم جلَّ جلاله.

ومع أنَّ الصَّبر ليس بهينٍ فإنَّ له رجالاتٍ إذا عاهدوا الله صدقوا؛ ولذلك عليك بالصَّبر (**على**) والصَّبر (**عن**) وفقا للآتي:

ـ الصَّبر **على** الطَّاعات والقيام بأدائها؛ وذلك وفقًا للأمر المنزَّل كتابًا والمفعول سُنَّةً.

ـ الصَّبر **على** أداء الصَّلاة.

ـ الصَّبر **على** إيتاء الزَّكاة.

ـ الصَّبر **على** إعطاء الصَّدقات.

ـ الصَّبر **على** تحمُّل الصِّعاب أثناء أداء فريضة الحج وبخاصّة إن كنت شيخًا ووفقًا للاستطاعة.

---

[75] القصص: 80.

ـ الصَّبر **على** تدبُّر القرآن: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافا كَثِيرا}[76].

ـ الصَّبر **على** ما يصيبك من الأقدار مهما عظمت: {وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عزَّمِ الْأُمُورِ}[77].

ـ الصَّبر **عن** الانغماس في الشّهوات: {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاة وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّا}[78].

ـ الصَّبر **عن** ارتكاب المحرّمات.

ـ الصَّبر **عن** التكبُّر معصيّة: {وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولا}[79].

ـالصَّبر **عن** الأخذ بالمجنَّب: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[80].

ـ الصَّبر **عن** الأخذ بكلِّ ما نهى الله عنه: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُول فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}[81].

وعليه: فإنَّ التأهُّب والصَّبر عليه من أجل مستقبل مأمول هو مرحلة ما بعد الاستعداد المؤسّس على التهيّؤ والإرادة، فالمتأهّب هو من بيده القرار والأمر لتنفيذ الفعل مع فائق الحرص في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع.

---

[76] النساء: 82.
[77] لقمان: 17.
[78] مريم: 59.
[79] الإسراء: 37.
[80] المائدة: 90.
[81] الحشر: 7.

وهنا يكون التأهّب تَوفُّر العزّم مع وافر الإصرار والصَّبر على الإقدام على تنفيذ الفعل مع ترقُّب شديد ورصد للحركة والسُّكون ممّا يجعل الأصبع على الزِّناد؛ استعدادًا للرّمي في زمن الانقضاض.

ولذا فالتأهّب يؤجج في النَّفس حرارة الانقضاض والاندفاع تجاه الهدف دون خوف ولا تردّد مع شجاعةٍ وصبرٍ وبلاءٍ وإصرارٍ على الانجاز في الوقت المحدد للتنفيذ؛ خوفًا من التأخير الذي فيه تعشش المفاجآت؛ ولذلك دائمًا لا للاستعجال، ونعم للإسراع دون التسرُّع.

في التأهُّب اشتياق الفاعل للحظة الانقضاض ورمي الهدف؛ ولهذا الرَّامي عندما يكون متأهّبًا تكون مشاعره وأحاسيسه مصهورة في بوتقة الفكر لفعلٍ قابلٍ لأن يُفعل والشّكّ من ملكاته منتزع انتزاعًا والصَّبر لا يفارق وعيًا ودرايةً.

فذلك الصّحفي العراقي الذي رمى الرَّئيس الأمريكي جورج بوش بنعليه في بغداد لو لم يكن متأهِّبًا للرّمي وصابرًا عليه ما رماه أمام أعين النَّاس على شاشات التلفاز وأمام حرَّاسه وحرَّاس حرَّاسه والمدجَّجين والصُّحفيين الذين هم في محيطه يتساءلون مع الرَّئيس الأمريكي عمَّا حدث في العراق وعمَّا يحدث من رمي الرَّامي في ذلك المؤتمر الصُّحفي في بغداد في 2008\12\14م.

ولذا من يتأهّب للشّيء بعد تهيّؤ وإرادة واستعداد وصبر ومثابرة يستطيع أن يُنفِّذ ما يشاء كيفما يشاء بحذاء أم بعكازٍ أو حتى بمسبحةٍ أو ساعة يد، دون أن ينتظر رأيًا أو توجيهًا من أحدٍ.

ولأنَّ لكلِّ فعل ردّة فعل فدون شكّ سيكون للتأهّب تأهّب إن تمّت المعرفة، ولكن إن لم تتوافر المعرفة فستكون المفاجآت سيدات الميدان والحاسمات للأمر.

فالأفراد دون شكّ على مستوى المسئوليَّة يستعدُّون في دائرة الممكن المتوقَّع حيال إنجاح مهمّة من مهمّاتهم المكلَّفين بها أو المناطة بهم، ولكنَّهم في كثير من الأحيان لا يستعدُّون لغير المتوقَّع ممّا يجعل المفاجآت تتكرر أمامهم على الرّغم من الاستعداد والعدّة والعتاد.

ومن هنا فالاستعداد وحده لا يكفي، ولا يمكن أن يكون ضامنًا ومحقِّقًا للنَّجاحات، بل التأهّب من بعده هو الذي يُمكِّن من ذلك، ومن يغفل عن التأهّب أهميَّة وضرورة لا يستغرب إن حدثت أو طرأت المفاجآت ولا داعي لأن يتطرَّفَ في ردود أفعاله.

الفعلُ مِنْ بعدِ صبرٍ وتحدٍّ:

الصَّبر فعلٌ واعٍ بغايات مأمولة؛ إذ لا يأس ولا قنوط، به ترسم الإستراتيجيَّات، وبه درايةً ووعيًا تنجز الأهداف، وتتحقّق الأغراض، وتُبلغ الغايات، ويتمُّ نيل المأمول المرتقب.

والفعل صبرًا هو تتويج للتهيّؤ والإرادة والاستعداد والتأهّب؛ فهو من غيرها لن يكون المؤثّر في صناعة المستقبل الأفضل، وهو الذي لا يتحقّق إلَّا من فاعل من أجل مفعول لأجله، والفعل حركة وسلوك وإنجاز خلال الزَّمن وعندما يتحقّق لن تنتهي الأمور، بل يتوجَّه الفاعلون إلى بلوغ الغايات المأمولة؛ ولهذا فكثير من الأفعال تُفعل لإزاحة عوائق حائلة بين الذين لهم أمل وبين ما يأملونه من غايات.

والفعل هو ما يُفعل، سواء أكان عن إرادة أم من دونها المهم أنَّه يفعل، والفعل دائمًا يجسّد حيويَّة الإرادة عندما يكون الفاعل

حرًّا مخيّرًا، وفي المقابل لا يعكس الإرادة إذا كان الفاعل مكرهًا على ارتكاب الفعل؛ ومن هنا فإنَّ البقاء على أفعال الإكراه عن غير إرادة لا يعدّ صبرًا، ولا يعني قبولًا لها أو اعترافًا بها، بل يعدّ تكيُّفًا معها بعلل الضَّرورة المؤلمة.

والفعل صبرًا لا يمكن أن يكون ذا أهميّة ومقصد ما لم يكن قابلًا للتنفيذ، وفقًا لخطة ترسم، وبرؤية قابلة للتقييم والتقويم، والفعل هنا عمل يجرى أو يقام به مِن قِبل الذين تهيئوا له واستعدّوا عن إرادة؛ ليكون الاستعداد وإعداد العدّة من بعدها سابقان على التأهُّب المؤهلّ للإقدام على الفعل صبرًا.

ومن ثمَّ يصبح الفعل أمرًا يتحقّق ويترك أثرًا (موجبًا أو سالبًا)، ولا يكون إلَّا عن أخذ قرار وتدبُّر، سواء في حالة إدراك الفاعل لأثر فعله وما يترتّب عليه، أم بعدم إدراكه لذلك.

ولهذا تتجسّد الأفعال عملًا وسلوكًا على أيدي الفاعلين لها، ممَّا يجعل صفات الفعل ملتصقة بهم، كالتصاق السّرقة بالسَّارق، والتطرُّف بالمتطرِّف، والكذب بالكاذب، والجريمة بالمجرم، والاحترام بالمحترم، والصّدق بالصَّادق، والأمانة بالأمين، وهكذا لكلّ فعل صفه على فاعليه وقد تكون الصّفة حسنة وقد لا تكون حسنة، ومن هنا تختلف الصِّفات باختلاف أفاعل فاعليها إلَّا الأفعال المستمدَّة من صفات الله الحسنى تبقي هي كما هي حُسنى كما هو حال صفة الصّبر التي لا تكون إلَّا عن رغبةٍ وإرادةٍ ودرايةٍ.

ومع أنَّ للكلمة معنى؛ فإنَّها لا تعني شيئًا إذا لم تصبح فعلًا مجسّدًا عملًا وسلوكًا، ومن هنا تتجسّد الكلمة المتطرِّفة بالفعل المؤلم عملًا متطرِّفًا ما يجعل التطرُّف صفة الفاعلين له.

ومع أنَّ التطرّف يُفعل، ويترك أثرًا مؤلمًا، ويجرِّمه القانون، ويعاقب مرتكبيه، فلا إمكانيَّة للقضاء على التطرُّف

قانونًا أو عقابًا؛ ذلك لأنَّ التطرُّف فكرٌ، والفكر لا يصحّح إلَّا بالفِكْر من خلال معرفة:

_ العلّة التي أثارت العقل واستفزّت ملكاته.

_ موقظات الإرادة التي لفتت الإنسان لعقله وحرّرته من الخوف، ومن قيود الفضائل، والقيم، والقوانين.

_ مثيرات التَّهيؤ بعد أن أصبحت حيويَّةً، ولفتت الإنسان إلى نفسه وعلاقته بالغير من أجل أن يتخذ موقفًا به تواجه المستفزّات.

_ دوافع الاستعداد التي قدّرت الفعل وخطورته، ثم مكّنت من تقدير الفعل وتحديد المستوجب لتنفيذه.

_ كيفية إعداد العدّة واختيار أنسبها لتنفيذ الفعل.

_ أساليب التأهُّب التي مكّنت من وضع الأهداف موضع الصيَّاد من الطريدة.

_ المعطيات التي ألغت التردّد من نفس المتطرِّف وجعلت الفعل منفَّذًا وفقًا للخطط الرَّئيسة أو البديلة.

وعليه: فالإقدام على العمل بمشاركة الآخرين عندما يُنظر إليه مجرَّدًا عن الذَّات والموضوع ما هو إلا قضيَّة فكريَّة، وبدايةً ليس للسُّلوك أثر فيها، وإنَّما تتولّد القناعات العقليَّة من الفكرة، وهذه القناعات تنبع غالبًا من المتضادات الفكريَّة التي لا تجعل للآخر اعتبارًا في بعض الأحيان، ويضاف إلى ذلك مؤثرات خارجيَّة من المجتمع والبيئة تنمو مع نمو الإنسان حتى تصبح جزءًا من شخصيَّته التي من الصّعوبة أن تنفكّ عنها، الأمر الذي يجعل الأنا على خلاف مع الآخر في أشياء منطقيَّة حتى تصبح له سلوكًا، سواء أكانت ذات أثرٍ موجبٍ أم سالبٍ.

وعلى هذا فالسُّلوك يترتّب على الأفكار التي تثيره، وتحرّكه الدَّوافع وتحدّد اتجاهه، فالفكرة المجرَّدة هي الأساس بداية في تحريك الدَّوافع، ومن ثَمَّ إثارة السُّلوك وتحديد اتجاه الأفراد، وكيف يتصرَّفون.

إنَّ الدَّوافع عادة تنشأ عن أسباب داخليَّة ذاتيَّة وخارجيَّة، تؤدِّي إلى سلوك الفرد وتصرّفه وفق ما يتصرف به معظم الأفراد في المجتمع الذي يعيش فيه، وبالكيفيّة التي يتصرَّفون بها؛ ومعظم الأفراد لديهم إحساس واضح بما يحدث ويؤدِّي إلى دفعهم للقيام بفعل ما انطلاقًا من المركز، سواءً أكان المركز يتمثل في الأنا، أم إنَّ آخرين يرونه في الآخر حسب ما اكتسبوا من معارف وخبرات؛ ولذا فللسُّلوك مثيرات تستحضر التهيّؤ والاستعداد والإرادة؛ وتجعل الإنسان متأهِّبًا للإقدام على أداء الفعل مهما كانت النتائج المترتّبة عليه كلّ وفق اتجاهه الذي أُعِدَّ عليه أو تشرَّب معلوماته منه، سواء أكانت تلك المعلومات خاطئة أم إنَّها كانت صائبة وفقًا لذلك الصَّبر الذي كان من ورائها وعيًا وتربُّصًا.

وهنا فمثيرات السُّلوك هي من الأسباب التي تدفع الإنسان إلى الحركة قبل وقوع الفعل، وهذه المثيرات هي التي تستفزّ الإنسان بالتهيّؤ وتوجههُ إرادةً لاستمداد القوّة واستمداد وسائل إظهارها بغض النَّظر عن كونها شرعيَّة أم غير شرعيَّة، فكلٌّ حسب وجهته التي ارتضاها بإرادة.

فالإنسان المحترم تثيره الأفكار التي تولِّد عنده شعورًا اتجاه الآخرين كما تولِّد ردود أفعال اتجاههم، ممَّا يجعله بعد تهيّؤ واستعداد وتأهُّب قادرًا على أن يقدِمَ على فعل مؤيدٍ أو فعل معارضٍ لذلك الفكر وأصحابه.

ولذا فإنَّ استجابة الإنسان لمثير ما في سلوكه يتوقّف على مكتسباته من الأفكار والعادات والتجارب، ومن ثَمَّ طُرق التصرُّف التي تعلّمها من قبل؛ استنادًا إلى معرفته السَّابقة، ممَّا يجعل تصرُّف بعض الأفراد غير مؤسّس على أهداف واضحة محدّدة، والبعض الآخر يتّصف بالتحديد الدَّقيق في موقف ما وفق أهداف واضحة محدّدة، وبعضٍ منهم يكون سلوكهم لأجل الدِّفاع عن الأنا بصرف النَّظر عن الحقِّ والباطل أو الصَّواب والخطأ، وفي هذه الحالة تكون نظرة الفاعل لهذا السُّلوك نابعة من الأنا التي يعدّها تمثّل المركز.

أمّا اتجاه السُّلوك فيتمثل في العادات التي اكتسبها الفرد، والمهارات التي يتمتَّع بها، والقدرات التي يمتلكها، وكثيرًا ما نجد الدَّوافع هي التي تحدّد اتجاه السُّلوك، من نجاح وفشل ومن ثأرٍ وانتقام، ومنافسة، وصراع، وصدام، واقتتال، وإقصاء، وتغييب، وتسفيه، وتقليل شأن؛ فكلّ السَّالب منها إن حدث ترتّب التطرُّف عليه بأسباب موضوعيَّة.

إذن: فالدَّوافع التي تعمل على توجيه السُّلوك متباينة لدى الأفراد، منها: الدَّوافع النفسيَّة، والغريزيَّة، والفكريَّة، وكلّها قادرة على تحديد سلوك الفرد وتوجيهه، ممَّا جعل الدَّوافع متأثِّرة بالحاجات ومشبعاتها، وهذه الدَّوافع التي تؤثّر في السُّلوك وتؤطّره وتحدّد اتجاهه، تتطوَّر وتتشعَّب من خلال الخبرات المتراكمة من التجارب والثَّقافة التي مصدرها الفكرة.

إنَّ الدَّوافع التي توجّه بالسُّلوك تتطوَّر وتتشعب سلبًا وإيجابًا بتبني أفكار جديدة والتخلّي عن أفكار أخرى أو محاولة الجمع بينها أحيانًا، وهذا أمر يعمل على التأثير في الأفراد والتجمعات خلال مسيرة الحياة؛ ومع ذلك فإنَّ السُّلوك لا يُمكِّن من الوقوف على الأصول التي نبعت منها دوافعه على الرُّغم من أنَّه ناتج

عنها؛ وذلك لما يطرأ عليها من أفكار تُقرأ من وجوه متعدِّدة وتخرج بمفاهيم متباينة للفكرة الواحدة؛ لذا نجد بعض الأفراد يتَّصفون برغباتهم القويّة في الانتماء الاجتماعي الذي قد ينشأ بسبب تأثير عوامل معينة في مجتمع معين، ومع ذلك نجد أفرادًا آخرين يرفضون هذا الانتماء في المجتمع نفسه، فيترتّب عليه اختلاف في السُّلوك، وهنا تنشأ عللٌ تجعل أفراد البيئة الواحدة أو المجتمع الواحد لا يمكن أن يَسْتَقُوا دوافعهم من مصدر واحد وإن اشتركوا في تجمع بشري وجغرافي؛ فالتجمع الجغرافي لا يُلغي تعدّد المصادر الفكريَّة متنوّعة الاتجاهات، ممَّا يجعل الأحزاب السِّياسيَّة والاتجاهات الفكريَّة في المجتمع الواحد تتعدّد.

وكثيرًا ما تتداخل أنواعٌ من الدَّوافعِ التي تُحفِّز السُّلوك وتتأثّر به، فقد تتمثّل الرَّغبة لدى بعضَ الأفراد في اكتساب خبرات جديدة نابعة من دوافع الاتزان والحرص، كما يكون الانطواء والخوف دافعًا للاقتناع بالواقع لدى بعضٍ آخر، وعلى هذه الدَّوافع يتحدّد اتجاه السُّلوك؛ ونتيجة لذلك فإنَّ بعض النَّاس يتصرّفون وكأنَّهم يبحثون عن الجديد بصورة مستمرّة، بينما يبدو بعضهم وكأنَّه قانع بالأشياء المألوفة لديه، وقد لا يرتضي التغيير وإن كان نافعًا.

ومع ذلك فإنَّ الفكر هو الأساس المؤثّر في السُّلوك مرونةً أو تطرُّفًا وفقًا للوجهة التي يتوجَّه الإنسان إليها؛ لذا لا يمكن لأحد أن يرسم صورة للتطرُّف أو المتطرّف قبل الوقوف على تلك الأفكار التي أنتجت الدَّوافع المؤثّرة في السُّلوك وحدّدت اتجاهه في أقوال وأفعال أدّت إلى التطلّع من أجل تحقيق نتائج يمليها الفكر من بينها رفض التمركز على شخصٍ واحدٍ، أو على رؤية واحدة لفردٍ أو جماعة معيّنة، بل يجب أن يتمّ نقل المركز وتبادله من الأنا إلى الآخر أو العكس كلّ بإرادة مع

وافر الشَّفافيَّة وفقًا لإجراءات موضوعيَّة تقدِّر قيمة الإنسان وتحترمها.

ومن يفترض نفسه نقطة التمركز في الاعتدال والتوازن ظانًّا أنَّه يعبِّر عن الفضيلة والقيم السَّامية والأخلاق الرَّفيعة، فقد حدّد مواقع الآخرين ومواقفهم تبعًا لذلك، ومن ثمَّ فهو يعطي مبررًا للآخر أن يفترض الفرضيَّة نفسها، ومن هنا تنشأ القضيَّة المعياريَّة للتضاد الفكري؛ فالذي يُقرُّ سحق الآخر وإلغاءه لمخالفة الرَّأي فقد ركب من التطرف مركبًا.

إنَّ الأفكار المتضادة عبر التَّاريخ التي نمت وقيّمت الآخر بميزان الأنا أنتجت مسمِّيات للتضاد الفكري من (مركزٍ، ويمين، ويسار، ووسط، ويمين الوسط، ويسار الوسط، وكذلك اليسار المتطرّف، واليمين المتطرِّف)، ولكلٍّ وجهة هو موليها، وعندما تكون المطالب وفقًا للدَّساتير والقوانين فالصّبر بين المختلفين لا يكون إلَّا بأساليب وطرق تلك القوانين والدَّساتير.

ومن هنا إنْ نصّبت الأنا نفسها ممثلًا لقيم الفضيلة ومركزًا لها، فقد حدّدت موقع الآخر تبعًا لذلك وفقًا للمقياس الذي ارتضته لنفسها دون استشارة الآخر، وغالبًا ما يكون هذا المقياس الشَّخصاني متعارضًا مع الآخر وقيمه وفضائله بنسب متسلسلة تصل أحيانًا حدّ التَّصادم.

إنَّ مثل هذه النَّظرة التي تدَّعي أنَّها قادرة على وضع الموازين، وتدَّعي أنَّها القاسطة ولا غيرها، ومركزًا يجب على الآخرين الدَّوران من حوله تُعدُّ فاقدة لمبرراتها؛ بما أنَّها قرَّرت أن تعارض أفكار الغير لمجرد أنَّهم الغير، وهي بهذه النَّظرة قد وضعت نفسها في المواجهة أمام فوهة المتطرِّفين الذين إن قرروا أصبح الموت مطلبًا يتسارعون في نيله دون خوف وبلا

تردُّد، ويصبح المتطرِّفون قادرين على اتباع أساليب التطرُّف المتنوّعة التي منها العنف الدَّموي، وهنا تكمن عللٌ كثيرة.

الصَّبرُ على أداءِ الفعلِ:

الفعلُ درايةً لا يكون إلَّا تنفيذًا للفكرة التي رمست المستقبل المأمول، وهذه تتطلّب صبرًا يقبل بالزّمن الذي يحتاجه أداء الفعل من أجل بلوغ ما تأمله تلك الفكرة، وهكذا هي الحياة مؤسّسة على قيمة الصَّبر؛ فالحمل على سبيل المثال: لا يتم سالما إلَّا بالوقت المحدّد له من قِبل الخَالق؛ ولذا فلا داعي للقلق، بل أهل الحكمة يأملون دائمًا ألَّا يحدث قبل موعده وهم ينتظرون الفرحة ببالغ الصَّبر؛ وهكذا زمن الزَّرع والحصاد لا يجني ثماره إلَّا الصَّابرون الذين لا قلق في نفوسهم على حساب الصَّبر من أجل نضجه.

ومن هنا فإنْ توافر الصَّبر والعزم والإصرار كانت الإرادة والعزيمة في لُحمةِ الإقدام معها على تنفيذ الفعل مع ترقُّب شديد ورصد للحركة والسّكون الممكِّن من إنجاح الفعل وجني الثِّمار والفوز بالمأمول. ومع ذلك فإنَّ كلّ الأفعال المترتّبة على الصَّبر درايةً ومعرفةً يسبقها استعداد وتهيّؤ وتأهُّب.

ولذا فالتَّأهُّب للفعل يؤجّج في النَّفس حرارة الانقضاض والاندفاع تجاه الهدف دون خوف ولا تردّد، مع شجاعةٍ وبلاءٍ وإصرار على الإنجاز في الوقت المحدّد للتنفيذ؛ خوفًا من التأخير الذي فيه تعشش المفاجآت؛ ولذلك دائمًا لا للاستعجال، ونعم للإسراع دون التسرُّع.

وعليه: فأداء الفعل تتويجٌ للتهيّؤ والإرادة والاستعداد والتأهّب؛ فهو من غيرها لن يكون المؤثّر في صناعة المستقبل الأفضل، وهو الذي لا يتحقّق إلَّا من فاعل من أجل مفعول

لأجله، وعندما يتحقّق الفعل لن تنتهي الأمور، فحال الأفعال كحال يوم حصاد الزَّرع الذي من ورائه غايات مأمولة بيعًا وشراء (منافع ومكاسب)؛ ولهذا يتوجَّه الفاعلون إلى بلوغ الغايات المأمولة من وراء أداء الأفعال بنجاح؛ ومع ذلك فإنَّ بعض الأفعال تُفعل لإزاحة عوائق حائلة بين الذين لهم أمل وما يأملونه من غايات.

ولهذا يُعدّ الفعل خروجًا من دائرة السّكون إلى دائرة التنفيذ إنجازًا للأهداف أوّلًا بأوّل، من خلال تمدّد القوَّة وحركتها الفكريَّة والماديَّة؛ ولهذا فالعمل الذي يفعل عن إرادة وبعد تهيؤ واستعداد وتأهُّب، هو العمل المدروس والمخطط له والمصبور عليه مسبقًا، والمأمول بلوغه ونيله عن رغبة ودراية[82].

الصَّبرُ على الارتقاء بالفعل:

مع أنَّ الفكر أساس النّهوض، فإنَّه لا نهضة إلَّا بالعمل المنتج والمبدع والخلَّاق؛ ولهذا يعدّ العمل ارتقاءً رفعةً عن كلّ ما يؤدِّي بأصحابه إلى السُّفليَّة والدّونيَّة، وهو الأخذ بالقيم الحميدة والفضائل الخيرة مع وافر التقدير والاحترام للأفراد والجماعات والمجتمعات والحضارات والثّقافات والأديان، كما أنَّه الممكّن من التوافق والاندماج الذي فيه الإنسان قيمة في ذاته؛ فلا يهان ولا يقلَّل من شأنه، ولا يحرم من ممارسة حقوقه وأداء واجباته وحمْل مسئوليَّاته، والارتقاء قد يكون بأسباب العلم والثَّقافة وحسن المعرفة، وقد يكون نتاج التربيّة وتهذيب السُّلوك، والصَّبر على أداء العمل باجتهاد مع مخافة تامَّة لله تعالى.

---

[82] عقيل حسين عقيل، التطرف من الإرادة إلى الفعل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2019م، ص 250.

والعمل ارتقاءً هو الذي فيه تُتَّبع أساليب الاحترام والتقدير والاعتبار والتّفهُّم، وهو الذي به يتمّ الإنجاز أو الإنتاج دون أن يسود استغلالٌ للجهد الذي به أنجز العمل أو أُنتج.

ولأنَّ العمل ارتقاءً هو المبدأ الذي ينبغي أن يُتّبع، أو المنهج الذي يجب أن يؤخذ به؛ لذا فهو مكمن القيم الحميدة التي تحوّل العاملين من خانة المستهلكين إلى خانة المنتجين والمبدعين ومتحدّي الصِّعاب صبرًا وعملًا ولا ركون للكسل واللهو اللذين يؤخّران البعض عن بلوغ الغايات التي ينبغي أن تكون لهم مأمولة.

فالعمل ارتقاءً يستوجب كيفيَّة وكميَّة؛ كيفيَّة من حيث الجودّة، وكميَّة من حيث ما يشبع الحاجات دون أن يكون هناك نقص يؤدِّي إلى العوز والفاقة والألم.

إذن: العمل ارتقاءً يستوجب جهدًا يبذل مع خالص النِّيَّة؛ إذ لا عمل ولا إنتاج إلَّا والجهد يبذل، والجهد هنا قد يكون فكريًّا، وقد يكون عضليًّا، وقد يكون فنيًّا (خبرة ومهارة) وهذه من مجوِّدات العمل ارتقاءً؛ ولذا فلا ينبغي الإغفال عنها وعن أهميّتها وعن أدوار أصحابها، أي: يجب أن تقدّر تقديرًا عاليًا من حيث الحوافز والدَّوافع وكلّ ما من شأنه أن يشجِّع على المزيد أو يشجِّع آخرين ليلتحقوا بخانة المبدعين المهرة.

والعمل ارتقاءً مسئوليَّةٌ لا يحملها إلَّا من هو على دراية ومعرفة بما له وما عليه، أي: معرفة بما يجب ويتّبع، وما لا يجب ويجنّب أو يبتعد عنه، مع معرفة وافية بقوانين العمل وتشريعاته، والمهنة والوظيفة وحمْل المسئوليَّة حتى وإن كانت عبئًا جسيمًا.

وعليه:

ـ العمل ارتقاءً لا يكون إلَّا عن وعي ومعرفة ومسئوليَّة.

ـ العمل ارتقاءً لا يكون إلَّا والأمل لا يفارق عقول المنتجين.

ـ العمل ارتقاءً يحقّق الرِّفعة الذَّوقيَّة.

ـ العمل ارتقاءً يُحدث النُّقلة إلى الأجود والأنفع والأفيد.

ـ العمل ارتقاءً احترام للمهنة.

ـ العمل ارتقاءً حقّ ينبغي أن يمارس.

ـ العمل ارتقاءً واجب ينبغي أن يؤدَّى.

ـ العمل ارتقاءً مسئوليَّة يجب أن تُحمْل.

ـ العمل ارتقاءً حُسن تدبُّر ينبغي أن يقدَّر.

ـ العمل ارتقاءً نتاج تفكُّر فيما يجب وأداؤه مهنيًّا.

ـ العمل ارتقاءً تجاوز للكسل والاتكاليَّة والطَّمع.

ـ العمل ارتقاءً حُسن أداء وجودة إنتاج.

إذن: الارتقاء رفعة وتقدّم تجاه ما هو أفضل وأجود وأنفع، ولا يكون الارتقاء إلَّا ببذل الجهد عن دراية مع سابق تخطيط وفقًا للإمكانات الممكنة؛ ومن ثمّ فلا إمكانيَّة للتقدُّم ما لم تتوافر معطياته من بحث علمي وأخذ بالقيم الحميدة والفضائل الخيّرة مع طموح وغايات من ورائها نيل المأمولات العظيمة.

ولذلك فالكلمةُ مهما عظمت إنْ لم تتجسّد في سلوكٍ يدفع إلى العمل المنتج تظلّ كلمة في حاجة للحياة، ولا حياة لها إلَّا العمل، ولكن أيُّ عمل؟ إنَّه العمل ارتقاءً (بناءً وإصلاحًا وإعمارًا مع ارتقاء الأخلاق قمّة)، والعمل ارتقاءً هو إنشاء الشّيء من

الشّيءٍ، كما أنشأ نوح -عليه السَّلام-سفينة النّجاة من جذوع الشّجر إبداعًا، والفضائل والقيم من ورائها إنقاذًا.

ولأنَّ الأمم والشّعوب التي تقدّمت لم تتقدّم إلَّا بالعمل؛ فَلِمَ لا يَقدِم المتأخّرون عنهم على العمل الممكّن من طي الهوة بينهم والمتقدّمين الذين ارتقوا علمًا وتقنيةً وحُسن إدارةً؟

ولأنَّ الارتقاء لا يكون إلَّا عملًا؛ فينبغي على من يرغب ارتقاءً أن يَقدِم على العمل النَّافع، وينبغي أن يجوِّد منتجاته؛ لتكون منافسة لمنتجات الغير؛ ذلك لأنَّ المنتجات غير المنافسة لن تجد لها مكانًا في أسواق المستهلكين.

وهذا يعني: إنْ لم تُقدِم الشّعوب وبكلّ طاقاتها على العمل المنتج والمبدع فستظل متخلّفة وتابعة لمن يمتلك القوَّة المنتجة ويسيطر على السّوق، وقد تصبح مدانة بما لم تستطع تسديده، وهنا ستجد نفسها أمام خيارات قد لا تكون محمودة، ويومها لن ينفع النَّادمين ندمٌ.

وعليه: فالعمل ارتقاءً يجعل المكانة لمن لم تكن لهم مكانة؛ ومن ثمَّ فمن رغب مكانة ويأمل تبوءها فعليه بالعمل المنتج صبرًا يمكِّن من الإنجاز والتحدّي للصِّعاب التي قد تواجهه بين الحينة والأخرى، وهكذا ينبغي أن يحرِّض على العمل: {قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ}[83]. فالأنبياء -عليهم الصَّلاة والسَّلام جميعهم-يعملون ويحرِّضون النَّاس على العمل، ويحبّون من يعمل من أجله وأجل من تربطه بهم علاقات: {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ}[84].

وهكذا جميع الأنبياء -عليهم الصَّلاة والسَّلام- أرسلوا للنَّاس من أجل الهداية والعمل ارتقاء؛ فكانت القيم الحميدة والفضائل

---

[83] الأنعام: 135.

[84] التوبة: 105.

الخيّرة جنبًا إلى جنبٍ مع الإصلاح والبناء والإعمار ارتقاءً عبر التَّاريخ؛ فالإنسان الأوَّل الذي خُلق في الجنَّة رأى الارتقاء بأمّ عينه، بل عاش الارتقاء حياة نعيم، ولكن بأسباب المخالفة والمعصية ارتكب خطأ فأخرج به هبوطًا من الجنَّة إلى الحياة الدُّنيا، والتي من بعدها أصبح واضعًا نصب عينيه أمل العودة إلى تلك الجنَّة، التي ضاعت من بين يديه وهو يتحسّر، بما أقدم عليه إرادة، حتى وإن كان بأسباب الإغواء، ولكن بعد أن استغفر ربّه، ظلَّ يعمل من أجل العودة إلى ذلك العيش الرَّغد الذي حُرم منه بما ارتكبه من فعل منهي عنه، ومع ذلك ساد الصِّراع بين النَّاس إلى يومنا هذا (بين من صدَّق الرُّسُل ومن كذَّبهم)؛ فمن صدَّق الرُّسُل يأمل كما أمِلَ الإنسان الأوَّل الارتقاء إلى الجنَّة التي عاشها حياة فردوس، ومن لم يصدّق فلا يرى جنَّة، وهنا تكمن العلّة.

وهكذا فالإنسان لم يقف عند ما يأمله، بل تجاوزه بالعمل حتى صعد إلى القمر الذي كان يعتقد أنَّه الجنَّة، ثم تجاوز القمر؛ كونه لم يكن كذلك، فغزى الفضاء اكتشافًا، وهو في سعيه لم ييأس ارتقاءً من بلوغ ما هو أعظم، ولا غاية له من وراء ذلك إلَّا بلوغ الجنَّة، إنَّها رسالة الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام؛ فمن أخذ بها ارتقاءً أخذ بما يجب الأخذ به، ومن لم يأخذ بها فلن يبلغ التقدُّم والارتقاء المحقّق لإشباع الحاجات المتطوّرة والمتنوّعة، وبناء الحضارة التي ترتقي بصُنّاعها إلى صناعة المزيد من الأمجاد.

ومع أنَّ الإنسان خُلق على الارتقاء خَلقًا، فإنَّه لم يحافظ على ارتقائه؛ فأُهبط به من علوٍّ إلى دنيا؛ ومع ذلك عيناه لم تفارق السّماء، ظلّت تبصر هناك بأمل العودة، وهذا الأمر هو الذي حفّزه على العمل صبرًا ودفعه إليه ارتقاءً.

إنَّ الإنسان لو لم يكن مؤهَّلًا للارتقاء، ما فكّر وتدبَّر حتّى تمكَّن من اقتناص الفكرة التي مكّنته من غزو الفضاء وهو يأمل في المزيد ارتقاء، ولأنَّ حاجات الإنسان متنوّعة ومتطوّرة؛ فهي إن لم تواكب من قِبله بالعمل المتطوّر تصبح ضاغطة عليه ألما شديدًا؛ ومن ثمَّ فعليه بالعمل وتحدّي الصّعاب، ولا يخشى شيئًا سوى الحقّ الذي يمكِّنه من التقدُّم والنُّهوض وتحقيق الرِّفعة والمكانة قمَّة.

ومن هنا فما بلغه الإنسان مِن ارتقاءٍ علمي وثقافي وحضاري يؤسّس قاعدة عريضة للمزيد المعرفي الممكّن من الإصلاح والبناء وقبول التحدّي من أجل الأفضل والأفيد والأنفع والأرقى.

وعليه: فمن أراد أن يرتقي إلى المأمولات العظام فلا إمكانيَّة له إلَّا بذل الجهد والعمل الذي له من الأهداف ما له وله من الأغراض ما له، ومن وراء كلّ ذلك غايات تُبلغ ومأمولات يتمّ نيلها أو الفوز بها؛ ولهذا فالارتقاء صبرًا على العمل بغاية عظيمة يحقّق:

ـ الرّفعة.

ـ تبوء المكانة.

ـ القدوة الحسنة.

ـ الاعتماد على الذَّات.

ـ بلوغ الغايات.

ـ نيل المأمولات.

وعليه:

ـ تعلّم؛ حتى تجعل الجهل خلفك، ولا فرصة له أن يلاحقك.

ـ اعمل؛ حتى ترتقي وتتبوأ المراكز المتقدِّمة.

ـ تحدّ؛ حتى تخلق لك مستقبلًا أفضل.

ـ اجعل المهنة وكأنَّها الهواية وعن رغبة واشتياق.

ـ أتقن عملك؛ حتى يصبح لك هويَّة.

ـ تطلّع إلى الأجود حتى وإن تمكّنت من أداء عملك ارتقاءً.

ـ اعمل؛ فلا قيمة لك إلَّا بالعمل ارتقاءً.

وعليه: فإنَّ الارتقاء لا سقف له؛ فلا تجعل من مستوى الجودة الذي بلغته مظلّة لتجلس تحت ظلّها وكأنَّها الغاية، بل عليك أن تعرف أنَّ الجودة درجات سُلم يتمّ الصّعود عليها، ولا يتمّ الصُّعود إليها؛ ذلك لأنَّ الوسيلة ليست الغاية ولا المأمول، ولأنَّ السّلم وسيلة فلا تقف عنده وكأنَّه المهمّ الذي لا شيء مهمّ من بعده.

ولهذا فعليك بالعمل، فالعمل الصَّالح كما يرضي القائمين به صبرًا وجهدًا مبذولًا فهو يرضي الله، ولكلّ جزاؤه: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}[85]. أي: لكلٍّ حسابه؛ فللعمل الرَّاقي حسابه، وللعمل السَّيئ حسابه، ولا يظلم ربك أحدًا: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا}[86].

الحوافز تدعم أفعال الصَّابرين:

الحوافز حيويَّة داعمة لصبر الصَّابرين عملًا، والمرسّخة لقبول التحدّي للصِّعاب، والحافز قد يكون ماديًّا وقد يكون

---

[85] الزلزلة: 7، 8.

[86] النساء: 40.

معنويًّا، ولكلٍّ أثره الإيجابي على الجهد والحيويَّة والإنتاج، ومع أنَّ الأفعال ذات قيمة بما تحققه من نتائج، فإنَّ للحافزيَّة أثرها الدَّاعم لحيويَّة الصَّبر على أداء العمل بفاعليَّة مع وافر الرِّضا النَّفسي.

والحوافز الدَّاعمة هي ذات الأثر الموجب في تقوية دافعيّة الأفراد للمشاركة الفعَّالة، أمَّا الحوافز التي تُقدَّم ولا تترك أثرًا موجبًا فلا يمكن أن تكون ذات قوَّة دافعة للمشاركة الفعَّالة، أي: إنَّها قد تدفع إلى المشاركة ولكن لا تحقّق درجة الفعاليَّة في نفوس الأفراد؛ وذلك إمَّا لأنَّها لا تتماثل مع الجهد المبذول، أو الوقت المستغرق في عمليَّات التنفيذ، أو إنَّها لا تتماثل مع ما تحقّقه من إنجاز كبير؛ فالحوافز تُشجّع العاملين والمتعلمين والمبدعين على زيادة الإنتاج وفقًا للجهد المبذول ونوعيَّته ورقي مستواه ودرجته.

وعليه:

ـ لا تغفل عن أهميَّة الحوافز الدَّاعمة والدَّافعة لزيادة الإنتاج والإبداع.

ـ اعتمد الكلمة الطَّيبة مع العملاء تنل تقبلهم واحترامهم.

ـ ضع دائرة الممكن نصب عينيك كلّما أجريت دراسة حالة أو شاركت أو دُعيت للمشاركة في رسم الخطط والإستراتيجيَّات.

ـ حدَد الحوافز وفقًا للجهد المبذول والوقت المستغرق في عمليَّات الإنجاز والعائد من العمليَّة الإنتاجيَّة.

ـ قدّر طموحات الأفراد والفروق الفرديَّة بينهم، وحثّهم على المنافسة الإبداعيَّة.

ـ اعمل على إزاحة الظّنون من أنفس الأفراد الذين لا يرون مقدرة لهم على العمل والإنتاج وقبول التحدّي، وعليهم أن يعرفوا أنَّ الظَّنون قيم نتائجها سلبيَّة إذا ما وضعت على الأفراد أو الجماعات أو المؤسَّسات والهيئات والجمعيَّات العاملة تحت المظلّة الأهليَّة أو الحكوميَّة؛ ولهذا فمن يتقدَّم إلى المشاركة بفعاليَّة تُزاح الظّنون عنه، ومن يتقدَّم إلى المشاركة من دون فعاليَّة توضع الظُّنون عليه؛ ولهذا الفاعليَّة قيمة إيجابيَّة تُمكِّن من إزاحة الظّنون، وخير ما يسهم في إزاحة الظّنون هي قوَّة العزيمة والتصميم؛ ولذا ينبغي أن تُقوّى عزائم الأفراد وإرادتهم؛ ليتمكّنوا من إدارة شئونهم عن وعي وتصميم وبكلِّ إرادة مع وافر الصّبر موجبًا[87].

وعليه:

-مارس حقوقك بلا تردّد.

-أدِّ واجباتك بثقة.

-احْمِلْ مسئوليَّاتك بحرّيَّة.

ومن هنا ينبغي على مؤسّسات الدّولة ومن خلال خبرائها والمتخصّصين في التنمية البشريَّة والخدمة الاجتماعيَّة ومن خلال مراكز البحوث أن يعملوا على الآتي:

ـ تمكين أفراد المجتمع من تحمّل الأعباء التي يجب أن لا يتخلّوا عنها كمواطنين لهم من الإمكانات والقدرات والاستعدادات ما يمكِّنهم من ذلك.

[87] عقيل حسين عقيل، مبادئ التنمية البشرية، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2017م، ص 161 – 165.

ـ تمكين أفراد المجتمع من حمْل مسئوليَّاتهم الناتجة عمَّا قاموا به من أفعال؛ وذلك لتأكيد ذات كلّ فرد وأهميَّته وأهميَّة دوره في المجتمع.

ـ حمْل المسئوليَّة عبء يستوجب التحمّل في سبيل بناء الذَّات في نفوس أفراد المجتمع.

ـ تمكين أفراد المجتمع من ممارسة كلّ ما يتعلّق بهم من أمر (قول وفعل وسُلوك).

ـ دفع أفراد المجتمع إلى حمْل الأعباء الجسام للمسئوليَّة، دون كلل ولا ملل، وتحمّل ما يترتّب عليها من مساءلات أو عقوبات أو مكافآت.

ـ تمكين الأفراد والجماعات من الإقدام على تأدية ما يتعلّق بهم من أمر وتحمُّل ما يترتّب عليهم من إجراءات يعزز ثقته بأنفسهم، ويُمكِّنهم من المشاركة الفعَّالة.

ـ إشعار الأفراد بأهميَّة المسئوليَّة فيما يؤدّونه أو يلعبونه من أدوارٍ.

ـ حث الأفراد على تأدية الوظائف الاجتماعيَّة على المستوى الفردي والجماعي والمجتمعي كلّ حسب الدّور والاختصاص والمؤهل الذي تعتمده القوانين والتشريعات النافذة في مؤسّسات المجتمع وهيئاته.

ـ تحريض الأفراد على ممارسة الحقوق الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والسياسيَّة، بلا إنابة ودون زيادة أو نقصان؛ اعتمادًا لقيمة المساواة بين المواطنين في الدَّولة.

ـ تحريض أفراد المجتمع على تأدية الواجبات الاجتماعيَّة والوطنيَّة في مقابل ما يمارسونه من حقوق بإرادة.

ـ الإسهام في دفع عمليَّات التفاعل الاجتماعي وفقًا للمعتقدات الدِّينيَّة والأعراف المعتمدة في قيم المجتمع.

ـ الإسهام في عمليَّة التغيير المستهدف من قبل مؤسّسات المجتمع وهيئاته، ووفقًا لخططه وإستراتيجيَّاته التي تنقله إلى مستويات قيميَّة وحضاريَّة أكثر رقيًّا وتقدُّمًا.

ـ تغيير أحوال الأفراد من الالتجاء والرّكون إلى مواقع الاستثناءات التي يمارس فيها السّلوك الانحرافي أو الشاذّ، والعودة به إلى الجلوس على القواعد التي تمدّه بالثّقة وتُمكِّنه من الاعتماد على إمكاناته الهائلة فيما يجب.

ـ الإسهام في عمليَّات التغيير الهادف الذي يؤدِّي إلى تنمية القدرات واستثمار الإمكانات وتحقيق التقدّم الثّقافي والحضاري لأفراد المجتمع وجماعاته.

وعليه:

ـ مارس حقوقك.

ـ أدِّ واجباتك.

ـ احمْل مسئوليَّاتك.

ـ اصنع التغير.

ـ حقّق التغيير.

ـ قارن بين ما هو كائن وما يجب أن يكون، وأقدم على ما يجب.

ـ تطلّع لأداء وظائفك الاجتماعيَّة بكل ثقة.

ـ انزع الخوف من نفسك؛ لتتشرّف بتحدّي الصِّعاب.

ـ ثق أنَّ كلّ شيء في دائرة الممكن قابل للتغير والتغيير.

ـ امتلك الإرادة في كلّ أمر يتعلّق بك.

ـ اثبت وجودك وذاتك بالعمل.

ـ أهّل نفسك للمستقبل.

ـ ابحث عن قدوة حسنة.

ـ كن قدوة حسنة لغيرك.

ـ اعتمد التغيُّر قاعدة وإلَّا سيعتمده لك الآخرون.

ـ اعرف أنَّ الجمود والسّكون استثناءً فلا تركن إليه، واعمل على التغيير الموجب.

ولذا فعلى المسئولين في الدَّولة أن يعملوا ما في وسعهم لإيجاد الحلّ بدلًا من الاقتصار على عمليَّات الإصلاح؛ ولأجل أن يحدث التغيير الموجب يجب على كلّ مفردة من مفردات المجتمع أن تتحمّل ما يترتب على كلّ ما تقوم به في ضوء اختصاصات وصلاحيَّات وأدوار ومسئوليَّات، وفي ضوء الاتجاهات والشَّرائع والقوانين والأعراف التي تُكوِّن الخصوصيَّات الاجتماعيَّة، وعليهم أن لا يغفلوا عن:

ـ تحسيس أفراد المجتمع بأهميَّة إمكاناتهم المتعدّدة والمتنوّعة، وتمكينهم من معرفة فوائدها؛ حتى لا يكونوا عالة على غيرهم.

ـ تمكين الأفراد من معرفة إمكاناتهم من حيث المقدرة والاستعداد ومن حيث الخبرة والتأهل والتجربة؛ حتى يُدركوا حقيقة أمرهم وما لهم من قوَّة.

ـ تمكين أفراد المجتمع من معرفة إمكاناتهم الذَّاتية التي هم عليها والتي هم يمتلكونها، وتوجيههم إلى استثمارها الاستثمار الأمثل.

ـ تفطين أفراد المجتمع من غفلتهم وتوجيههم إلى العمل المنتج يُمكِّنهم من نيل التقدير والاحترام من الآخرين.

ـ دفع أفراد المجتمع ومؤسّساته وهيئاته إلى استثمار الإمكانات المتاحة في الأوجه المرضية التي تؤدِّي إلى إشباع الحاجات المتطوِّرة للأفراد والجماعات.

ـ معرفة الإمكانات المتعدّدة التي يمتلكها المجتمع، والعمل على تسخيرها فيما يُفيد ويعود على أفراده وجماعاته بالنفع.

ـ تمكّين الأفراد من ممارسة حقوقهم في كلِّ ما يتعلّق بهم من أمر يجعلهم قوَّة بنائيَّة في مجتمعهم وبلدانهم، ويُمكِّنهم من نيل التقدير من ذويهم وكذلك من الآخرين.

ـ توعية الأفراد والجماعات والمسئولين والعاملين في مؤسّسات الدّولة على ترسيخ قيمة الاعتبار بينهم؛ حتى يزدادوا رقيًّا ومكانةً.

ـ تنبيه مؤسّسات المجتمع ومجالسه وهيئاته وجمعيَّاته إلى أهميَّة مشاركة أفراد المجتمع القادرين على أداء المهام التي تناط بهم في تحقيق التقدّم والتطوّر الاجتماعي والسِّياسي والاقتصادي والنَّفسي والذّوقي والثّقافي.

ـ حث الأفراد على أداء واجباتهم التي هي حقّ لهم في مقابل ما يمارسونه أو يقدمون على فعله والقيام به.

ـ دفع أفراد المجتمع القادرين على أداء واجباتهم إلى المشاركة في كلّ ما يتعلّق بهم من أمر حتى يتحمّلوا مسئوليَّاتهم ومسئوليَّات الذين يتعلّق أمرهم بهم.

ـ مراعاة قدرات أفراد المجتمع؛ حتى لا تنجم ضغوط نفسيَّة أو بدنيَّة وتؤثّر سلبًا على حالاتهم، والعمل على تنميتها فيما يفيد المجتمع.

ـ توعية الأفراد بإمكاناتهم المتعدّدة وتفطينهم لها؛ من أجل استثمارها بما يحسّسهم بالقدرة على العطاء ويدفعهم للاستزادة التي تطوي الهوة بينهم وبين تحقيق النُّقلة.

ـ تحريض أفراد المجتمع على تبادل الاحترام والتقدير؛ حتى يتخذوا المنطق حُجَّة بينهم وترتوي أنفسهم بالطيبة والرُّقي السّلوكي.

ـ وفقًا لقاعدة النسبيَّة يجب مراعاة درجات استعداد أفراد المجتمع للعمل والعطاء؛ حتى لا تصدر قرارات من جهات العمل وتعمّم على الجميع وكأنَّهم نسخة واحدة لا فرق بينهم في درجة الاستعداد النَّفسي والبدني والرّغبة والطَّموح.

ـ مراعاة المهارات المتنوّعة لدى الأفراد العاملين والأفراد الذين يبحثون عن العمل وتوجيهها فيما يمكن أن يفيد المؤسّسة والمجتمع وينفعهما.

ـ مراعاة المستويات التعليميَّة في توجيه الخرِّيجين والباحثين عن العمل ومراعاة تخصّصاتهم؛ حتى يُنسَّب الخريج المناسب إلى المكان المناسب.

ـ التأكيد على قيمة التقدير المتبادل بين العاملين في المؤسّسات الحكوميَّة ومؤسّسات المجتمع المدني وسيادتها بين

العملاء والزَّبائن والأخصائيّين الاجتماعيّين وذوي العلائق بكل أمر.

ـ دفع الأفراد لاستثمار إمكاناتهم الذّاتيَّة فيما يفيد والبحث عن مصادر أخرى تُسهم في الإسراع بحركتهم تجاه الأهداف التي حدّدوها للمستقبل الذي يأملونه.

ـ توجيه الأفراد إلى ما يؤدِّي بهم إلى المشاركة التي تزيد قوَّتهم قوَّة، وتمكّنهم من الاعتماد على ذاتهم في حالة إي تحدٍّ خارجي لهم أو للمجتمع الذي ينتمون إليه.

ـ التأكيد على قيمة الاستيعاب المتبادل بين الأنا والآخر؛ حتى يُمكِّن أفراد المجتمع من الأُلفة والوحدة.

العمل نجاحٌ (الإمكاناتُ والصَّبر):

مع أنَّ العمل لا يتحقّق إلَّا بجهدٍ يبذل وصبرٍ من قبل الإنسان فإنَّ الإمكانات تظل داعمة ودافعة على تجويد العمل كمًّا وكيفًا، ومع أنَّ الإمكانات داعمة لرأس المال الوطني فإن قبول تحدّي الصِّعاب تحت الظُّروف الصَّعبة قادرٌ على إنجاز ما هو أعظم عندما يكون جنبًا إلى جنبٍ مع وفرة الإمكانات.

ولأنَّ الإنسان في ذاته إمكانات هائلة ومتنوِّعة، فلِمَ لا يُمكّن من أداء المهام وفقًا لإمكاناته حتى يتفوّق وينتج ويبدع في مجالات اهتمامه ورغباته التي تحفِّزه صبرًا على أداء العمل بفاعليَّة؟ فالإنسان كمفردة بشريَّة يمكن أن يكون شاعرًا، وفي الوقت ذاته يمكن أن يكون مهندسًا أو طبيبًا، وكذلك رياضيًّا، أو رسَّامًا أو نجّارًا؛ ولأنَّ الإنسان إمكانات متعدّدة وهائلة الطَّاقات، فهو قوَّة لا يستهان بها؛ ولذا ينبغي أن تُوجّه إمكانات الإنسان إلى ما يجب، حتى يستفاد منها اجتماعيًّا واقتصاديًّا وسياسيًّا ووطنيًّا وأخلاقيًّا.

وعليه:

ـ اكتشف إمكاناتك؛ لتتمكّن من نيل التقدير.

ـ أظهر إمكاناتك؛ لتنل الاحترام.

ـ طوّر من إمكاناتك؛ لتحدث النُّقلة.

ـ استثمر إمكاناتك؛ لتصنع مستقبلًا.

ـ وجّه إمكاناتك؛ لتُبدع وتتطوّر.

ولأنَّ الإمكانات في بعض الأحيان كامنة، فهي ما لم تستفزّ قد لا تظهر إلى حيّز الوجود، وإذا لم تستثمر قد تؤدِّي إلى انحرافات سلبيَّة ليست بهينة؛ ولهذا فمعظم الشَّباب هم في حاجة ماسّة لمن يساعدهم على إخراج إمكاناتهم وتوجيهها وتهذيبها، ثمّ استثمارها بما يعود عليهم وعلى مجتمعهم بالمنافع.

ولذا فالقاعدة هي:

1 ـ كشف الإمكانات.

2 ـ استثمار الإمكانات.

3 ـ توجيه الإمكانات.

والاستثناء هو:

1 ـ عدم كشف الإمكانات.

2 ـ عدم استثمار الإمكانات.

3 ـ عدم توجيه الإمكانات.

ولهذا فالإنسان الذي لا يتمكَّن من إظهار قوَّته ولا يستطيع تنمية قدراته يظل في حاجة لمن يساعده على اكتشاف إمكاناته

واستثمارها وتوجيها وتوظيفها، وهنا يكمن دور المتخصّصين، فلا ينبغي أن يتم الإغفال عن ذلك: وعليه:

ـ اكتشف إمكاناتك واستخدمها بثقة.

ـ اكتشف قدراتك واستثمرها بيسر.

ـ اكتشف طاقاتك ونمّها إلى أقصى حدٍّ.

ـ اكتشف استعداداتك وهيئها للإقدام على ما يجب.

ـ امنح نفسك فرصة التطلّع إلى تجارب الآخرين.

ـ اصبر على أداء العمل بفاعليَّة، وانتظر النتائج في وقتها، ولا تنتظرها قبل وقتها.

ولأنَّ قوَّة الإنسان من مجموع مكوناته المتنوّعة؛ لذا فإنَّ عطب أو فقدان حاسّة من حواسه لا يعني أنَّه ضعيف وَفَقَدَ القوَّة، بل في حقيقة الأمر فقد شيئًا بسيطًا من مجموع إمكانات القوَّة؛ ولهذا عليه أن يستثمر باقي قواه، ويعمل على تنميتها تحدّيًا للضّعف الذي لا سبيل له أمام الصّابرين المتحدين للصعاب إلَّا الهاوية؛ ولهذا على الإنسان أن يعرف أنَّه:

ـ قوَّة في صبره.

ـ قوَّة في ملكاته العقليَّة.

ـ قوَّة في حواسّه.

ـ قوَّة في احتوائه للتَّاريخ، وصناعته له.

ـ قوَّة في استطاعته.

ـ قوَّة في تحمُّله وصبره.

ـ قوَّة في قراراته.

ـ قوَّة في استقرائه واستنباطه واستنتاجه.

ـ قوَّة في خبراته ومهاراته ومعارفه.

ـ قوَّة في تطلّعه وآماله.

ـ قوَّة في تقبله التحدّي.

ومع أنَّ الإنسان قوَّة متكاملة، فإنَّه في حالة عطل أيِّ جزء منها؛ فالمتبقي قوَّة على الرّغم ممَّا يتركه الزّمن من أثرٍ.

وعليه:

ـ اعرف أنَّك قوَّة.

ـ لا تغفل عن مكامن قوَّتك.

ـ هيئها لكلَّ حين.

ـ ادعم مواطن القوَّة فيك.

ـ عالج نقاط ضعفك.

ـ اكتشف مواطن قوَّتك.

ـ ابحث عن أساليب جديدة لاستخدامها.

ـ تخلَّص من نقاط الضّعف.

ـ اجمع نقاط القوَّة حتى تزداد قوَّة.

ـ تـأهّب للإقدام على الفعل الموجب فإنَّك إن قبلت التحدي تكون قادرًا وصامدًا.

وعليك أن تعرف أنَّه لا تقدير ولا احترام إلَّا بأفعال تستوجب التقدير والاحترام، ولأجل نيل ذلك يجب على المسئولين:

ـ تمكين أفراد المجتمع من نيل التقدير والاعتراف؛ وذلك بدفعهم لممارسة حقوقهم، وتأدية واجباتهم، وحمْل مسئوليَّاتهم بنجاح وإخلاص.

ـ تحسيس أفراد المجتمع بالتقدير والاعتراف مقابل ما يقومون به من مهام ناجحة على مستوى الأسرة أو الجماعة والمجتمع، أو ما يقومون به موجبًا في مجالات الإنتاج والعمل والتعليم، أو مجالات البناء والعمران والعلائق القيميَّة التي تمدّ أفراد المجتمع بالمحبَّة والتفاعل والتعاون والمشاركة الهادفة.

ـ الاعتراف بأنَّ لكلّ مفردة من المفردات الاجتماعيَّة وظيفة، ينبغي أن تؤدَّى؛ حتى تتكامل جهود البناء الاجتماعي والاقتصادي والسِّياسي في بناء الذَّات الاجتماعيَّة، وفي الوقت ذاته تؤدِّي إلى التطلّع للأفضل والأنفع والأرفع.

ـ تفطين أفراد المجتمع ومؤسّساته إلى أهميَّة التحصيل العلمي المتطوّر والمتجدّد في تنمية الحياة الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والسِّياسيَّة لجميع المواطنين.

ـ الاعتراف للفرد والجماعة والمجتمع بأنَّ لكلِّ منهم أدوارًا ينبغي لعبها والقيام بها في حدود إمكاناتهم وقدراتهم واستعداداتهم، وبما يعود عليهم جميعًا بالنفع والفائدة المشتركة؛ فلعب الأدوار يزيد المجتمع وحدةً وتماسكًا.

ـ تحفيز أفراد المجتمع الملتحقين بالعمل على الازدياد في العطاء؛ وذلك بتذليل الصِّعاب التي قد تواجههم في إثناء بدل الجهد مع وافر الإصرار والصَّبر تجاه الأهداف العامَّة التي حدّدها المجتمع لصناعة مستقبله الأحسن والأجود والأفيد.

ـ رسم الخطط والإستراتيجيَّات الموضوعيَّة التي تحقق اللُّحمة الاجتماعيَّة والوطنيَّة، وتزيد درجات التفاعل بين

الأفراد والجماعات سواء الذين يعيشون في المدن أو الذين يعيشون في القرى والضَّواحي.

ـ حث الأفراد على أداء مهامهم ووظائفهم الاجتماعيَّة؛ حتى يتمكَّنوا من نيل التقدير والاعتراف.

ـ تشخيص حالات العاملين والباحثين عن العمل وتصنيفهم بمعايير قيميَّة؛ حتى تتمكّن مؤسّسات المجتمع الخدميَّة والإنتاجيَّة من تمكين الشّخص المناسب في المكان المناسب، أو الاستغناء عن خدمات البعض إذا ما تبيّن أنَّ شخصيَّاتهم تتمركز على المستوى القيمي الشّخصاني؛ ليتولى الأخصائي الاجتماعي حالاتهم بالدّراسة حتى بلوغ العلاج الذي يُمكِّنهم من العودة إلى بيئاتهم الصّالحة للحياة الاجتماعيَّة السّويَّة مع وافر التحفُّز للعمل والصبر على إنجازه والحرص عليه.

ـ التعرّف على مستويات العمل وتبيانها للباحثين عن العمل؛ لأجل تقديم المشورة والنَّصيحة وفقًا لمعطيات موضوعيَّة ومنطقيَّة سواء التي تتعلّق بالقيم التعليميَّة أو المتعلقة بالقيم الصّحيَّة؛ من حيث القدرات والاستعدادات وكذلك من حيث توافر المهارات والخبرات من عدمها.

ـ تأهيل الأفراد والجماعات على المشاركة وبذل الجهد؛ حتى يتم نيل التقدير والاعتراف.

ـ تعزيز العطاء الموجب والمشاركات الفعَّالة بين أبناء المجتمع بالاعتراف والتقدير اللذين يَمدان عمليَّة المشاركة الاجتماعيَّة بالاستمراريَّة.

ـ التقويم المعياري عند تقديم المساعدة الهادفة أو عند إبداء الآراء المهنيَّة يُمكّن المتخصّصين من إصدار أحكام وقرارات موضوعيَّة صائبة.

ـ تنمية العلائق بين التكوينات الاجتماعيَّة وجماعات العمل والمناشط المتنوّعة والمتعدّدة؛ بغرض زيادة وحدتهم ومضاعفة قوّتهم تجاه الأهداف الاجتماعيَّة، أو تجاه أهداف المؤسّسات والهيئات والجمعيَّات والشِّركات والعاملين فيها.

ـ العمل بموضوعيَّة مع الحالات المختلفة والمتعدّدة والمتنوّعة وفقًا لمستوياتها القيميَّة وانتظامها على السّلم القيمي الاجتماعي أو الإنساني، وفي مختلف المجالات؛ من أجل إيجاد حلول ومعالجات تؤهّلهم إلى المشاركة والتفاعل الموجب[88].

الصَّبرُ يصنعُ المستقبل:

الصَّبرُ قيمة لا تستمدُّ إلَّا من الصَّبور تعالى؛ ولذا فمن يستمدَّ صبرهُ من الصَّبورِ تعالى لا بدَّ وأن يبلغ مأموله ويفوز به صبرًا وتحدّيًا عبر الزَّمن، ومع أنَّ المقصود بالزَّمن المستقبل هو ما لم يأتِ بعد فإنَّ الشُّعوب والأمم المتقدِّمة تعمل عليه قبل أن يأتي إليها، وفي المقابل الشُّعوب تتأخَّر وتتخلَّف في حالةِ ما إذا غيّبت عقولها عن التفكير والتخطيط من أجل المستقبل المنتظر نهضةً ونُقلة.

ولذا فلم يعدّ المستقبل مجرَّد وقتٍ ننتظره حتى يأتي إلينا، بل أصبح المستقبل مشروع حياة أو موت من أجل البقاء الآمن؛ فالشّعوب التي تجري في أراضيها الأنهار على الرّغم من توافر المياه في زمنها الحالي، فإنَّها تبني السُّدود؛ لتوليد الكهرباء وتحصين شعوبها بالمياه في حالة ما إذا شحّت حيويَّة المياه من منابعها أو مصادرها، وكلّ ذلك من أجل المستقبل الآمن والمأمول رقيًّا.

---

[88] عقيل حسين عقيل، حلقات صناعة المستقبل، مكتبة القاضي، القاهرة: 2021م، ص 215 – 244.

وعليه: فالمستقبل هو ذلك المعلوم وفقًّا لدائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع، وهو الذي من أجل بلوغه الشُّعوب والأمم المتقدِّمة تخطِّط له وترسم السِّياسات، أمَّا الشُّعوب والأمم المتخلِّفة فتضع المستقبل في علم الغيب، مع العلم أنَّ علم المستقبل لا يكون علم غيب، بل هو الذي سيأتي في حركة متصلة مع إدارة الزّمن برهةً وساعةً ويومًا وأسبوعًا وشهرًا وعامًا ودهرًا وهكذا، فعلم المستقبل هو الذي نعلمه في دائرة الممكن؛ فنحن نعلم أنَّ غدًا الجمعة بما أنَّ اليوم هو الخميس؛ ولهذا نفكّر في يوم الجمعة ونعمل من أجله حتَّى يأتي دون أن نغفل عن السّبت وبقيَّة الأيَّام؛ فنكدّ ونجدّ ونعمل صامدين وصابرين من أجل أن تكون أحوالنا فيها على خير، ولأنَّنا نعلم أنَّ التّعليم يقضي على الجهل ويُحسّن أحوالنا المعيشيّة والصّحيَّة والثقافيَّة والاجتماعيَّة والسِّياسيَّة؛ فنبني المدارس والمعاهد والجامعات ومراكز البحث العلمي؛ ليكون النَّاس كلّ النَّاس في مستقبلٍ أفضل، ولو لم نفكّر ونعمل من أجل المستقبل فلماذا نستنشق الأكسجين؟ ولماذا نقي أبداننا من البرد القارص؟ ولماذا نصلّي ونصوم ونزكّي إن لم يكن كلّ ذلك من أجل المستقبل؟

ألا يكون لأحوال الطّقس قراءات في دائرة المستقبل المتوقَّع؟ ألا تكون هناك قراءات دقيقة عن أزمنة الكسوف والخسوف وأماكنه التي يظهر فيها أكثر وضوحًا؟ فهل هذا علم غيب!

بالتأكيد (لا)؛ فعلم الغيب هو الذي لا نعلمه، إنَّه بأمر الله عالم الغيب والشَّهادة، أمَّا علم المستقبل فهو العلم الذي نعرفه؛ كونه يكمن فيما نعرف من أيَّام وأعوام ستأتي بلا شكّ إن لم يصدر عالم الغيب أمرًا، وحتَّى النّمل يدرك المستقبل، ممَّا يجعله يعمل جادًّا في أيَّام الصّيف والخريف من أجل أن يخزّن

طعامًا له لتلك الأيَّام القارصة التي ستأتي في فصل الشِّتاء؛ فما بالك بالإنسان الذي يتذكّر ما مرَّ به من أزمات في أعوامه المنصرمة أيٍّ كانت هذه الأزمات، سواء أكانت غذائيَّة أم مائيَّة أم طبيعيَّة، أم صحيَّة؛ فهذه معطيات تجعله يفكِّر في أعوامه الآتية في يومه هذا؛ كي لا تتكرّر معه التأزُّمات المؤلمة ثانيةً، ويسلم من الأضرار التي لا تكون إلَّا بأسبابها؛ فيتدبَّر أمره تخطيطًا وعملًا إستراتيجيًّا به تُحدث النُّقلة من حالة كانت سائدة بالتأزُّمات إلى حالة الحلّ المخلّص من كلِّ أزمةٍ.

والمستقبل ليس ذلك الزَّمن المنتظر في ذاته، بل هو ذلك المأمول الذي لا يتحقّق إلَّا فيه؛ ولهذا فالمنتظرون للزَّمن في ذاته، لا شكّ أنَّ ما ينتظرونه سيكون متحقّقًا، ولكن بلا آمال؛ لأنَّه الزَّمن المنتظر، وهذا الذي نحن نخشاه وفي شأنه نقول:

لا ينبغي أن تنتظروا الزَّمن، بل عليكم بانتظار ما تأملون أن يكون تتويجًا لما تبدلونه من جهد تكون ثماره إنتاجًا بين أيديكم في الزَّمن المنتظر (المستقبل).

والمستقبل زمن لم يأتِ بعد، وهو الذي ترسم الخطط وتوضع الإستراتيجيَّات من أجل بلوغه عملًا وإنتاجًا ونهضةً وتقدّمًا؛ ممّا يجعل الزَّمن ليس غاية، بل الغاية تفادي ما يمكن أن يكون فيه حاصلٌ سلبيٌّ. والمستقبل غير منزوٍ عن الماضي والحاضر، بل هو مرتبط بهما ويمثلان له قاعدة التأسيس لكلّ الافتراضات التي من شأنها أن تكون مسهمة وفاعلة في صناعة المستقبل المأمول ارتقاءً، وهو الذي من دونه لا يجد الأمل حلًّا.

ولأجل النُّهوض ارتقاءً، وجب المزيد من البحث العلمي الممكِّن من المعرفة الواعية التي بدورها تُمكّن من الإسراع في طي الهوة بين المأمول والأمل؛ وذلك بما يطوي مشاعر الخوف طمأنينة، ويخلّص من الحيرة حلًّا بعد تأزُّم؛ فالبحث

العلمي ارتقاءً يستوجب أسلوبًا مرنًا، وطريقة تستوعب التَّاريخ تجربةً ومنهجًا ووسيلةً.

ولأنَّ الإنسان قد خُلق في أحسن تقويم؛ فليس له بدّ إلَّا المحافظة على حُسن تقويمه، وهذه قاعدة، ولكن إن انحدر استثناء، وبأيَّة علّة؛ فليس له إلَّا النَّهوض، وهذه قاعدة أيضًا؛ والإنسان بين قاعدة واستثناء لا ييأس؛ ولهذا وجب العمل الذي يمكّن من بلوغ الغايات العظام التي يأملها؛ فالإنسان متى ما فقد الأمل فقد المستقبل المنقذ.

ولأنَّ الانحدار بين قاعدتين: (حُسن الخَلق، وضرورة الارتقاء)؛ فهو باق ما دمنا باقين، وله الثُّلث في حياتنا من المورث انحدارًا؛ ولهذا فلا داعي للقلق بما أنَّنا نرث الثُّلثين (خلقًا وارتقاءً)، ولكن هذا لا يعني: أن نظل كمن ترك له أبوه إرثًا ولم يستثمره؛ فانتهى صفرًا.

ولأنَّ لكلّ قاعدة شذوذًا؛ فلا إمكانيَّة لبلوغ الحلّ كمالًا؛ فتلك الجهود عبر التَّاريخ، وهذه الجهود، ستتلاقح ارتقاء بغاية إنتاج الفِكْر الممكِّن من إشباع الحاجات المتطوّرة.

ولأنَّ الارتقاء رغبة وأمل؛ فسيظل أملًا يسعى في الزّمن المستقبل نهوضًا وهو لا يُمكن أن يلاحق إلَّا بالعمل إنتاجًا وإعمارًا وبناء وبحثًا علميًّا، مع الاهتمام بالقيم التي تنال التقدير من النَّاس.

إنَّ التفكّر في المستقبل يمثل الامتداد الطَّبيعي للحياة من ماضيها وحاضرها، وله أهميَّة كبيرة في البناء المرتقب الذي يكون من ورائه امتدادات مختلّفة تتّجه بحسب الإستراتيجيَّة التي وضعت له اللبنات الأولى؛ فالمستقبل يعدّ الأرضيَّة الجديدة التي يُؤسّس من خلالها كلّ ما هو مطلوب ضمن دائرة المتوقَّع وغير المتوقَّع؛ وبذلك يكون التفكّر عنصرًا مهمًّا في خَلق

مستقبل موافق لكلّ التوجهات التي تسعى إلى المضي قدمًا نحو التفاضل والوصول إلى الدّرجة التي تكون إخافتها حاصلة، ودون وجود مخيف يمكن أن يماثلها أو أن يكون ندًّا لها.

ولا يكون التفكّر منزويًا عن الماضي والحاضر، بل هو مرتبط بهما، ويمثلان له قاعدة التّأسيس لكلِّ الافتراضات التي من شأنها أن تكون مسهمة وفاعلة في المستقبل؛ فالمستقبل لا يمكن بناؤه دون النَّظر إلى امتداداته الحاصلة التي يكون الانطلاق منها حاصلًا في كلِّ التوجّهات، وتكون التوجّهات المختلفة منتمية إلى جذور تمدّها بما يسمح لها بالسّعي إلى إيجاد حلول واضحة المعالم، فلا يكون هنا أيّ انكفاء، بل تكون الأمور عامَّة سائرة نحو تشابك منظم يكون من ورائه وجود تبعات تبحث لها عن رؤى تفاعليَّة تثري التفكّر وتمنحه أبعادًا مختلفة ومهمَّة، وهنا يكون الإيضاح سمة مطلوبة؛ كي يكون الاتساع المرافق ملبّيًا للإدراكات الحاصلة، فتحصل بذلك شموليَّة مطلوبة تطرح التواصل الذي يكون من ورائه تحقّق التفكّر.

ومع ذلك فالمستقبل يكتنفه في بعض الأحيان غموضٌ معيّنٌ يسير في مدارات قد تبدو للوهلة الأولى غير منضبطة وفق الرُّؤيا المطروحة، وهنا يكون الاستشراف حالة ملبِّية للكثير من الطّموحات وحتى التداعيات التي تخلف انفراجًا وإن كان وقتيًّا إلَّا أنَّه قد يكون سببًا في حلّ كثير من المتعلّقات المفترضة، كما أنَّ التشكيل العام لهذه الرّؤى يكون مطويًّا خلف إزاحات دائمة تريد أن تجد لها مكانًا بين الحضور الحاصل، إلَّا أنَّ مكمنها قد لا يبدو واضحًا نتيجة البعثرة التي تحصل في بعض الأحيان، وهنا تنبري لنا مسألة مهمَّة ألا وهي التنظيم المطلوب ضمن هذه الصّيرورة؛ إذ يحتّم المكوث عند هذا التنظيم صبرًا وجعله منهجًا يكمن فيه التحقّق المطلوب، ويكون

الحذر حاضرًا في هذا التنظيم بطرق متباينة؛ فالحذر يقف عند كلّ النقاط المهمّة التي يكون من ورائها الوصول إلى الامتدادات المستقبليَّة المطلوبة؛ فتكون الآليات المطروحة تسير وفق اتجاه يكتنفه الحذر وفق كلّ التفصيلات المتاحة، وهذا الأمر يسهم بشكلٍ أو بآخر في إيجاد نتائج واضحة المعالم يُرى فيها معالم الحذر في كافة جوانبها؛ فيكون الظُّهور المتحقّق وفق هذا التفكّر ملبّيًا للبداية التي طرحت كلّ ما من شأنه أن يحقّق غاية؛ وبهذا يصل التفكّر إلى ما يُمكِّن من بلوغ المأمول ونيله.

ومن ثمُّ ينفتح الحذر على كلّ الأزمنة، وهذا من باب الاتساع المطلوب؛ كي تكون الصُّورة المطلوبة واضحة وملبّية لكلّ التغايرات التي يمكن أن تحصل، فالارتباط المطلوب يغرس في كلّ خطوة من الخطوات اتكاءات جديدة يكون مبعثها متزامنًا مع التفصيلات التي يكمن فيها الحذر من أجل تحقيق مستقبل أفضل، وهذا يسير بوتيرة إفضائيَّة تتحكّم بشكلّ ينمّ عن وجود ارتباط فعلي بين هذه الامتدادات الثَّلاث، ولأنَّ النّهاية مفتوحة سيبقى الحذر مفتوحًا ولا يتقيد بأيِّ قيد يمكن أن يكفّه عن تحقيق فاعليَّته؛ فالنّهاية المفتوحة تكون حافزًا على خلق استمراريَّة في البحث تتّجه دائمًا نحو شموليَّة يتّسع مداها؛ كي تكون متجاوزة لكلِّ الأساليب التقليديَّة التي تكتفي بالبقاء عند عتبات تجد أنَّها تمثِّل النِّهاية التي يجب أن تكون، وهذا الأمر بطبيعته مخالف للحياة التي نعيشها؛ فهي قائمة على استنهاض مستمر، وبحث مستمر والأمل لا يفارق، فالتوقّف أو الانكفاء سمة تشير إلى وجود خلخلة وبعثرة حقيقية في التفكير؛ لأنَّ البقاء ضمن هذه الأطر يخلق ارتباكًا وفوضى معرفيَّة لا تكون نتائجها محمودة أبدًا، وفي المقابل تفطين الذَّاكرة لاحتواء ما

يُنتج عبر الزَّمن ماضيًا وحاضرًا، يقود بسلام إلى تطلّع مأمول لا يتحقّق إلَّا بالعمل في دائرة الممكن مستقبلًا.

ونحن إذ نشير إلى هذا التعالق فهو من باب أنَّ التفكّر لا يمكن له أن يكون سائرًا بالاتجاه الصَّحيح دون أن تكون له قاعدة يتكئ عليها، تمدّه بكلّ ما يمنحه من امتدادات مختلفة سواء أكانت نظريَّة أم عمليَّة؛ فتوجّه الحذر يكون متماشّيًا مع هذه الامتدادات؛ كونها تتوافق معه فيسمح لها بالمثول عند أيّ ارتكاز تريده.

وعليه: يكون التفكّر واقعًا ضمن دوائر متعدّدة تكون حاضنة له، فتمنحه كلّ ما من شأنه أن يحقّقه، وإن كان الأمر ضمن دفعات تتابعيَّة إلَّا أنَّه لا يخلو من إرهاصات قد تكون موجودة بشكلٍ لا يكون من ورائها انزياحات كبيرة، وهنا يكون الحذر من أجل صناعة المستقبل المأمول متغلغلًا في كلِّ الجوانب التي تريد أن تقف عند أعتاب كلّ التشكيلات التي يكون من ورائها البناء المطلوب؛ لأنَّ هذه الصّفة بلزوميّتها تواكب الحاصل الذي لا يسير معها، بل هي تسير معه، وهنا تكون عظمة المرافقة التي تمنح التفكّر أبعادًا مهمَّة تسهم بفاعلية كبيرة في خلق مستقبل غير مسبوق؛ لأنَّ السّابق متحقّق بكلّ ما فيه أمام المستقبل الذي يسعى نحو التفاضل والتمايز، فتتحقّق بذلك الافتراقات التي تخلق بناءً مغايرًا مبنيًّا على تشعبات استبطانيَّة وجدت في الماضي والحاضر البداية التي لا يمكن أن تكون ثابتة، بل هي موجّه نحو إيجاد البدائل أو إيجاد الجديد الذي يكمن فيه التغاير والتباعد عن نقاط الالتقاء التي تكون ملبِّية للتساوي الذي يجب ألَّا يكون.

إنَّ التفكّر في المستقبل يسير بالفكر الإنساني نحو إيجاد بدائل يكمن فيها النُّهوض المأمول الذي يمنح النَّاس جميعًا حياة

أفضل، لكن هذا الأمر لا يتحقّق للجميع ؛كونه يرتبط بأخذ الحيطة والحذر؛ فالمخاوف بسمتها الإيجابيَّة المفقودة يكون الرّكون إليها متفاوتًا، وهذا ناتج عن الإدراك غير الواعي بالحقيقة الموجودة؛ فالخوف لم يكن سلبيًّا على مدار الوجود الإنساني، بل كان حافزًا مهمًّا في المعالجة والوقاية ودرء المخاطر في أوقات مختلفة؛ فهو يشير دائمًا إلى وجود خروقات طبيعيَّة وغير طبيعة، تخرج عن نطاق المتعارف أو الطبيعي الذي يجب أن يكون؛ فهو بذلك منبَّه من الدّرجة التي يكون استشعاره باعثًا على إيجاد كلّ ما من شأنه أن يدفع بالمتغيرات الحاصلة التي ظهرت منها المخاطر نحو حدود جديدة يكمن فيها الدّرء المنشود من أجل بلوغ مستقبل أنفع؛ وهذا الحال حين يكون تحقّقه مستمرًّا يمنح الإنسان وعيًا مستمرًّا أيضًا، ذلك أنَّ تكرار المنبهات يحيل إلى زيادة في الوعي المتحقّق؛ فيكون الخزين العام منساقًا نحو هذه الزِّيادة التي يُرى فيها إضافات جديدة على المساحة الفكريَّة المطروحة؛ فيكون الاغتناء الفكري قد وجد له تمويلًا مستمرًّا يمنحه ما يشاء، وبتفصيلات تلهمه المتابعة التي يجد فيها كلّ ما هو جديد وكلّ ما هو بديل للحاصل[89].

وعليه:

لا يمكن أن يُصنع المستقبل إلَّا بالتفكّر مع وافر الصَّبر على خطّة قابلة للتنفيذ؛ ولهذا فعلينا به تخطيطًا، مع السّماح للبحَّاثِ بالتفكّرِ حتى بلوغ الخوارق، وبلوغ المعرفة التي تمكّن من معرفته؛ ولهذا فصناعة المستقبل المأمول تُمكِّن مِن معرفة المجهول وكشف خفاياه.

---

[89] عقيل حسين عقيل، الخوف وآفاق المستقبل، ص 131 - 135.

ولأنَّ الحياة من أجل المستقبل؛ فنحن بنو آدم نتعلّم، ونبحث عن فرص عمل، ونتزوج، ونصادق من يصادقنا، وعندما نتعرّض لسوء التكيُّف قد نُطلّق عند الضّرورة، وعندما تقوى علاقاتنا نُشرّع، ونسنّ القوانين والنُّظم، ونحدّد الأهداف ونرسم الخطط، ونتطلّع بأمل إلى المستقبل القريب والبعيد؛ ولهذا نصوم ونصلي من أجل نيل المستقبل جنَّة.

تحدّي الصِّعاب صبرًا يبوّأ المكانة:

تحدّي الصِّعاب يتطلب صبرًا؛ ذلك لأنَّها أمام العمل صبرًا ومداومة لا تصمد، بل تُهزم وتُقهر؛ قال تعالى: {فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ}[90]، يحمل مفهوم هذه الآية الكريمة كيفيَّة المكانة التي تحقّقت لسيدنا محمَّد –صلى الله عليه وسلم-على الرّغم مما قيل فيه أو قيل له من أولئك الكفرة؛ إذ قال بعضهم: إنَّه مجنون، وقال بعضهم: إنَّه ساحر، وقيل: إنَّه شاعرٌ، وهكذا قيل الكثير في حقِّه وكلَّه افتراء وباطل، ومع ذلك كلّ ما قيل من باطل لم يَحُلْ بين محمَّد وتبليغه الرِّسالة وتبوئه المكانة الرَّفيعة؛ ولهذا قال له الله تعالى: {فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ}، واستمر في أدائك الرِّسالة، واصبر وسبّح حمدًا لله تعالى، ولا شيء يحول بينك وبين مقصدك من التبليغ توحيدًا وهدايةً.

ومع أنَّ المكانة ذات مفهوم معنوي فإنَّ تبوّءها يزيد إلى رّصيد أهلها رصيدًا به يُفخّمون ويُعظّمون، ومع ذلك فتحدّي الصِّعاب لا يكون إلَّا بالصَّبر وقبول دفع الثَّمن جهدًا وعطاءً وعملًا جادًّا ومنتجًا، ومن يقدم على ذلك ينال مكانة بين النَّاس تقديرًا واحترامًا، والمكانة تبوّء لا يكون إلَّا على الرّفعة المأمولة من أهل الدّراية والمعرفة، وهي ما يبلغ بالكلمة الحُجَّة

---

[90] ق: 39.

والعمل المنتج والخُلق الرّفيع، وهي التي تنال التقدير والاعتبار من قِبل النَّاس، والنَّاس تأملها وتسعى إلى ترسيخها قيمة.

والمكانة لا تكون إلَّا على الرّفعة، ولا تترسّخ ارتقاء إلَّا بها، ومن ثمّ فمن أراد أن يكون له شأن فليعمل على تحقيق المكانة قيمًا وفضائلَ، وإذا أراد الإنسان أن يرتقي قيمًا وفضائلَ فليأخذ بمفاتيح العلم، ويبدأ إصلاح حاله من حيث هو، حتى يهيئ نفسه ويتأهّب للعمل من أجل تحقيق ما ينبغي له أن يكون عليه ارتقاءً مأمولًا.

ولكي يبلغ الإنسان مأموله قيمًا وفضائلَ فعليه أن يكون قدوة حسنة لبني جنسه، فإذا حكم عدل، وإذا شهد شهد حقًّا، وإذا عاهد أوفى، وإذا قال صدق، وإذا عمل أحسن عمله، وإذا تعلَّمَ علَّمَ، وإذا اكتال أوفى، وإذا رأى فتنة بين النَّاس أصلح، وإذا غضب تملّك نفسه، وإذا ذُكِر بخيرٍ فعليه بالمزيد، وإذا ذُكر بسوءٍ فليصفح وليعفو، وهنا بالتمام يكمن التحدّي الذي يجعل للإنسان مكانة مقدَّرة بين النَّاس؛ ومن ثمَّ فليس له إلَّا أن يجعل من نفسه مثل تلك النَّخلة التي كلّما رموها بحجارة رمت لهم رطبًا.

ولذلك فالتمسّك بالقيم لكونها قيمًا لا يفيد، بل المفيد العمل بها قولًا وسلوكًا؛ ولهذا ينبغي أن يتشرّبها النَّشء تربيةً وتعلمًا وتعليمًا حتّى يجسِّدوها سلوكًا؛ كما جسّدها أهل المكانة.

فأهل المكانة هم دائمًا في علوٍّ قيمي قولًا وسلوكًا، علوٍّ عن الرّذيلة وما يؤدِّي إلى ارتكاب أفعالها وأعمالها التي ترفضها القيم الحميدة والفضائل الخيّرة.

ومع أنَّ الكبرياء تعظيم شأن؛ فإنَّها لا تنال إلَّا بالتحدّي لكلِّ معيب بما هو محبّب ومفضّل، وفي المقابل من لا يكون على الكبرياء قيمًا وفضائلَ لا يكون إلَّا في دونيَّة وسُفليَّة؛ ولهذا

فالبعض من أجل الكبرياء يتحدّى الصِّعاب، وفي المقابل البعض يقدّم المزيد من التنازلات حتى يصبح خاضعًا لأمرٍ واقعٍ.

إذن: المكانة والكبرياء تعظيم شأن؛ فالكبرياء كونه قيمة حميدة لتعظيم الشَّأن فهو الذي به يتمّ بلوغ المنزلة العالية والمكانة الرّفيعة، في مقابل آخرين لا ينزلون إلَّا في الأماكن الدّونيَّة التي لا تليق بأصحاب مكارم الأخلاق.

ومن بلغ المكانة العالية بعد صبرٍ بلغ الرّفعة التي يأملها مَنْ خُلق في أحسن تقويم ولم يخالف، ومّنْ بلغ المكانة عملًا وسلوكًا نال الاحترام والتقدير والاعتبار من قِبل الغير؛ ولهذا فالمكانة تعظيم بما هو عظيم، ورفعة قدرٍ بما هو رفيع، فأهل المكانة يتّعظون بما هو عظيم ويأخذون العبر من كلّ عبرة ومعتبر.

ولذا فأهل المكانة لهم من الكبرياء ما لهم، فأصحابها يتكبّرون عن كلّ ما من شأنه أن يسيء للقيم والأخلاق والأعمال والأقوال الصَّائبة، فالكبرياء تعالٍ عن كلِّ ما يؤدِّي إلى الفتنة، أو يسيء للنَّاس، ممّا يجعل الكبرياء محقّقٌ لرفعة المكانة المقدّرة والمعتبرة، ويجعل لصاحبها شأنًا بما اختار أن يكون عليه تحدٍّ وبذوقٍ رفيع.

وعلينا أن نميّز بين قيمة التكبُّر والاستكبار؛ فالتكبّر قيمة حميدة لتعظيم الشأن بعدم النزول في منازل السّافلين، كالتكبّر عن القول الزّور وعن أيِّ نعوت لا حقائق تسندها، وهو التكبُّر عن الأفعال التي لا تليق بمكارم الأخلاق، وهو الإخلاص في العمل مع وافر الأمانة، وهو السّلوك المثال الذي لا يقدر عليه إلَّا من له مكانة مقدّرة مع صبرٍ على الحقّ والعمل على إحقاقه؛ وهكذا حال من يريد أن يسعى صبرًا وعملًا من أجل بلوغ المكانة والرّفعة. أمَّا الاستكبار فهو الاستعلاء عن الحقيقة

والجحود لمبرراتها ومعطياتها وهو معاندة بدون حُجّة دامغة، فالمستكبر يقف على الحقيقة ويغض النّظر عنها، بعدم اعترافه بأنَّها الحقّ، مع العلم أنَّ هذا الأمر لا يُنقِص من شأن الحقيقة، بل يُنقص من شأن المستكبر عليها بغير حقٍّ.

وهذا يعني أن للتكبّر صفتين:

الصِّفةُ الأولى: هي التكبُّر بالحقّ، عن المظالم وعن الأعمال الوضيعة التي تقلِّل من شأن مرتكبيها، وهذه من صفات الذين يقولون الحقّ ويعملون على إحقاقه، أي: إنَّهم الذين يتعالون عن المكر والكيد وسفك الدّماء في الأرض بغير حقّ، وإذا حكموا بين النَّاس حكموا بالعدل، وإن قالوا صدقوا، وإن عملوا أصلحوا، وإن عاهدوا أوفوا.

الصِّفة الثَّانية: التكبُّر عن الحقّ، بالحياد عنه والميل كلّ الميل إلى ما يؤدِّي إلى إخفائه ومغالبته باطلًا، والمتكبّرون عن الحقّ همّ الذين يقومون بأعمال الوضاعة التي تقلِّل من شأن مرتكبيها، بما يقدمون عليه من أفعال لا تُرضي النَّاس، وهؤلاء همّ الذين إن قالوا كذبوا، وإن عملوا أفسدوا، وإن عاهدوا أخلّوا ونقضوا وخانوا.

وعليه: فإنَّ للتكبّر مبرراته؛ لكونه قيمة حميدة؛ ولهذا تُحرّف القيم وتقوّض من قِبل أولئك الذين ضلُّوا فأفسدوا فظلموا فطغوا وتكبّروا كما طغى وتكبّر من قبلهم المتكبّرون بغير حقّ، ولكن دائمًا التَّاريخ يمدّ بالعبر فمن أراد أن يعتبر فعليه بالتَّاريخ؛ لأخذ العبر منه، ومن لم يرغب في ذلك فالحاضر يكفيه درسًا حيًّا.

ولذا فالمفسدون همّ الذين يتكبَّرون عن الإصلاح، أمَّا المصلحون أهل المكانة فهم الذين يتكبَّرون بفعله، قال تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ

وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ}[91]. إنَّ استكبار إبليس كان استكبارًا عن الحقّ، أمَّا تكبُّر الملائكة فكان تكبرًا بالحقّ، وهنا فالسّجود يدلُّ ويُعَبِّرُ عن الطَّاعة وبلوغ المكانة الرّفيعة التي تؤمل من الخيِّرين الذين يصبرون على الحقّ ويصبرون من أجله حتى يتحقّق.

والمتكبّر بظلمٍ هو الذي يعرف الحقيقة ويأبى إظهارها، ولا يأخذ بها، أمَّا المتكبّر بالحقِّ فإن دُعي لنقيصة تكبَّر عنها، وإن دعاه سائل استجاب وفق استطاعته، وإن لم يستطع فلا ينهر؛ ولذا فالتكبّر صفة محتملة للإيجاب والسّلب، فتكبُّر العبد عن ارتكاب المظالم وارتكاب المعاصي قيمة إيجابيَّة، وفي المقابل ارتكابه للأفعال الذميمة والمفسدة في الأرض قيمة سلبيَّة؛ ذلك لأنَّ الكبرياء لا يكون إلَّا نقاءً وصفاءً مع الأنا الذي فيه كبرياء المخلوق ورفعة مكانته، والذَّات التي فيها كبرياء المجتمع، وكبرياء الضّمير الذي فيه تُقدَّر الإنسانيَّة؛ ولذا ينبغي للإنسان أن يتكبّر عن:

الجهل: ولا تكبُّر عن الجهل إلَّا بالعلم والمعرفة وعيًا؛ فالجهل أساس كلّ داء يصيب المجتمع الإنساني تخلّفًا؛ ذلك لأنَّ الجهل من شأنه أن يؤدِّي بالإنسان إلى الانحطاط في أماكن الرّذيلة والمفاسد، والذين يتمسّكون بالجهل بأسبابه فهم في حاجة لمنقذ يخرجهم من ظلماته إلى نور الإيمان والعلم والمعرفة التي بها يرشدون.

ولأنَّ الصّراع من البدء الخَلقي هو صراع بين جهل وعلم (شرّ وخير)؛ لذا فبالعلم تتحسّن الأحوال وبالجهل تسوء، ولأنَّها كذلك فالصّراع بين الخير والشرّ لم يحسم أمره بعد؛ فهو باقٍ ما بقي الجهل في مضادة العلم؛ ولهذا فالذين يجهلون حقيقة أنَّ

---

[91] البقرة: 34.

استقرار أمن الوطن يكمُن في حقوق تمارس وواجبات تؤدّى ومسئوليَّات يتمّ حملها، لن يناموا ساعة واحدة نومًا هادئًا وهنيئًا، والذين يعلمون حقيقة ذلك ينامون في أوطانهم نومًا آمنًا هنيئًا بمشاركة النَّاس فرحتهم بالممارسة الفعليَّة للحقوق والواجبات والمسئوليَّات مع توسيع دوائر المراقبة والمحاسبة والمسائلة للجميع؛ إذ لا قمّة سلطانيَّة إلَّا من الشّعب، ممّا جعل الحكّام في دول ممارسة الحرّيَّة بأسلوب ديمقراطي يختارون عن إرادة لفترة محدّدة دستورًا، وهم بذلك يقبلون ولا يتجاوزون قرارات ودستور الشّعب قمّة؛ ولهذا لا وجود للمؤامرات ولا الانقلابات ولا المظالم التي تدور رحاها في أوطان التكميم، ومع ذلك نقول دائمًا: لكلِّ قاعدة استثناء فلا استغراب في دائرة غير المتوقَّع.

الشَّهوات: الشَّهواتُ وفقًا لدائرة الممكن بين سالبٍ وموجبٍ؛ فإن كانت الشَّهوة رغبة فيما يشبع الحاجات كانت موجبة وينبغي العمل من أجل الإشباع في مرضاة الله، وإن كانت الشَّهوة رغبة فيما يشبع المحرّم والمجرَّم كانت سالبة؛ كونها تقع ضمن المحرّم والمجرّم والمنهي عنه والمطلوب تجنّبه.

ومع أنَّ الشّهوات قد خَلقها الله فينا، فإنَّ البعض لم يحسن فهمها، وتهذيبها وضبطها والسّيطرة عليها، ممّا جعلها عند البعض هي المسيطرة والقائدة للباطل والمفاسد؛ قال تعالى: {زُيِّنَ لِلنَّاس حبّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنيا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآَبِ}[92]؛ فالشّهوات متوافرة في الحياة الدُّنيا، ولكنّ البشر تفاوتوا في التعلّق بها؛ فمنهم من اشترى الحياة الدُّنيا بما تحويه من هذه الشّهوات، ومنهم من اشترى الآخرة بما فيها من خير عظيم وفوزٍ دائم،

[92] آل عمران: 14.

ولأنَّ الإنسان خُلق ليكون إنسانًا مستخلفًا في هذه الحياة الدُّنيا، فلا ينبغي له أن يقصر شهواته على الدّار الآخرة كما لا يقصرها على الدّار الدُّنيا؛ ذلك لأنَّ الخالق خَلق الإنسان في أحسن تقويم؛ ليكون وارثًا في الدّارين؛ ولهذا لا ينبغي للإنسان أن ينسى نصيبه من الدُّنيا، دون أن يتجاوز الحدود القيميَّة والفضائليَّة التي أقرَّ لها الخالق حدودًا بغاية أن يكون الإنسان فائزًا في الدّارين.

وعليه: نلاحظ عندما تبدأ الدّعايات الانتخابيَّة في أوطان المتقدّمين علمًا وثقافةً تُكشف الأوراق من قِبل الجميع حتَّى لا يكون الرّئيس المنتخب متّهمًا بارتكاب المفاسد الأخلاقيّة والسِّياسيَّة والاقتصاديَّة؛ ولهذا يكون الاختيار بين الأفضل ومن هو أفضل منه، والأقدر والأكثر مقدرة، أمَّا في بلدان الغير فغير ذلك، الحاكم يورّث حكمه أوَّلا لأبنائه، وإن لم يكن له أبناء فلإخوته، وإن لم يكن له إخوة فالأقربون الأقربون، وهكذا حتَّى بلوغ القبيلة والعصبيّة.

ولذا فعندما يقبل الإنسان أن تسيّره الرّغبة بصيرته تعمى، وتقوده نحو الانحطاط؛ لذلك لا بدَّ للإنسان من الترفّع عن هذا الانقياد الأعمى للشّهوات، ورفض سيطرتها عليه، وأن يتكبّر عن هذه المفاسد التي تغضب الله، فبتكبّره الإيجابي هذا سينال المنزلة الرّفيعة والمكانة العالية، وسينال احترام نفسه واحترام النَّاس من حوله، فالشَّهوات عندما تجعل الإنسان عبدًا لها فلا يملك لنفسه شيئًا أمامها سوى الضّعف والوهن والقبول بالانقياد أمام ما يشبع الشَّهوة ولو كانت مفاسد بيّنة[93].

---

[93] عقيل حسين عقيل، تقويض القيم من التكميم إلى تفجّر الثورات، ص 60 - 66.

ولأنَّ أمر المكانة متعلّق بالرّفعة وتحقيق الأمل فمن يبلغ المكانة بلغ الأمل الذي لم يبلغه الغير، ومع ذلك وراء كلّ مكانة مكانة لآمال من أجل بلوغ الرّفعة[94].

الصَّبرُ مِن أجلِ نيل المأمول يبوء المكانة:

قد يكون تبوء المكانة قمَّة إيمانًا رفيعًا، وقد يكون كفرًا وشركًا؛ ولهذا وراء كل أملٍ نيَّةٍ (مقصد) وهو الذي يحدِّدُ جوهر الأمل، ونيَّة الآمل، ونوع المأمول وشكله.

ولأنَّنا افترضنا في كلٍّ من الأمل والمأمول خيرًا وفقًا لقاعدة التسيير الإلهي، والتخيير طاعة لما يجب؛ فإنَّنا عَدَدنا الأخلاق قمَّة الآمل.

والأخلاق قمَّة هي نتاج القيم الخيِّرة والفضائل الحميدة، التي تستمدّ من الأديان والأعراف ارتقاءً، بها يرتقي الإنسان قولًا وفعلًا وعملًا ومعرفةً وسلوكًا؛ من أجل علاقات اجتماعيَّة وإنسانيَّة مؤسّسة على نيل التقدير والاعتبار؛ وذلك ترسخًا لقيمة الإنسان الذي خَلقه الله في أحسن تقويم.

ولذا فأساس خلق الإنسان هو الارتقاء (في أحسن تقويم) وأمله الارتقاء خُلُقًا إلى ما يجب، ومع أنَّ الأخلاق بيد النَّاس، فإنَّ بعضهم انحدارًا يخسرها بلا ثمن.

ولذلك فالإنسان الأوَّل قد خُلق من تراب الجنَّة، وظل على خَلقه سلالة بشريَّة تمتدّ بين طينٍ لازب وماء دافق، ولا انحدار عن الخَلق المقوّم ولا تطوّر من بعده؛ فالإنسان هو الإنسان، ولكن الانحدار والتطوّر في دائرة الممكن بين متوقَّع وغير متوقَّع؛ فآدم عليه السّلام وزوجه خُلقا في الجنَّة من تراب الجنَّة، ومع ذلك تعرّضا لإغواءٍ جعلهما على حالة من الانحدار عن

---

[94] عقيل حسين عقيل، منابع الأمل، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 131 - 138.

تلك الفضائل التي أمر بها الخالق تعالى؛ حيث لم يلتزما بالأمر النّاهي عن الأكل من تلك الشجرة، {فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ}[95].

إذن: فالبقاء في الجنَّة بقاء فضائل خيّرة، فمن لا يكون عليها لا يكون فيها، فحتى آدم عليه الصَّلاة والسَّلام الذي خُلق في الجنَّة خَلقًا، أُهبط به على الأرض الهابطة إلى الحياة الدُّنيا؛ وذلك بأسباب معصيته، وميله لوسوسة من أغواه شهوة.

ولأنَّ الأخلاق يتمّ تشرّبها فضائل خيّرة؛ فبعد أن تلقّى آدم كلمات من ربّه ترشد إلى التي هي أقوم تاب الله عليه: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ}[96]، ومع ذلك صدر الحكم عليه والأرض ومن عليها من المخالفين أن يهبطوا من علوٍّ وارتقاء إلى سُفليَّة ودونيَّة: {قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جميعًا}[97].

ولأنَّ الهبوط كان نتاج الانفتاق العظيم؛ فهو خروج من الجنَّة؛ حيث ظلّت الجنَّة في العلو رُقيًّا، وظلّ آدم ومن معه من المخالفين والعصاة (الإنس والجن) يحيون الدُّنيا على الأرض الدُّنيا، وفي المقابل بقي الملائكة الطّائعون في علوّ الجنَّة ارتقاءً، ولا يتنزّلون إلى الأرض الدُّنيا إلَّا تنزيلًا لأداء مهمّة تربط أمرًا بين السّماء والأرض، نحن نجهله: {لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ}[98].

ولأنَّها الأرض الدُّنيا، وحياة المخالفين والمختلفين عليها مملوءة وسوسة وإغواءً؛ فلا إمكانيَّة لأن تكون فيها الحياة آمنة

---

[95] البقرة 36.

[96] البقرة: 37.

[97] البقرة: 38.

[98] القدر: 3 - 5.

مستقرّة لو لم تتنزّل الرِّسالات والأنباء الواعظة والنّاهية والآمرة والمحذّرة والمنذرة والمبشّرة بما هو أمل يشبع حاجة ويرضي رغبة؛ وذلك من أجل علاقات إنسانيَّة تنظّم أساليب الحياة ارتقاءً وتلفت المختلفين إلى ما يؤدِّي إلى الاتعاظ، ويمكّنهم من إحداث النُّقلة وبلوغ القمّة المأمولة.

وعليه:

الأمل ليس غاية في ذاته، بل الغاية من ورائه بلوغ المأمول قمَّة ثم نيله نُقلة، والآمال هي المرجوة بلوغًا ثم نيلًا، سواء أكانت بحثًا علميًّا أم عملًا أم أيِّ مقصد من المقاصد المعلومة؛ ولهذا تحدّد لها الأهداف؛ لتكون مرشدة لمراميها.

فالآمال تحدّد لها الأهداف وفق الإمكانات المتاحة من قبل الذين يأملون إنجاز ما يمكن إنجازه علمًا أو معرفةً أو بناءً وإعمارًا وصناعةً مستقبل تحدث النُّقلة أخلاقًا، وهي لا تكون محدّدة إلَّا بعد وضوح رؤية تجاه ما يجب الإقدام عليه، ومن ثمّ فالصّراع بين بني آدم اختلافًا وخلافًا لن ينتهي بين البناة أملًا والهادمين له انحدارًا ما لم يضع الجميع نصب أعينهم أهدافًا مشتركة (قابلة للإنجاز)، من ورائها أغراض قابلة للتحقّق، وغايات يجب أن تُبلغ ارتقاءً، وآمالًا رفيعة يتم نيلها.

فالاختلاف الذي خُلقنا عليه وسنظل عليه مختلفين، هو اختلاف التنوّع المشبع للحاجات المتطوّرة عن رغبة وإرادة من أجل إحداث النُّقلة أخلاقًا، ولكن هذا الإشباع لا ينبغي له أن يكون على حساب ما يشبع حاجات الآخرين؛ ولذلك يجب أن تحدّد الأهداف والأغراض والغايات بعيدًا عن كلّ ما من شأنه أن يؤدِّي إلى الخلاف الذي فيه الاقتتال والفتنة، أي: ينبغي للأهداف أن تحدّد وفقًا لأملٍ مشترك يجمع شمل المتفرّقين

خِصامًا، ويحلّ تأزّماتهم، ويشبع حاجاتهم المتطوّرة عدلًا وارتقاءً.

ومن أجل الارتقاء قمّة، ينبغي الابتعاد عمّا يؤدِّي إلى الاقتتال والفتن؛ فالاقتتال والفتن ضياع فرصة؛ حيث لا أمل، والزَّمن لا يعطي الفرصة مرّتين؛ فيجب عدم إضاعة الفرص كلّما سنحت الظّروف ارتقاءً، ومن يضيعها سيجد نفسه على غفلة من أمره، وحينها لن ينفعه النّدم؛ فالنّدم عندما تضيع الفرص قد يؤدِّي بأصحابه إلى الهاوية، ولكن إن كانت الفرص لا زالت سانحة فالأمل الرّفيع يؤدِّي إلى تصحيح المواقف الخاطئة بمواقف صائبة، أي: متى ما ضعف الإنسان انحدر غفلة، ومتى ما قوي ارتقاءً تذكّر؛ فاتّعظ واعتبر، ومتى ما تدبَّر، عمل وأنتج، ومتى ما فكّر حدّد أهدافًا من ورائها أغراضٌ، والغاية من ورائها القمّة مأمولة[99].

الصَّبرُ تحدٍّ يكسر القيود:

الصَّبر في دائرة النِّسبيَّة غير مطلق؛ ذلك لأنَّه ذا علاقة بالاستطاعة والمقدرة، ومع ذلك فإنَّ الصَّبر على تحدّي الصّعاب يكسر قيدها، ومن هنا فإنَّ الصَّبر على الأمر تحدّيًا يُمكّن من احتماله دون شكوى ولا انتظار ملجئ يمكن أن يتم الالتجاء إليه إلَّا لله تعالى: {وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا}[100] مفهوم هذه الآية يشير إلى القلق والاستعجال الذي لا يكون إلَّا على حساب بقاء الصَّبر صامدًا لا يهتز ولا يتزعزَّع، وفي المقابل لا يزاح الاهتزاز ولا يتزعزَّع إلَّا بالصَّبر؛ فكن صبورًا على غايات عظيمة تبلغها وتجني ثمارها وتبلغ القمّة وتكتب لك الرّفعة.

---

[99] عقيل حسين عقيل، موسوعة عقيل للخدمة الاجتماعية الناهضة (كيف تصنع أملا وتبلغ مأمولا)، المصرية للنشر والتوزيع، القاهرة: 2023م، ص 52 – 57.

[100] الكهف: 68.

ومع أنَّ القيد في مفهومه مادّي محسوس، فإنَّ استمداد المفهوم منه امتدَّ به إلى ما يقيد الإرادة ويقيد ممارسة الحرّيَّة وأساليبها؛ ولهذا فكما أنَّ السّجن قيدٌ، فكذلك المنع من ممارسة الحقوق، وأداء الواجبات، وحمل المسئوليَّات قيدًا.

ومن هنا فالقيد ما يعيق الحركة الحرَّة، ممّا يجعل المتحرِّك في حالة عدم توازن، وهنا لا أعني به قيد الحيوانات، بل أعني به قيد الحرّيَّة، إنَّه القيد الذي لا يُكسر إلَّا بالتحدّي، والقيد الذي ينبغي أن يتمّ تكسيره هو ذلك القيد الذي أنتجته المظالم والإقصاءات التي تحرم البعض من ممارسة حقوقهم بإرادة، وهو نتاج تلك الإجراءات التي تغيّب العدالة وتُقَوِّيض الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة، وتُمكّن البعض من الهيمنة على ممارسة السّلطة واحتكار الثَّروة في مقابل حرمان البعض منها.

ولذا فكلّ ما يُقيّد حرّيَّة الإنسان يعد قيدًا (فينبغي أن يُكسّر)، ومثل هذا القيد لا يكون إلَّا بعلل أفعال المظالم وأعمالها، ومن ثمّ يعد القيد استثناءً، في مقابل القاعدة التي لا ترى الإنسان إلَّا حرًّا؛ ولهذا فكسر القيد يستوجب صبرًا يدعم القاعدة ويقوّض الاستثناء.

والقيد مع أنَّه مولود الفكرة فإنَّه لا يعد قيمة، بل الذي يعد قيمة ومنبعًا لتحقيق الآمال هو الصَّبر على كسر القيد؛ ومع ذلك لو لم تكن الفكرة ما كان القيد؛ فالإنسان عندما لم يستطع ضبط نفسه عن إرادة، فكّر حتى أوجد قيدًا لضبطه، وبعد أن قُيّد به بدأ يبحث تفكيرًا معمَّقًا في كيفيَّة فكّه وبكلّ ما يتيسّر له من حِيل، ومع ذلك بقيت حياته بين القيد وفكّه؛ ولذا فإذا أراد الإنسان الحرّيَّة بلا قيود فعليه أن يقبل التنازل عن عقله؛ كي يستطيع في دائرة الممكن أن يفعل ما يشاء متى ما يريد، ولكنّه

نهاية سيعرف أنَّ للحرّيَّة ثمنًا، وهكذا إذا أرد الاثنين معًا فعليه أن يقبل بحياة المساجين الأحرار التي يشار إليها بالقضيَّة:

(كل أ ليست أ)

فنحن بني آدم لولا العقل وما نفكّر فيه ما عرفنا المرغوب والممنوع، ولا المحلّل والمجرّم، ولولا العقل والفكرة ما استعملنا كلمتي: (قف وسر)، ولا كلمتي: (لا، ونعم)، ومن ثمّ فإنْ لم يقيّد الإنسان نفسه عقلًا سيجد نفسه مقيّدًا من قِبل الغير بفكرة القيد التي أنتجها عقله، ومع أنَّ السّجن هو السّجن فإنَّ تدبّرًا إن وَضع الإنسان نفسه في قيد عقله فهو على الأقل أصبح يمتلك الإرادة، ولكن إن وُضع القيد في يديه كرهًا؛ فهل يمكن له أن يكون على شيء من الإرادة؟

وإذا سلّمنا أنَّ العقل الإنساني هو الذي يقيّد نفسه، ألا نسلّم بأنَّه قادر على فكّ قيده عن نفسه ارتقاءً؟

أقول: لا شكّ إنَّه سيكون قادرًا إذا قبل التوقّف عند حدوده، ولا يتمدّد على حساب حدود الغير، ولكن إن تمدّد؛ فسيجد نفسه سجين تلك الفكرة التي أنتجها قيدًا لا أملًا.

ولمتسائل أن يتساءل:

هل الأبوة والأمومة قيدان أم أنَّهما منبعًا ولادة الإرادة الحرّة؟

الأبوّة والأمومة منبعا إشباع العاطفة، وهما المأمولان في الذّاكرة الإنسانيَّة، وهما مكمن ولادة المحبَّة، وهما الحضن الدّافئ للأبناء، وهما القيد الذي لا ينبغي كسره؛ قال تعالى: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا

وَقُلْ لَهُمَا قَوْلا كَرِيما وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرا}[101].

ولهذا وجب طرح السُّؤال: هل (لا) تعد قيدًا أم أنَّها مجرّد أداة ناهية وغير ملزمة؟

أقول:

لقد ورد معنى (لا) في الآية السّابقة نهيًا قاطعًا: {فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا} أي: لا حرّيَّة لك في أن تقول لوالديك (أفٍّ)، وهذا يعني أنَّها قيد، وفوق ذلك فهي تعني: ليس لك إلَّا القبول. وليس القبول فقط، بل يجب أن تقول لهما قولا كريمًا: {وَقُلْ لَهُمَا قَوْلا كَرِيما} بمعني: لا مجال للرّفض إلَّا القبول، وفوق التقبُّل أن تقول لهما: {قَوْلا كَرِيمًا}، وفوق القول الكريم أن تخفض لهما جناح الذُّل من الرَّحمةِ: {وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ}، وفوق ذلك أيضًا أن تسأل الله أن يرحمهما: {وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرا}.

إذن: تعد (لا) قيدًا يستوجب الاحترام والتقدير بعد الأخذ بما نهت عنه، ومع ذلك لا يعد القبول مطلقًا، وفقًا لكلّ قاعدة استثناء، والاستثناء جاء في قوله: {وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنيا مَعْرُوفا}[102].

ولأنَّ (لا) ناهية وقاطعة؛ فهي ناهية لما تنهى عنه استثناء، وبمراجعة النّهي السّابق نلاحظ أنَّها تنهى عن معصية الوالدين، وتوجب طاعتهما، وفي هذه الآية نلاحظ أنَّها تنهى عن طاعتهما في معصية أمر الله النَّافذ: {وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا} ومع أنَّه لا يجب

---

[101] الإسراء: 23، 24.

[102] لقمان: 15.

طاعتهما في أمر المعصية، فإنَّه يجب مصاحبتهما في الدُّنيا معروفًا حتى وإن ارتكبا فعل المعصية: {وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنيا مَعْرُوفا}.

ومن ثمّ فالتساؤل: هل (لا) تعد قيدًا، أم أنَّها مجرّد أداة ناهية وغير ملزمة؟

أقول:

إنَّ (لا) الملزمة غير ملزمة، أي: إنَّ (لا) التي يكون أمر نهيها ملزمًا، فأمر نهيها لا يكون إلَّا استثناء، بمعنى: لو لاحظنا أمر الأبوة والأمومة للاحظنا أنَّ القاعدة هي: طاعة الوالدين، والاستثناء هو: عدم طاعتهما، ولأنَّ لكلّ قاعدة ما شذ عنها، فمن لا يطيع والديه يعد قدّ خرج عن القواعد القيميَّة المقدّرة، وبالتّالي يجب أن ينهى عن الخروج عنها، إلَّا استثناءً بعلل المخالفات المنحرف أصحابها.

ولهذا؛ فدائمًا (لا) النَّاهية لا تأتي إلَّا استثناء، ولأنَّها لا تكون إلَّا استثناءً فهي قيد لا يجوز إلَّا استثناءً؛ ومن هنا تعد (لا) قيدًا لا يكون إلَّا في وجوبه (وفقًا للقاعدة)، وفي المقابل من يستخدم (لا) في غير وجوبها ينبغي أن تُكسّر حتى لا تكون عائقًا بين الإنسان وما يمكّنه من بلوغ الآمال التي تحقّق له الرّفعة والمكانة.

أمَّا التساؤل: هل الدّين قيد أم إنَّه منبع قيم ممارسة الحرّيَّة؟

أقول: الدّين هو المغذي للقلب (طمأنة وسكينة)، والمغذّي للرّوح (أخذًا وتجنّبًا ونهيًا)، والمغذّي للذَّاكرة بما يجب أن تكون عليه (تذكّرًا وتدبّرًا وتفكّرًا)، وهو ما لم يخالف الطَّبيعة الخَلقيّة لبني الإنسان، من أجل تطابق العلاقة بين الأمل والدَّوافع الممكّنة من بلوغه؛ ذلك لأنَّ قواعد الدّين كلّ شيء مشاع لك أو

لغيرك (للإنسان أو لغيره من المخلوقات الأخرى)؛ ولهذا فما يحرّم على الإنسان لا يحرّم على غيره من المخلوقات سواء المحللة له أو المحرّمة عليه، ولا قيود على المحلل، بل القيود على المحرّم والمجرّم، فآدم -عليه السّلام- وزوجه اللذان خُلقا في الجنَّة، خُلق معهما كلّ شيء من أجلهما مشاعًا، أي: كلّ شيء نافعٍ لهما لا قيود عليه، ولكن القيود النّاهية جاءت على كلّ ما يضر أو يترك ندمًا وألمًا، أو أنَّه موضوع للاختبار والامتحان الذي لا يتم تجاوزه نجاحًا إلَّا بالصَّبر طاعة؛ وهذا ما لم يعرفه آدم وزوجه: {وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ}[103]، ومن هنا: جاءت الاستثناءات جنبًا إلى جنبٍ مع كلّ قاعدة.

وعليه: فإنَّ المشاعيَّة هي القاعدة، أمَّا النّهي فهو الاستثناء؛ ولذلك فالمؤمنون يأملون بلوغ مجمع النِّعيم المشاع (الجنَّة)، أمَّا الاستثناء فلا يكون إلَّا بعلل الشذوذ عن القاعدة.

ولأجل ترسيخ القيم الحميدة، والفضائل الخيّرة وتبيان ما يجب وما لا يجب جاءت القوانين؛ لتنظيم العلاقات (أقصد بالقوانين تلك القوانين المشاعة)، التي ترسّخ قيمة الإنسان؛ حيث لا يُحرّم عليه شيء هو حقّ له، ولا ينهى عن أداء واجب ينبغي أن يؤدِّيه، ولا عن مسئوليَّة تُحمل يجب أن يحملها ويتحمّل ما يترتّب على حملها من أعباء.

ومع أنَّ الإنسان خُلق في أحسن تقويم، فإنَّه لم يُخلق على الكمال؛ إذ لا كمال إلَّا للخالق؛ ولهذا فمن يرى نفسه على الكمال فقد خرج عن القاعدة وأصبح استثناءً، وهنا يجب أن ينهى بأمرٍ وقانونٍ يجعله يتمددّ بحرّيَّة إلى النِّهاية التي لا يكون فيها تمدّده على حساب تمدّد الآخرين.

---

[103] البقرة: 35.

والسُّؤال: هل القانون قيد أم أنَّه نصوص لفكّها؟

أقول:

فلسفة القانون تمنح الإنسان فسحة التمدّد بحرّيَّة حتى حدود الآخرين بلا تجاوز، أي: إنَّ التمدّد هو المشاعيَّة، وفي المقابل الانكماش أو التجاوز هو الاستثناء، بمعنى لا ينبغي لك أن تتمدّد إلَّا في مجالك الواسع، ولا ينبغي لك أن تتمدّد على حساب تمدّد الغير؛ والهدف من ذلك هو: وجوب التمدّد وهذه قاعدة، أمَّا الانكفاء فهو الاستثناء بعينه.

ولأنَّ المجتمع البشري متضاعف الأعداد، ومتنوّع الرّغبات، وحاجاته متطوّرة، وفي المقابل مشبعاتها بين كثرة وندرة وانعدام فهو بين هذا وذاك أصبح مضطرًّا لتنظيم علاقاته، وضبط أعماله وأفعاله وسلوكيَّاته، وتنظيم حياته؛ ممّا دعاه إلى سنّ القوانين الضَّابطة لذلك، ولكن أيَّة قوانين؟ هل هي فاتحة الآفاق لممارسة الحرّيَّة، أم إنَّها المقيّدة لمن يأمل ذلك؟

القانون وفقًا للقاعدة الطبيعيَّة لا تقييد فيه؛ ذلك لأنَّه محقّق التوازن والاعتدال؛ ولذا فمن لا يتوافق مع قوانين الخالق (القوانين الطبيعيَّة) يجد نفسه منحرفًا عن غير اعتدال، ثمّ منعوتًا بالشّذوذ عمّا يجب من قبل المتوازنين درايةً وقانونًا؛ ولهذا فالقوانين الطّبيعيَّة متلائمة مع طبيعة المخلوقات؛ كونها خالقة التوازن والاعتدال، أمَّا القوانين الوضعيَّة فهي بين توافق عن إرادة وتكيّف لا يكون إلَّا بقبول تقديم المزيد من التنازلات.

ولذلك ووفقًا للقانون الطَّبيعي فإنَّ كلمة (قف) تعني الاعتراف بوجودك وتقديرك واعتبارك، ولكن إن لم تقف عند حدّك الذي هو حقّ لك؛ فستواجهك الصّدمة التي قد لا تكون متوقَّعة من قِبلك، وهنا تكمن علّة التمدّد على حساب تمدّد

الآخرين، فكلمة (قف) تدلّ على الإنذار ليس إلَّا، ممّا يجعل الوقوف هناك عند نقطتها بلا مظلمة.

ومن خلال معرفتنا العامَّة يقال: إنَّ الإنسان خطّاء، ولكن بالمعرفة العلميَّة: مَن الذي سيخطئ؟ هل هو الإنسان العاقل، أم غير العاقل؟

أقول:

العاقل هو المعرّض للأخطاء، أمَّا غير العاقل فخطؤه أمر طبيعي. وبما أنَّ العاقل هو الذي يخطئ إذن فالذي يفكّر قد لا يخطئ، بمعنى لو فكّر العاقل في النتائج المترتّبة على الموضوع الذي يفكّر فيه قد لا يخطئ، أمَّا غير العاقل فهو (الحرّ) الذي لا يعرف الخطأ، وحتى إذا أُتهم به نال البراءة من رؤوس العدالة.

ومن ثمّ متى ما انحرف العاقل عن قيد عقله تحرّر من اتجاهه، وإلَّا هل هناك من يقول: نحن لم نخلق بعقل، ولم نسجن به؟

أقول:

نحن الذين خلقنا بعقلٍ، ونحن الذين سُجنَّا بهِ.

إذن: فالسّجن ليس الجدران والقضبان، بل العقل الذي يفكّر؛ ولهذا كلّ من لا يفكّر حرّ بطبعه.

والسُّؤال:

هل العقل قيد (سجن) في حدّ ذاته أم إنَّ القيود خارجة عنه؟

إذا أجبنا بأنَّ القيود خارجة عنه قد نسأل: لو كان الإنسان غير عاقل (وفقًا لدائرة الممكن)؛ فهل يمكن أن يفكّر في وضع

قيود عليه؟ فإذا كانت الإجابة بلا، إذن الإنسان العاقل هو الذي قيّد نفسه، وهو الذي نقل لنا ما في ذهنه من موانع إلى صور وأشكال مادّيَّة سُميت (السّجون) المحاطة بالجدران والقضبان الحديديَّة والحرَّاس المزودين بالهراوات والأسلحة الحديثة.

ولأنَّ الإنسان العاقل قد يتهرّب من ضميره كضابط عام؛ وضع لنفسه قانونًا لضبطه، وشرطيًّا ليقبض عليه متى ما خالف ذلك، ولكن بعد تنفيذ القانون عليه، أحس الإنسان الذي أوجد القانون أنَّه قد وضع على نفسه ضميرًا ورقيبًا خارجًا عنه وقيدًا عليه، فبدأ يفكّر في كيفيَّة خِداعه والتهرّب منه، ممّا جعل العلاقة بين الشّرطة والمواطن الذي تنازل عن ضميره علاقة عدم ثقة ومطاردة؛ ولهذا لم يؤت الإنسان من العلم إلَّا قليلًا، ولو أُوتى علمًا واسعًا لعرف أنَّ التنازل عن الضّمير هو تنازل عن العقل والحرّيَّة؛ ولذلك لم يتطوّر إلَّا بالقليل؛ فالإنسان الذي وُلد كغيره من الكائنات الأخرى يصرخ متى يشاء ويصمت متى يشاء، وُلد حرًّا، ومع أنَّه حرٌّ فإنَّه لا يستشعر الحرّيَّة؛ لكونه لم يدرك معناها بعد؛ حيث عدم نضج العقل الممكّن من معرفة الحرّيَّة وكيفيَّة ممارستها قانونًا طبيعيًّا أو وضعيًّا.

وهكذا هي الحياة لا تكون إلَّا على القوانين، ولأنَّ الحياة مؤسّسة على القانون فلا يمكن أن يكون القانون قيدًا إلَّا إذا كان القانون استثناءً.

وبناء على ذلك فللمتسائل أن يتساءل: هل الزّواج الطَّبيعي قيد، أم أنَّه دليل شاهد على المشاركة محبَّةً ومودةً؟

أقول:

الزَّواج قيمة حميدة تحقّق الرّضا متى ما كان الزّواج غير متخالف مع قوانين الحياة الطَّبيعيَّة، وفي المقابل يفقد الزّواج قيمته الحميدة إذا حاد عنها، وأصبح على حسابها استثناء.

وعليه: فالتساؤلات التي تحمل في مضمونها قيدًا لا تكون قيودًا إلَّا في حالات الاستثناء، وهنا لا تكمن العلّة في القوانين الطَّبيعيَّة، بل تكمن العلّة فيمن لا تكون اختياراته وفقًا للقواعد الطَّبيعيَّة التي تأسّست عليها طبيعة الخلائق؛ وهذه النتيجة تحتوي كلّ التساؤلات الآتية:

ـ هل الدِّين قيد على الحرّيَّة، أم داعم لها؟

ـ هل القانون قيد على حرّيَّة العقل أم لا؟

ـ هل الأمومة والأبوة والمجتمع قيود على حرّيَّة العقل أم لا؟

ـ هل كلمة **لا** قيد على الحرّيَّة أم لا؟

ـ هل السّجون قيد من أجل الحرّيَّة أم قيد عليها؟

ـ هل الحكومة قيد على المحكومين أم لا؟

ـ وهل يمكن أن تتحقّق الحرّيَّة إذا اعتبرنا هذه قيود؟

وبناء على هذه الأسئلة، أتساءل:

متى ستتحرّر عقول النَّاس من التفكير فيما يُقلق وينتج ألما؟

لا إجابة إلَّا بالعقل الذي يفكّر ويتذكّر ويميّز بين الحقّ والباطل الذي لولاه ما عرفنا المرغوب والممنوع، ولولاه ما استعملنا كلمتي: (قف، وسر)، ولا كلمتي: (لا، ونعم) فهذه الكلمات هي التي تنتج قولنا: (نعم) لما نريد، (ولا) لما لا نريد.

وعليه: ينبغي للإنسان أن يكون في عقله لكي يكون حرًّا، وإذا خرج منه سيوضع فيه مِن قِبل الآخرين بالقوَّة، وعليه أن يفكّر، ولكن إذا كان العقل سجنًا فهل سيحقّق تطوّرًا؟

والسّجن منه الانفرادي والجماعي والاجتماعي؛ ولهذا في الدّول التي تهدف إلى التقدُّم لا يسجن المجتمع، بل يسجن الأفراد والجماعات الذين يحاولون إعاقة حركة المجتمع إلى التطوّر، أمَّا في الدّول المتخلّفة فيسجن المجتمع بكامله تحت الأوامر والنَّواهي التي تعيق حركته إلى التطوّر، ممّا يجعل دور المدرَسة ليست بمدرسة، ودور المدرس ليس بالمدرس، ودور الواعظ ليس بواعظ، وخطيب الجمعة ليس بالخطيب، وشيخ القبيلة ليس بشيخ، ورئيس الحكومة ليس بالرّئيس.

ومن هنا فالعقل الذي يحقّق التطوّر هو العقل العام، والعقل العام هو عقل المنافع الفرديَّة والجماعيَّة والمجتمعيَّة، أمَّا العقل الذي لا يفكّر في محيطه؛ فهو في دائرة الاستثناء؛ ولهذا لا يحقّق التطوّر.

وإذا عُدنا مرّةً ثانيةً للإجابة عن السُّؤال السّابق كيف يكون العقل سجنًا ويحقّق التطوّر؟

أقول:

إذا سلمنا أنَّ العقل هو الذي قيَّد نفسه، ألا نسلّم بأنَّه قادر على فكّ قيده؟ وفي كلّ الأحوال إذا كانت الإجابة بنعم، هل يمكن أن يعيش الإنسان الحرّيَّة ويمارسها بكامل عقله وفي الوقت نفسه يكون على الإرادة والأخلاق؟

في اعتقادنا الإنسان بطبعه يغضب ويطرب، ويقبل ويرفض، وله حدود وفسحة امتداد، ومع ذلك قد يصعب عليه الالتزام والتوقّف عند الحدود، ولأنَّه من الصّعب الالتزام بها، إذن فَمِنَ الصَّعب ألَّا يسجن؛ ومن ثمّ يتأكَّد لنا بأنَّ العقل سجن وعلينا احترامه لكيلا نسجن.

ومع ذلك لا يمكن أن يضع الإنسان القيد في عنقه بإرادة إلَّا في حالتين:

ـ حالة الانتحار.

ـ حالة فقدان العقل.

وفي كلتا الحالتين هو في حاجة لمن يكسر القيد عنه؛ حتى ولو كان بقيدٍ آخر.

ولذلك ينبغي للقيود المكبّلة لممارسة الحرّيَّة أن تُكسر؛ كونها شذوذًا عن القاعدة الخَلقيَّة التي خُلق الإنسان عليها في أحسن تقويم. أي ينبغي كسر القيد الذي وضعه الحاكم الظّالم في رقاب المحكومين؛ ولهذا فالمساءلة ضرورة موضوعيَّة تعيد المنحرفين عن انحرافاتهم سواء أكانوا حكّامًا أم محكومين، ولكن نلاحظ في الوقت الذي فيه يخضع طرف إلى هذا الإجراء من أجل ممارسة الدِّيمقراطيَّة في الوقت ذاته يخرج طرف آخر عن مراقبتها وهنا تكمن العلل.

والمعادلة التي قد تحتاج إلى ضبط وإلَّا سيختل التنظيم الاجتماعي هي أنَّ الشُّعوب في زمن ما قبل العولمة كانت غير قادرة على السّيطرة على الحاكم، ومن ثمَّ كان الترحيب حارًّا من قبل شعوب الدّول النَّامية بتنظيرات العولمة التي يعرفون أنَّها سَتُمكِّنهم من كسر القيد بالقيد، أمَّا في الزَّمن الذي ستزدهر فيه العولمة فستكون المعضلة كيف يمكن للحاكم أن يضبط الشّعب من الانفلات بعد أن فُكت قيوده التي من الصَّعب أن يقبل بالعودة إليها؟ ولذا قد تتدخل قوَّة خارجيَّة من جديد تحت مبررات من أجل ضبط النِّظام واستقرار الأمن، وهذا ما سيكون متوقَّعا إذا انتصر اليمين في أوروبا، مع أنَّ رأينا يتوقّع غير ذلك، أتوقّع أنَّ اليمين لن يتبوأ السُّلطان وكأنَّه سيد الميدان وحده، ولذا فأنَّ الأمر في أوطان العالم الثَّالث يحتاج إلى مزيدٍ

من الوقت، مع إتاحة الفرصة لمزيدٍ من الآلام حتى وإن تظاهر البعض بتقليلها.

وفوق ذلك أقول: إنَّ العمل على شعوب ذلك العالم الذي كان تحت مظلة ما يسمى بالعالم الثَّالث أصبح ميسّرًا شريطة أن يقبلوا بإسقاط الأنظمة مقابل القبول بسيادة الفوضى ومزيد من الأوجاع؛ فالسُّودان على سبيل المثال: إذا لم يَحسم أحد الأطراف الأمر فيها في الزّمن غير المتوقَّع فإنَّ أمرها سيطول والمآسي قد تأخذ أريحيَّتها بين الشّعب السّوداني.

وعليه: إذا أريد للعولمة تجديدًا وسوقًا واسعًا فلا بدَّ أن تعاد قراءة المتغيرات الدّولية؛ فعلى سبيل المثال: الصّين اليوم ليست بالصّين يوم الأمس، والشّرق الأوسط لن يبقى ذا أهميَّة للولايات المتحدة الأمريكيَّة كما كان يوم الأمس؛ فذلك الصِّراع والصّدام الذي دارت رحاه عشرات السّنين بين العرب والإسرائيليين لن يبقى على ما كان عليه، وبخاصّة بعد الاعترافات والمشاركات في رؤوس الأموال والأسواق المشتركة والاحتفالات البينيَّة حتى وإن كانت تحت الطَّاولات؛ ولهذا في دائرة المتوقَّع لا مفرَّ مِن أن يحكم القضاة بأنَّ بيت المقدس عاصمة للأديان الثَّلاثة، أمَّا في دائرة غير المتوقَّع فإنَّ السِّيادة ستكون لمآذن المساجد.

أمَّا تلك المواجهات والنِّزاعات التي كانت في الشّرق الأوسط ستنقل حيويَّتُها إلى أسواق المحيط الهندي وشرق القارة الأسيويَّة، وقد تصل إلى قارة أستراليا؛ فتلك الأراضي هي التي ستكون السّوق الكبير لبيع الأسلحة وإجراء المناورات وزرع المتفجّرات والتفخيخ، ثمّ بلوغ المواجهات واحتجاز الرَّهائن واستبدال الأسرى وفقًا للمفاوضات ذات الزَّمن الطَّويل. ومن هنا سيتم التنظير لعولمة تؤسّس سيادها على كفتي اعتدال

الميزان، أي على الحرّيَّة الشَّخصيَّة وفقًا للقيم الاجتماعيَّة والإنسانيَّة في مقابل حرّيَّة السّوق؛ وإذا لم يؤخذ ذلك في الاعتبار، فإنَّ نظام السّوق سيكون قيدًا بالضّرورة؛ ولذا فإنْ لم يحسم هذا الأمر سيكون الصّدام بين من يحاول أملاء شروطه والرّافضين لها؛ وهذه قد تنجم صراعات محتملة منها:

ـ الصّراع بين المواطنين كأفراد عندما يحسّ كلّ منهم أنَّ الآخر هو قيد على حرّيَّة ممارسته للدِّيمقراطيَّة.

ـ الصّراع بين المواطن الفرد والحاكم عندما يشعر المواطن بأنَّ الحاكم يُشكل قيدًا عليه وعلى ممارسته الحرّيَّة، أو عندما يشعر الحاكم أنَّ المواطن غير مكتفٍ بما أعطى له من هامش للامتداد.

ـ الصّراع بين المواطن الفرد وأداة الحكم، عندما يحس الموطن أنَّ الأداة الحاكمة تحتكر السُّلطة ولا تسمح له بأن يمارس حقّه مشاركة.

ـ صراع المواطن كفرد مع الدَّستور والقوانين والنُّظم عندما تصاغ بغير إرادة.

ـ صراع الدّول على ضرورة إعادة التوازن الذي فُقد بعد أن طُويت صفحة الاتحاد السُّوفييتي وانفراد الولايات المتحدة الأمريكيَّة بالسِّيادة على مسرح السِّياسة الدّوليَّة والتغوّل على الغير، ولكن حَلقة هذا الانفراد أصبحت تضيق بعد إعادة الحيويَّة الرُّوسيَّة للسياسة الدّولِّية، والتي أتاحة الفرصة للصّين (الدُّب الصَّامت) بأن ينهض ويكشِّر عن أنيابه بلا تردّد؛ لا للتفرّد بالسِّياسة الدَّولية، ولا للتفرّد لاحتكار السُّوق، ولا للغطرسة الأمريكيَّة. هذا الأمر ليس له إلَّا أحد الاحتمالين:

الاحتمال الأوَّل: التَّماس عند خطوط المواجهة الحمراء، يصحبه تدخُّل سريع بغاية أن يتوقَّف كلٌّ عند النُّقطة التي هو عندها والأخذ بالمفاوضات التي لا شكّ سيكون السَّقف فيها بدايةً مرتفعًا، ونهاية للضّرورة لا بدَّ من حلٍّ. أو أنْ يحدث ما لم يحمد عقباه على الكرة الأرضيَّة بأسرها.

ـ **الاحتمال الثَّاني**: حدوث لُحمة بين كتلتين رئيستين: الكتلة الأولى الصِّين وروسيا من جهة، في مواجهة الكتلة الثانيَّة: الكتلة الأمريكيَّة الأوروبيَّة برئاسة بريطانيَّة من جهة أخرى، يحدث من بينهم التفاوض على مجالات الامتداد والهوامش المسموح بها لكلِّ كتلة من الكتلتين (الصّين روسيا ـ وأمريكا أوروبا بزعامة بريطانيا). وهذه بلا شكَّ لن تكون إلَّا بقبول إعادة تخريط خريطة العالم السّياسيَّة والاقتصاديَّة، ولا تكون إلَّا على حِساب ما كان يسمى بالعالم الثَّالث، وبخاصّة أنَّ الصَّين لن تعدّ من تثليثهِ.

ومع أنَّ ما يجري الآن من مواجهات بين روسيا وأوكرانيا يراه البعض أو يظنَّه وكأنَّ الأمر بين كفَّتي الميزان متعادلًا؛ فأقول: أوكرانيا بالنِّسبة إلى روسيا فأر يلعب مع قطٍّ قوي دون أن يعرف أنَّ لعبه هذا لا يخرج عن اللعب بين المخالب ولُعاب الأنياب يسيل، ولكن مع إعطاء هذه الفرصة للفأر أن يلعب بين المخالب ظنَّ الفأر أنَّه سيأكل القط لا محالة.

وإذا تساءل البعض ولمن المكان الذي يلعب الفأر فيه بين المخالب؟ أقول: إنَّه ذلك المكان الذي استقطعه القط من ذلك الملعب الذي كان في حوزة الفأر الذي أصبح بين المخالب.

ولهذا أصبحت الأرض التي كان يلعب الفأر عليها في خبر كان بعد أن أصبح الفأر الضحيَّة.

ومع أنَّ الفأر أصبح على ما هو عليه وصفًا فليس له في دائرة المتوقَّع إلَّا القبول بإيقاف إطلاق النَّار، ومتى ما قَبِلَ بذلك فليس له إلَّا القبول بترسم الحدود، وإذا قبل بذلك فعليه أن يعرف وجوبيَّة الطَّاعة التي كما تُحرِّم دخول الأسلحة الهجوميَّة، تحرِّم أيضًا الدّخول في حلف يجعل مخالب القط بين المخالب. وهكذا سيكون حال تايوان مع الصّين متى ما لعبت ستجد نفسها بين المخالب.

وبناءً على هذه النِّقاط المسبّبة للصّدام آجلًا أم عاجلًا لا بدّ من إعادة التنظير للعولمة، بهدف تحرير المواطن بناء على ضمانات حقوق الإنسان برؤيةٍ جديدةٍ؛ كون الإنسان من حقِّه أن يكون حرًّا، ويمارس الدّيمقراطيَّة بإرادة؛ وهذه تستوجب فكّ القيد عنه بإرادة، وإن لم يُفك بها يجب أن يُكسر بالقوَّة؛ وكلمة (يجب أن يُكسر بالقوَّة) تعني فيما تعني: وضع القيد في عنق من لا يودّ فكه بإرادة، ومن هنا تتولّد الصِّراعات التي منها:

ـ صراع الضّمير العام مع الأنا:

عندما تفلُت الأنا من ضوابط الذّات التي تشكّل قيدًا عليها، يتدخَّل الضّمير العام كحكم بينهما بالنّواهي والضّوابط التي استمدّها من الفضائل الخيرة والقيم الحميدة، وهذه الضّوابط بالنّسبة إلى الأنا تُعد هي الأخرى قيودًا إن لم تفكّ فلا بدَّ أن يتمّ التحايل عليها وعدم الالتزام بها.

ـ صراع الضّمير العام مع الذّات الجماعيَّة:

الذَّات الضَّابطة للأنا في كثير من الأوقات هي في حالة صدام معها؛ ولأنَّها ذات جماعيَّة بشريَّة فهي الأخرى تحيد في بعض الأحيان عن ضوابط الضّمير العام، الذي تعدّه الذّات سندًا لها عندما تكون في حالة صدام مع الأنا، وفي ذات الوقت

تعدّه قيدًا عليها عندما تحاول الانفلات والانحراف؛ وذلك بمتابعته لها في كلّ أمرٍ، فكلّما قرّرت الانفلات منه يحدث الصِّدام معها.

وإذا تساءل البعض: متى يحدث الصِّدام بين الضّمير العام للمجتمع والضّمير العالمي (ضمير حقوق الإنسان والحيوان)؟

تجيب تلك العولمة عن ذلك بالنِّقاط التَّالية:

أ ـ عندما لا يستوعب الأنا الآخر.

ب ـ عندما لا تمارس الدّيمقراطيَّة بإرادة.

ج ـ عندما لا تفتح البلدان كميادين ليمارس السّوق نشاطه فيها بحرّيَّة.

د ـ عندما لا تكون الأديان والأعراف قيودًا على من لا يُشرِّعون بها.

هـ ـ عندما لا يتمّ الحفاظ على البيئة.

ع ـ عندما يحاول البعض صمّ آذانه عمَّا تقوله المنظّمات الدّوليَّة، ومنظمة الأمم المتحدة التي ستُدخل تعديلات عليها وعلى قوانينها عندما يقف كلٌّ عند حدَّ في أثناء التماس أو التفاوض قبل حدوثه بين الكتل التي أشرنا إليها سابقًا.

و ـ عندما يحاول البعض الامتناع عن ارتداء القميص القيد للعولمة، وهو الذي سيتم تفصيله بعد التنظير للعولمة الصَّاعدة بين الكتل التي ستكون على التفاوض من بعد التَّماس.

عليه: سيكون التدخُّل مباحًا ومتاحًا متى ما يتراء للذّات العالميَّة أن تتدخل في الشّئون الدّاخليَّة للبلدان والدّول؛ ولهذا كسر القيد بالقيد لا فرق فيه بين أن يكون حديديًّا أو ذهبيًّا، إلَّا

أنَّ القيد الحديدي القديم الذي في كثير من الأحيان يتعرّض إلى الصّدأ سيتمّ استبداله بالقيد الذّهبي الجديد الذي لا يصدأ؛ وذلك بعد طلائه من قِبل الكتل الجديدة الرَّاسمة للسِّياسة الدَّولية بعد حسمها للصِّراع المباشر[104].

الصَّبر تحدّيًا يتجاوز بأصحابه الدُّونيَّة:

الصَّبر أمرٌ لا يُطلب البقاء عليه إلَّا بغاية إنجاز عملٍ عظيمٍ؛ كون أصحابه لا يستسلمون، ولا يركنون للكسل والدّعة؛ ذلك لأنَّهم أهل طموح وغايات ومأمولات يسعون بلوغها ونيها: {رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صبرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}[105]، ومع أنَّ الصَّابرين هم الصَّمدون عملًا متحدّيًا للصِّعاب فإنَّ المؤمنين منهم لا يقدمون على عملٍ عظيمٍ إلَّا وهم واثقون لن يكون لهم النَّصر إلَّا من عند الله: {وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ}[106]؛ ولهذا فالصَّبر مع التحدّي يتجاوز بأصحابه الدُّونيَّة؛ ذلك أنَّ الدُّونيَّة منزلة سُفليَّة لا تليق بأهل العلم ولا أهل المكانة والرّفعة، بل ولا تليق بمن خُلق في أحسن تقويم، ومن أراد أن تكون حياته على الخُلق الرّفيعة وعيًا وتدبّرًا فعليَّه بكلّ ما يُمكّن من إحداث النُّقلة ارتقاءً إلى ما هو مأمول، وفي مقابل ذلك إن لم يحسن الإنسان إدارة شئونه فليس له إلَّا الانحدار؛ فآدم عليه السَّلام الذي خُلق في العليّة عندما أخفق في إدارة نفسه انحدر إلى سُفليَّة غير متوقَّعة، وهناك في دائرة غير المتوقَّع واجهته المفاجأة؛ بعد ما انحدر معصية مع انحدار شهوته ورغبته؛ التي جعلته على الهبوط إلى الحياة الدُّنيا بعد أن كان في السّماء قمّة.

ولمتسائل أن يتساءل:

---

104 المصدر السابق، ص 85.

105 البقرة: 250.

106 آل عمران: 126.

هل خُلق آدم على الارتقاء خَلقًا، أم أنَّه جُعل عليه جعلًا؟

أقول:

لو جُعل آدم على الارتقاء جعلًا لكان الارتقاء مستقلًّا عنه وسابقًا عليه؛ ولأنَّه لا سابق على آدم ارتقاءً فهو المخلوق عليه خَلقًا؛ قال تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}[107]، ولأنَّه خُلق على الارتقاء خَلقًا، قال: {في أحسن تقويم}، وفي المقابل لو كان آدم قد جُعل على الارتقاءِ جعلًا لقال تعالى: {على أحسن تقويم} وهو المأمول غير المتحقّق في ذات آدم خلقًا، وهذا ما يخالف دلالة الحُسن التي خُلق منها آدم عليه الصَّلاة والسَّلام.

ومع أنَّ آدم قد خُلق في أحسن تقويم، فإنَّه انحدر إرادة ومعصية، فكان في سُفليَّة ودونيَّة أمام خَالقه: {ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ}[108]؛ ومع ذلك استغفر آدم ربَّه فتاب الله عليه، ومن هنا فتح الله باب التوبة لعباده الذين آمنوا وعملوا الصّالحات: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ}[109].

ومع أنَّ آدم قد خُلق في أحسن تقويم، فإنَّه قد خسر ذلك الارتقاء بمعصية منه، ممّا جعله استغفارًا يأمل الارتقاء عمَّا انحدر فيه من سُفليَّة؛ فغفر الله له وتاب عليه بغاية الارتقاء إلى تلك المقامات العظام، ولكن الأمر لا يعد هيّنًا؛ حيث لا عودة إلَّا بالعمل الصّالح الممكّن من الارتقاء إلى تلك القمّة التي أصبحت أملَ آدم بعد أن كانت بين يديه.

ولأنَّ العمل ارتقاء يؤدِّي إلى ما يُنقذ بني آدم من الألم، كما يؤدِّي بهم إلى ما يُغرقهم فيه فهم بين هذا وذاك بين ارتقاء فيه العمل يُتقن، ودونيَّة بها يُهمل وينحرف إلى ما لا يجب؛ ولذلك

---

[107] التين: 4.
[108] التين: 5.
[109] التين: 6.

كان الصّدق ارتقاءً في مواجهة الكذب انحدارًا، وكان العدل ارتقاءً في مواجهة الظّلم انحدارًا، وهكذا كان الحقّ في مواجهة الباطل، والحرّيَّة في مواجهة الاستعباد، والدِّيمقراطيَّة في مواجهة الدّكتاتوريَّة، والاستيعاب في مواجهة الهيمنة والإقصاء، وبين هذا وذاك يجب تحدّي الصِّعاب بما يُمكّن من الارتقاء قمّة.

ولأنَّ بني آدم بين ارتقاء ودونيَّة فهم بينهما بين ما يرسّخ قيمة الإنسان رفعة ونهضة ومكانة، وما يؤدِّي إلى التخلّف والفاقة وتقليل الشّأن.

ولذلك فالعمل الصّالح ارتقاءً لا يكون إلّا عملًا منتجًا ومتقنًا ومبدعًا ومرسّخًا لقيمة الإنسان، وفي المقابل العمل الفاسد والرّغبة الفاسدة لا يكونان إلّا على حساب القيم الحميدة، وعلى حساب مصالح الآخرين ورغباتهم ومصائرهم وما يشبع حاجاتهم المتطوّرة والمتنوّعة؛ ومن ثمّ فالعفّة والأمانة والنّزاهة وتحمّل أعباء المسئوليَّة ارتقاءً ستظل قيمًا في مواجهة تلك القيم المؤدّية بأصحابها إلى السُّفليَّة والدّونيَّة التي تتمركز على الأنا.

ولهذا فالارتقاء لا يمكن أن يبلغه بنو آدم إلّا عدلًا وعملًا وعفوًا وصفحًا، وكذلك الانحدار لا يمكن أن يبلغوه إلّا ظلمًا وإهمالًا وتشدّدًا وتطرّفًا، ففي دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، فمن شاء الارتقاء عمل من أجله ارتقاء وتحدّى الصِّعاب، ومن شاء الانحدار عمل من أجله سُفليَّة ودونيَّة.

وعليه:

فآدم بعد أن خسر تلك المكانة القمّة، عمل على الارتقاء إليها ثانيةً، ولكن ظلَّ الارتقاء إلى تلك القمّة من قِبل بني آدم أملًا وعملًا، فمن يعمل صالحًا يقترب منها، ومن يعمل باطلًا يبتعد عنها؛ فالإنسان الذي خُلق على الارتقاء بدايةً، ثمّ انحدر عنه

رغبة وشهوة، أصبح ثانيةً يسعى إلى العودة إلى القمّة، وهو يأمل أن تُرتق الأرض بالسّماء حتى يرى بأمّ عينه ما يأمله ارتقاءً ورفعةً ونهضةً.

فبنو آدم خُلقوا على الاختلاف وسيظلون به مختلفين، حتى أهل الوطن الواحد والدّين الواحد واللغة والثّقافة الواحدة هم مختلفون قدرات ومواهب واستعدادات وميول واتجاهات: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ}[110]؛ ولهذا فهم مختلفون بصمة، ولا تناسخ بينهم فيما خُلقوا عليه خَلقًا، ولكن بينهم تماثل فيما هم عليه من معرفة وعلم وحضارة واقتصاد وسياسة، وفنون وآداب؛ ومع ذلك فالاختلاف بينهم لا يلغيه التماثل والتشابه، بل التماثل والتشابه بين بني آدم يؤكّد وجود الاختلاف بلا لبس ولا غموض.

ولأنَّه الاختلاف؛ فهو المحفّز على البقاء تنوّعًا، وهو المحفّز على التغيير الممكّن من التّعاون والنّهوض ارتقاءً؛ فبنو آدم ارتقاءً يعلمون أنَّهم لم يجدوا أنفسهم خَلقًا، بل خَلقَهم من هو أعظم منهم، فهم يعلمون أنَّهم قبل الخَلق لم يكونوا شيئًا يُذكر، ثمّ أصبحوا شيئًا مذكورًا؛ فهم يعلمون أنَّ مشيئة من ورائهم هي التي أرادت لهم خَلقًا؛ ولهذا فهم يدركون أنَّهم قبل الخَلق لم يبلغوا مستوى الوجود الصّفري قيمة، ولكن مشيئة الخالق شاءت لهم أن يكونوا شئيًا فكانوا شيئًا وفي أحسن تقويم: {أَوَّلا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا}[111].

فبنو آدم لكونهم شيئًا مذكورًا يدركون مشيئة شاءت لهم أن يكونوا خَلقًا وفقًا لمشيئة هم لا يعلمونها؛ ذلك لأنَّ المشيء وحده

---

[110] هود: 118، 119.

[111] مريم: 67.

يعلم مشيئة خَلقه، أمَّا المخلوق ارتقاءً؛ فلا يدرك إلَّا وجوده مخلوقًا؛ ومع ذلك فهناك من يرى الوجود الكوني مخلوقًا من غير خالق، وهنا تكمن العلّة المعرفيَّة بين من يدرك أنَّه لا مشيئة لمخلوق في خَلقه، ومن لا يدرك ذلك بقوله: "إنَّ الكون خلق نفسه ولا خَالق من ورائه"[112].

ولأنَّ بني آدم بين الارتقاء والدُّونيَّة؛ فهم مختلفون رؤيةً ومعرفةً وعلمًا؛ ولهذا فهم بين معرفة وعلم يؤدِّيان بهم إلى النّهوض قمّة، وجهل يؤدِّي بهم إلى الانحدار والدُّونيَّة.

ولذلك فالإنسان عندما ينهض يرتقي إلى ما يؤدِّي به إلى رتق الأرض بالسّماء، وعندما ينحدر يهوي سُفليَّة في القاع، أي إنَّه عندما يرتقي يجد نفسه وكأنَّه يحتوي الإنسانيَّة في نفسه، ولكن عندما ينحدر يصبح عقله أشبه بعقل الحيوان: {فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ}[113].

أي: عندما ينحدر الإنسان ممّا هو عليه من عقل مدبّر، لا شكّ أنَّه يقترب إلى عقل القرد الذي هو في دونيَّة إذا ما قورن بعقل من خلقه الله في أحسن تقويم؛ فمثل أولئك المنحدرون قيمًا هم مثل الحيوان الذي لا يتذكّر فيتّعظ، ولا يتدبّر فيخطط، ولا يفكّر فيرتقي إلى ما يجب أن يكون عليه رفعة؛ ولهذا فلا يليق بالعقل الإنساني أن يتشبّه سلوكه بالعقل القردي، الذي متى ما انحدر إليه الإنسان أصبح لا فرق بينه ومن هو في دونيَّة: {وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ}[114].

فالإنسان إن لم يُحسن الاختيار ولا أمل له، يجد نفسه في اتجاه السُّفليَّة والانحدار والدُّونيَّة، وإذا امتلك الإنسان الإرادة

---

[112] عقيل حسين عقيل، نحو النظرية خلقا، مكتبة القاضي، القاهرة: 2020م، ص 36.
[113] الأعراف: 166.
[114] المائدة:60.

والأمل يصاحبه صبرًا وتحدّيًا للصِّعاب، تُفتح أمامه السُّبل في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع؛ ولهذا إن كانت الإرادة في حالة ضيق أو منعدمة؛ فلا يجد الأمل مجالًا للامتداد فكرًا ومعرفةً، فالفِكْر الإنساني نتاج ما وصل إليه العقل البشري من معارف وعلوم ورؤى أسّس لثقافات وحضارات سادت، ثمّ بادت، ثمّ نهضت حضارات غيرها، وهكذا ستظل الحضارات بين نهوض وارتقاء، وإبادة وسُفليَّة، وفقًا لقاعدة الصّراع بين ما يجب وما لا يجب، وستظلّ الحياة البشريَّة في دورة من التفاعل بين (ارتقاء ودونيَّة) حضارات تسود، ثمّ تبيد، ثمّ تنهض حضارات أخرى.

ولذلك عاش الإنسان الأوَّل حياة الخَلق في أحسن تقويم، ثمّ انحدر سُفليَّة؛ فاتّسعت الهوة بينه وتلك المكانة ارتقاءً؛ فكانت الدُّونيَّة بين يديه سلوكًا على غير فضائل ولا قيم حميدة، وكانت الأساطير ترافقه وكأنَّها الحلّ في الوقت الذي فيه الخرافة لا علاقة لها بما يحقّق الآمال المحدثة للنُّقْلَة وصانعة المستقبل المزدهر.

ومع أنَّ القاعدة المنطقيَّة ترى أنَّ الارتقاء أساس الخَلق البشري، فإنَّ الاستثناء يرى كفّة الانحدار تكاد أن تتعادل مع كفّة الارتقاء، وهنا تكمن العلّة؛ حيث قلّة الجهد المبذول من قِبل من يأمل ارتقاءً، في مقابل الجهد المبذول من قِبل من تشدّه السُّفليَّة. وهذا الأمر يشير إلى أنَّ زمن الصّراع سيطول بين من يأمل رتق الأرض بالسّموات، ومن لا يرها إلّا مُفتقة طباقًا.

والذي يُعيق العمل عن النّهوض، وإحداث النُّقلة، وبلوغ الارتقاء قمّة هو العمل الذي ينحدر بأصحابه في دونيَّة الأخلاق وسُفليَّة التخلّف السِّياسي والاقتصادي والاجتماعي والإنساني؛

قال تعالى: {وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحا فَلَهُ جَزَاء الْحُسْنَى}[115].

فالإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم، هو الإنسان المقوّم للارتقاء، وليس للدّونيَّة، ولكن لأنَّ الارتقاء والدُّونيَّة يتأثران بالمعرفة والتّخيير تذكّرًا وتدبّرًا وتفكّرًا؛ فهما بيد الإنسان رغبةً واختيارًا؛ ولذلك ينبغي لبني آدم أن يعملوا كلّ ما من شأنه أن يؤدِّي بهم إلى إحداث النُّقلة الممكّنة من معرفة المستحيل وبلوغه ارتقاءً حتى يقفون دونه.

ولهذا فمن تُلهه نفسه شهوة غير متوازنة فلن يجد نفسه إلَّا على حالة من الانحدار والدُّونيَّة التي لا تزيده إلَّا تقليل شأن.

فالإنسان الذي خُلق على قمّة النُّشوء ارتقاء، لو لم ينحدر بداية، لكان إلى يومه هذا على قمّة الزَّمن الحاضر في حُسن خَلقه وخُلقه؛ ولكنّ الغفلة قد أخذته فعصى ربَّه؛ فانحدر إلى ما لا ينبغي له، ثمّ حاول النّهوض، ولكنّه ما زال يحاول وهو بين أمل ويأس. أمل الارتقاء إلى ذلك الماضي تحدٍّ، ويأس بلوغه بعلل الشَّهوة التي لا ترى الأنا إلَّا مركزًا على حساب الغير.

ومن ثمّ ينبغي لبني آدم عند رسم السّياسات أن يجعلوا وراء كلّ هدف غرضًا، من ورائه أغراض تحقّق لهم المكانة والكرامة، أي: تحقّق لهم المكانة الشَّخصيَّة قدوة، وتحقّق لهم الكرامة الآدميَّة رفعة، وتحقّق لهم العيش السّعيد قيمة. ولكن إن لم يتحدّوا الصِّعاب ويعملوا ويفعلوا مع وافر الصَّبر فلا شيء لهم إلَّا البقاء على رصيف الحاجة متسوّلين، وهنا يكمن الانحدار علّة[116].

الصَّبر يُمكِّن مِن تحدّي المخاطر:

---

[115] الكهف: 88.

[116] المصدر السابق، ص 76.

التحدّي لا يكون إلّا للمخاطر وما يخيف؛ وذلك بغاية بلوغ ما يطمئن ونيل المأمول؛ ولهذا فالكلمةُ مهما عظمت إن لم تتجسّد في سلوكٍ وصبرٍ على العمل المنتج تظلّ كلمة في حاجة للحياة، ولا حياة لها ولا حيويَّة إلَّا بقبول التحدِّي، ولكن أيّ تحدٍّ؟ إنّه التحدّي ارتقاء (بناءً وإصلاحًا وإعمارًا مع ارتقاءً الأخلاق قمّة)، والتحدّي ارتقاءً هو الممكن من إنشاء الشَّيء من الشَّيء، كما أنشأ نوح -عليه السّلام-سفينة النّجاة من جذوع الشّجر إبداعًا، والفضائل والقيم من ورائها إنقاذًا.

ولأنَّ الأمم والشّعوب التي تقدّمت لم تتقدّم إلَّا بالعمل؛ فَلِمَ لا يُقْدِم المتأخّرون عنهم على العمل الممكّن تحدٍّ من طي الهوة بينهم والمتقدِّمين الذين ارتقوا علمًا وتقنيةً وحُسن إدارة؟

ولأنَّ التحدّي لا يكون إلَّا عملًا؛ فينبغي لمن يرغب التحدّي ارتقاءً أن يقدِم على العمل النّافع، وينبغي أن يجوِّد منتجاته؛ لتكون منافسة لمنتجات الغير؛ لأنَّ المنتجات غير المنافسة لن تجد لها مكانًا في أسواق المستهلكين.

وهذا يعني: إنْ لم تُقدِم الشّعوب وبكلّ طاقاتها على العمل المنتج والمبدع فستظل متخلّفة وتابعة لمن يمتلك القوَّة المنتجة ويسيطر على السّوق، وقد تصبح مدانة بما لم تستطع تسديده، وهنا ستجد نفسها أمام خيارات قد لا تكون محمودة، ويومها لن ينفع النَّدم.

فالعمل تحدٍّ يجعل المكانة لمن لم تكن لهم مكانة، فمن رغب مكانة ويأمل تبوأها فعليه بالعمل المنتج ويحرّض مَنْ تربطهم به علاقة على العمل تحدٍّ؛ لتكون المكانة للجميع: {قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ}[117].

[117] الأنعام: 135.

العمل تحدٍّ يصعد بأصحابه من تحت الصّفر إلى الصّفر تحدٍّ دون أن يتوقّف عنده أملًا، بل يتجاوزه بالعمل حتى يصعد إلى القمر، ثم يتجاوز القمر؛ لكونه لم يكن النِّهاية، فيغزو الفضاء اكتشافًا، وهو في سعيه لم ييأس ارتقاءً من بلوغ ما هو أعظم، ولا غاية له من وراء ذلك إلَّا بلوغ الجنَّة. إنَّها رسالة الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام؛ فمن أخذ بها ارتقاءً أخذ بما يجب الأخذ به، ومن لم يأخذ بها فلن يبلغ التقدّم والارتقاء المحقّق لإشباع الحاجات المتطوّرة والمتنوّعة، وبناء الحضارة التي ترتقي بصُنّاعها إلى صناعة الأمجاد.

ومع أنَّ الإنسان خُلق على الارتقاء خَلقا، فإنَّه لم يحافظ على ارتقائه؛ فأُهبط به من علوٍّ إلى دنيا، ومع ذلك عيناه لم تفارق السّماء، ظلّت تبصر هناك بأمل العودة، وهذا الأمر هو الذي حفّزه على العمل ودفعه إليه تحدٍّ.

وعليه فإنَّ الإنسان لو لم يكن مؤهَّلًا للتحدّي، ما فكّر وتدبّر حتّى تمكّن من اقتناص الفكرة التي مكّنته من غزو الفضاء وهو يأمل في المزيد ارتقاءً، ولأنَّ حاجات الإنسان متنوّعة ومتطوّرة؛ فهي إن لم تواكب من قِبله بالعمل تحدٍّ تصبح ضاغطة عليه ألما شديدًا؛ فعليه بالعمل وتحدّي الصِّعاب، ولا يخش شيئًا سوى الحقّ الذي يمكّنه من التقدّم والنّهوض وتحقيق الرّفعة والمكانة بالنّسبة إليه قمّة[118].

تحدّي الصّعاب صبرًا يكشف المجهول:

مع أنَّ البعض لا يرى الصِّعاب إلَّا صعابًا فإنَّ البعض لا يعدّها إلَّا حيويّة التحدّي الممكِّنة من صُنع المستقبل؛ ولذا فالصِّعاب دائمًا تحتاج إلى جهود جادّة وحيويَّة متمرِّدة على

---

118 عقيل حسين عقيل، خريف السلطان (الرحيل المتوقع وغير المتوقع) شركة الملتقى، بيروت، 2011م، ص 175 - 181.

السُّكون والجمود عند نقطة معينة أو موقف معين، ولهذا فمن يريد المزيد المعرفي ليس له إلَّا المزيد من البحث وقبول تحدّي الصِّعاب، سواء أكانت صعابَ ظروفٍ معينةٍ أو صعابَ إمكانات، أو صعابَ تكاتف جهود، أو صعاب تنقُّل، أو غيرها من الصِّعاب المعيقة للحركة تجاه بلوغ الغايات العظيمة؛ ومن هنا فبذل الجهود وفقًا لأهداف مرجوة، يُمكِّن من تحدِّي الصِّعاب وبلوغ الغايات التي من بعدها يتم نيل المأمولات.

أمَّا المجهول فهو الذي لم يتم بلوغه بعد؛ ولهذا تصاغ له الفروض أو التساؤلات، ثمَّ ترسم له الخطط القابلة للتنفيذ؛ ومن هنا فالمجهول هو ما لم يكتشف بعد، أو لم يتمّ التعرّف عليه على الرّغم من وجوده؛ ومن هنا نعرف أنَّ كلّ ما تمّ التعرف عليه كان مجهولًا؛ ولهذا فلو لم يكن المجهول موجودًا ما كانت الإمكانيَّة متاحة لمعرفته.

ومن هنا فالمجهول هو ما لم يكن معلومًا بعد، ممّا يستوجب البحث من أجل كشفه والتعرّف عليه؛ ليكون إضافة جديدة للمعارف والعلوم السّابقة؛ ولهذا ينبغي على البحّاث في الميادين العلميَّة النَّاهضة إنْ أرادوا معرفة المجهول، أن يصوغوا له تساؤلات، فالتساؤلات تقود إلى معرفة المجهول في دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع.

أمَّا البحّاث الذين يعتمدون على صياغة الفروض العلميَّة فلن يتمكّنوا من معرفة المجهول، بل سيتمكنون من معرفة النّصف المتبقي من المعرفة المتوافرة لديهم، فالفروض وأن عظمت نتائجها لا تصاغ إلّا ونصف المعلومة غير مجهول، وللضّرورة هم يبحثون بهدف معرفة ما يتمّم نصف ما لديهم من علمٍ أو معرفةٍ.

أمَّا التساؤلات فهي أسلوب بحثي معمّق يمكّن أصحابه من معرفة الجديد المجهول: {عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ}[119] فقوله: {عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ} هو تساؤل، ولم يكن سؤالًا، ولم يكن استفسارًا؛ ذلك لأنَّ السّؤال دائمًا يلاحق إجابة سابقة عليه، بهدف إعادتها ثانيةً أو أكثر من ذلك، وكذلك الاستفسار لا يكون إلَّا عابرًا ومن العموم، أمَّا التساؤل فهو يستوجب بحثًا علميًّا وتقصيًا دقيقًا من أجل معرفة المجهول.

ولأنَّ المشركين يتساءلون عن المجهول؛ فكانت المعلومة من العليم، أنَّ ما تختلفون فيه هو النَّبأ العظيم الذي يتنزّل تنزيلًا، أي: إنَّ المشركين كانوا يعتقدون أنَّ ما جاء به محمَّد -عليه الصَّلاة والسَّلام- لا يمكن أن يكون منه، وهنا كانت علامات الاستغراب تدور في أنفسهم كما تدور بينهم، وهم يتساءلون؛ فأنزل الله المعلومة حُجّة: {عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ} وستكون الشواهد على ذلك متوالية، وسيعلم الكفَّار بذلك شواهد دالة على أنَّه الحقّ المنزّل، {كَلَّا سَيَعْلَمُونَ} أي: إنَّ المعجز إن تمّ الاستفسار عنه فلا يبلغ إلَّا تنزيلًا، أمَّا الممكن فلا يبلغ إلَّا بحثًا معمّقًا.

ومن منطلق تحدّي الصِّعاب يجب تقدير الشّطحات العلميَّة؛ فهي في دائرة الممكن قد تؤدِّي إلى معرفة المجهول، أمَّا بالنّسبة إلى ما هو مستحيل فالشّطحات عندما تكون موضوعيَّة تمكّن من معرفته وإن قصرت عن معرفة الكيفيَّة التي هو عليها، ولكن عندما تكون الشّطحات غير موضوعيَّة؛ فهي بلا شكّ

[119] النبأ: 1 - 5.

ستزيد الهوة اتساعًا بين ما هو مستحيل، وما ينبغي للإنسان أن يتمكّن من معرفته وإدراكه.

ولذلك فالتّطلُّع وتحدّي الصِّعاب يُمكّنان البحّاث في كلِّ الميادين العلميّة النّاهضة من استقراء المستقبل وصناعته، ثمّ يمكّنان من تجاوزه ارتقاءً؛ ومن ثمّ إذا أردنا معرفة المستحيل وبلوغه استحالة فلا ينبغي لنا أن نضع إشارة (قفْ) أمام التفكير العلمي لبني آدم، بل ينبغي لنا أن نفكّر فيما نفكّر فيه حتى ننجزه عملًا متحقّقًا أمام المستحيل وآفاقه البعيدة، والذي بوجوده بعيدًا عنَّا يفسح لعقولنا مجالات التفكير فيه، والتمدّد تجاهه بلا موانع؛ فينبغي أن نفكّر في كلّ شيء، وبكلّ حرّيَّة مقدّرة، حتى نعجز، وحينها نعرفه مستحيلًا؛ ولذا فلا مستحيل قبل العجز، ومن ثمّ وجب البحث حتى بلوغ العجز الممكّن من معرفة المستحيل عن قرب؛ ولذلك خُلقنا.

ولأنَّنا خُلقنا لذلك فينبغي لنا أن نعمل، والمستحيل نصب أعيُننا، حتى ندركه عجزًا، وحينها ندرك إنَّ الارتقاء إليه يمدّنا بالثِّقة؛ حيث كلّ شيء ممكن، حتى وإن كان صعبًا وغير متوقَّع.

وعليه:

ـ التعرّف على المجهول يزيد المؤمن ثقة وإيمانًا بأنَّه لم يؤتَ من العلم إلَّا قليلًا.

ـ البحث عن المجهول يفتح آفاقًا واسعةً أمام المعارف الإنسانيَّة وينمّي الذَّاكرة ويحفّزها على المزيد.

ـ الانطلاق من المعلوم بحثًا علميًّا يمكّن البحاث من إضافة ما كان مجهولًا بالنّسبة إليهم.

ـ التعرّف على المجهول ليس بتعرّف على مفقود، بل هو التعرّف على الممكن الذي لم يسبق وجوده معرفة من قبل.

ـ التعرّف على المجهول ممكنٌ؛ فاسع حتى يصبح على يديك إضافة جديدة.

ـ البحث العلمي يكتشف المجهول ويضيفه إلى المعرفة جديدًا؛ فابحث حتى تكتشف المجهول.

ـ التعرّف على المجهول يستوجب صياغة تساؤلات فعليك بها صياغةً.

ـ الشّطحات العلميَّة تؤدِّي إلى الاكتشاف العلمي فلا تُقولب عقلك وفكّرك، ولا تقبل بوضع إشارة (قف) أمامك في أثناء قيامك بالبحث العلمي.

ـ فكّر فيما هو غير متاح حتى يصبح معلومًا بين يديك.

ـ ثق أنَّ وراء كلّ مجهول كمًّا كبيرًا من المجهولات؛ فلا تقنط.

الصَّبر على تحدّي الصِّعاب شجاعة:

مع أنَّ الصَّبر على تحدّي الصِّعاب شجاعة فإنَّ تحدِّي الصِّعاب لا يكون إلَّا من بعد تحدِّي الخوف الذي لا يكون إلَّا من بعد ألف حساب؛ ذلك لأنَّ الخوف لا يصنع المستقبل إلَّا إذا توافرت الشَّجاعة التي هي تصميم على الإقدام بعد صبر وحسابات موضوعيَّة، ولكن إنْ تمَّ التخلّي عن الإقدام بعدما توافرت معطياته الموضوعيَّة، تُصبح الصّفة السَّائدة هي الجبن، وفي مقابل ذلك عندما يكون الإقدام عن غير موضوعيَّة تُصبح الصّفة السَّائدة هي التهوّر، فالشَّجاعة تكون حيث لا يكون الظلم، والتهوّر قد يكون والظّلم معًا، فالشَّجاعة عقباها يُحمد، والجُبن عقباه يُذمّ، والتهوّر أصحابه يلامون، والشَّجاعة

قد تؤدِّي إلى الإقدام وقد تؤدِّي إلى الانسحاب وكذلك قد تؤدِّي إلى الإحجام؛ فالمتّصفون بها لا يقدمون إلَّا على ما يجب الإقدام عليه، وقد ينسحبون إذا عرفوا أنَّ الإقدام في مرحلة من مراحله سيؤدِّي إلى التهلكة، وقد يحجمون عن وعي لمعرفتهم بما يجب؛ ولذا فقيم الإقدام والانسحاب والإحجام لا تتمّ إلَّا بعد معرفة واعية بها يسترشد العقل.

ولسائلٍ أن يسأل:

هل الشَّجاعة مواجهة الخوف؟

أقول: لا شجاعة إلَّا والخوف قوَّة من ورائها يُحفّز على الإقدام، فلولا الخوف ما كانت الشَّجاعة، ولا مرشد للشّجاعة إلى غايتها إلَّا الخوف؛ ولذا ستكون الشَّجاعة ضالة لطريقها ما لم يرشدّها الخوف إلى الأهداف والغايات التي تستوجب الإنجاز والبلوغ.

إذن: لا يمكن أن تكون الأنفس ممتلئة شجاعة إن لم يكن الخوف قوَّة إثارتها، ومرشدها تجاه ما يجب أن يُنجز من أهداف وغايات عظيمة، فالخوف لا يكون إلَّا حيث تكون المخاطر استقراءً ومشاهدةً واستطلاعًا، فبه العقل يُدرِك ما يجب وما لا يجب، وبه يتمّ الاسترشاد الموضوعي إقدامًا أو انسحابًا أو إحجامًا.

ولأنَّه لا شجاعة إلَّا والخوف من ورائها، إذن فكلّما اشتدّ الخوف ازدادت الشَّجاعة شدّة، وكلّما انفرج الخوف انفرجت الشَّجاعة من شدّتها؛ ولذا فالعلاقة لا تكون إلَّا تكامليَّة بين الخوف والشَّجاعة. أمَّا العلاقة بينها والجُبن فهي علاقة تناقض؛ فحيثما يحلُّ الجبن تغيب الشَّجاعة؛ فالجبن خلاف الخوف؛ من حيث إنَّ الجبن مانعٌ للإقدام والانسحاب الموضوعيين، والخوف محفّز عليهما ومرشد إليهما تجاه ما يجب، فهو المنبّه

على مكامن الخطر وبؤر الفساد؛ لأجل القضاء عليها وتفادي مؤثراتها السَّلبيَّة، وما يترتّب عليها من مظالم.

فالخوف مُنبّه فطري للعقل؛ كي يتدارك الأمر قبل وقوع الكارثة؛ ولهذا فهو يؤدِّي إلى أخذ الحيطة والحذر كلّما توافرت الشَّجاعة، وفي مقابل ذلك لا يؤدِّي الجبن إلى أخذها.

والشَّجاعة موضوعيًّا لا تكون ظاهرة إلَّا في حُسن تصرّف الفعل، ولا علاقة لها بتلك العضلات المفتولة لدى البعض، فالكثير منهم متهوّرون وبعضهم جبناء وبدون شكّ منهم العقلاء (الشّجعان)؛ فالشَّجاعة في الفكرة والرَّأي المترتّب عليها والقرار المنفّذ لها. أمَّا التهوّر الاستعراضي فلا يؤدِّي بأصحابه إلَّا للتهلكة أو الخسارة في أسواق المنافسة الحرّة، فمن يتّخذ القرار الصّعب في الظَّرف الصّعب عن حكمة يوصف شجاعًا، ومن يتقدّم لفك الفتيل قبل الانفجار المؤدّي إلى التهلكة يوصف شجاعًا، وفي المقابل من يتبيّن خطورة ذلك عن معرفة واعية ويمتنع عن فكّه وهو قادر يوصف جبانًا.

وعليه: فالشَّجاعة قوَّة عقليَّة (تفكُّر وتدبُّر) تُقدِّم أعمال الخير وأفعاله الحِسان، وتُسهِم في صناعة التَّاريخ وتَرسيخ الهويَّة، وأصحابها يقبلون دفع الثَّمن مقابل جزاءٍ إنساني في مرضاة النَّفس والخالق تعالى.

والفرق كبير بين الشَّجاعة والتهوّر؛ فالشَّجاعة موضوعيًّا لا تكون إلَّا بحسابات الخوف، أمَّا التهور والجبن معًا فلا حِسابات في قاموسهما للخوف الموضوعي؛ ممّا يجعلهما يوقعان بأصحابهما في أوَّل المحاذير التي لو كان للخوف مكانه في قاموسهما لتمّ تفاديها.

والشَّجاعة لا تتحقّق إلَّا عن رويّة، وعاقبتها السَّلامة الممكِّنة من بلوغ السَّكينة، أمَّا التهوّر فلا علاقة له مع الرّويَّة، وعاقبته

النَّدم والألم معًا، ممّا جعل للشَّجاعة منطقًا، وجعل للتهوّر سذاجة.

ولمتسائلٍ أن يتساءل:

- لماذا الشَّجاعة عن منطق؟

- ولماذا التهوّر عن سذاجة؟

أقول: الشَّجاعة لا تكون إلَّا عن منطق؛ لأنَّها تستهدف إيجاد حلٍّ، وتؤسّس على سرعة التدبّر قبل تفاقم المشكل.

والتهوّر لا يكون إلَّا عن سذاجة؛ لأنَّه يؤدِّي إلى تأزمات؛ ولذا فهو المؤسّس على التسرُّع.

وعليه فالعلاقة الموضوعيَّة بين الشَّجاعة والخوف علاقة إقدام وتحسُّب وفطنة وانتباه وأخذ حذر، وصناعة مستقبل فيه السَّكينة والأمن. أمَّا التهوّر فلا نتائج له إلَّا فقدان الثِّقة بين الأنا والآخر؛ ممّا يجعل لكلٍّ حساباته عندما تحين الفرصة.

إذن: فالشَّجاعة لا تكون إلَّا إذا حلّت الثِّقة والأمن في النَّفس، أمَّا إذا رحلتا عنها أو قاطعتا الالتقاء بها، فلن يكون في النَّفس مكان يُحلُّ فيه إلَّا أماكن الجبن والتهوّر؛ ولذا فإنْ استقرّ الأمن في النَّفس، رحل الخوف عنها، وإذا فارقها الأمن، حلّ الخوف فيها، وسيظلّ حتى أن تبلغ الأمن وتسترجعه إنْ أرادت سكينة وطمأنينة؛ مصداقًا لقوله تعالى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ}[120]. أي: إن القرية كانت مملوءة بالعباد وخالية من الخوف، حاجاتها مُشبعة، ولم تكن في حاجة؛ حيث لا منقوص لديها، ومع ذلك

---

[120] النحل: 112.

كفرت فلم تُقدّر أنعم الله عليها، فألمَّ بها الجوع وحلّ الخوف في نفوس ساكنيها.

وهكذا النتيجة دائمًا كما يحلُّ الخوف محلَّ الأمن والسَّكينة والطّمأنينة هي تحلّ محلّه، وسيظلّ الحال هكذا مبادلة إلى أن يبلغ الإنسان مخافة الله فلا يخاف، أي: سيظلّ الخوف رفيقًا في أنفسنا إلى أنْ تتّقي الأنفس ربَّها خوفًا، فإذا اتَّقته خوفًا انعدم الخوف عنها وبقيت في سكينة آمنة مطمئنّة، وإن بلغتْ هذا المبلغ، بلغتْ بلا خوف مقاصدها.

وعليه: إنَّ الخوف وجوبي، سواء أكان خوفَ حذرٍ أم خوفَ حرصٍ، ولتبيان الفارق بينهما نقول:

أ ـ **خوف الحذر**: (الخوف من) الخوف من الآخر الذي يستوجب إعداد عُدّة؛ فالإحساس بالخطر يستوجب أخذ الحذر الذي يترتّب عليه أخذ الحيطة باختيارات المواجهة أو اختيارات الانسحاب، ولكن إذا لم يكن الأمر محسومًا لصالح أحد الاختيارين، يصبح التنسيق هو الحلّ؛ وذلك حسب التقديرات والاحتمالات الممكنة؛ فعلى سبيل المثال: الصِّراع بين العرب والإسرائيليين على الأرض أنتج الشّعور بالخوف المتبادل، خوف العرب من إسرائيل من أن تمتلك الأرض المحتلة، وخوف إسرائيل من العرب أن يخرجوها بالقوّة؛ ولهذا سيستمر الصِّراع ما دام الإحساس بالخوف مستمرًّا.

ولأنَّ الخوف قوَّة تفاعليّة في النَّفس تجاه الآخر وما يمكن أن يفعله فهو بطبيعة الحال قوَّة مؤثِّرة إيجابيًّا إن تمّ التخطيط لِما يجب أن يكون بديلًا أو حلًّا ليحلّ سكينةً وأمنًا بدلًا من ذلك الخوف؛ فالخوف على الحياة ممّا يلمّ بها من مخاطر يستدعي إعداد عُدّة؛ لتفادي تلك المخاطر، وإلّا في دائرة الممكن ستقع المخاطر لا محالة؛ ولهذا فالخوف الحذري تجنّبي وقائي.

ب ـ خوف الحرص: (الخوف على)، كالخوف على النَّفس والخوف على الآخر الذي لم يُقدِّر ظرفه وإمكاناته وما يجب أن يقوم به أو يؤدِّيه، وهذا النَّوع من الخوف لا يكون إلَّا من حريص لا متهوّر ولا جبان، ممّا يجعل الآباء والأمهات والمسؤولين المحترمين ومحبّي الخير حريصين كلّ الحرص على ألَّا يلحق أذى بأبنائهم وبني جنسهم ومن ينتمي إليهم قيمًا وفضائل.

وسيظلّ هذا الحال كلَّما توافرت اشتراطات وجود الخوف الذي يترتّب عليه بالضَّرورة وجود خائفٍ ومخيفٍ. وعندما يحسّ أيِّ طرف على أيِّ بقعة من خريطة العالم بأنَّ هناك مَنْ يشكل خطرًا عليه؛ فقد يبادر هذا الطَّرف الذي يحس بالخطر بالهجوم على مصدر الخوف؛ ليباغته بضربة قاصمة يمكن أن تضعف الخصم وتعيده إلى طاولة المفاوضات (طاولة التنسيق)[121].

ومع ذلك يظل كما سبق أنْ قلنا: إنَّ لكل قاعدة استثناء، فمباغتة العدو عندما يكون غافلًا حدثت وستحدث وهذه قاعدة، ولكن كيف تتم مباغتة العدو أو الخصم وهو غير غافلٍ؟

نقول: لكلِّ عدّته؛ ولهذا فإنَّ إعداد العُدَّة مع الاستعداد والتهيّؤ والتأهُّب قد تجعل من الفُرص فرصة سواء اكانت الفرصة المباغتة تفاوضًا، أم التنازل غير المتوقّع في مقابل ما يعوّض ذلك بما هو أهم وأعظم، أو الهجوم مع قبول دفع الثّمن وهذا الأمر يحدث عندما تكون العدة الهجوميّة متفوقّة على عُدّة من يستم الهجوم عليه، وهنا تكون المباغتة بالعدّة وليس بالخطة.

121 121 عقيل حسين عقيل، الخوف وآفاق المستقبل، شركة الملتقى، بيروت، 2011م، ص 67 - 80.

الصَّبرُ درايةً:

مع أنَّ الدِّراية وعي يقيني فإنَّها لن تكون على الكمال والتمام إلَّا من بعد صبر وطاعة للحقّ بلا تردّد؛ ولهذا فالدِّراية إلمام رفيع بالمدرى به مع وافر المقدرة والاستطاعة، ولا مضاد لمفهوم الدِّراية إلَّا الأميَّة، التي كانت صفة للنَّبي محمَّد عليه الصَّلاة والسَّلام، قبل أن يتم إنباءه بالمدرى به، والذي من بعده أصبح النَّبيّ المدري بعلم السَّماء يقينًا.

والدِّراية لا تكون إلَّا بعلم الغيب مِن عالم الغيب، وهو العلم الذي لا يُمكن معرفته إلَّا بالنَّبأ المنزَّل على الرُّسُل الكرام عليهم الصَّلاة والسَّلام.

أمَّا الدِّراية على مستوى العموم فهي مقدرة متميّزة تُمكّن أصحابها الذين تميّزوا بها من اتخاذ المواقف الصَّعبة صبرًا وصوابًا؛ وذلك بعد معرفة وإلمام بالموضوع الذي كلّما ترتّبت عليه المواقف كانت تلك المواقف عن وعيٍ يُمكِّن من قبول النتائج التي ستكون من خلفها مرجوة؛ كونها المستهدفة بتلك الخطط والإستراتيجيَّات التي ترسم من قبل أهل الدّراية والمعرفة القادرين على حصر الإمكانات وتسخيرها مع تلك الطَّاقات الهائلة؛ بغاية نيل المأمولات التي من أجلها كانت الدّراية.

ولأنَّ علم الغيب بيد عالم الغيب والشَّهادة فلا إمكانيَّة لمعرفة شيء منه إلَّا وحيًا يُوحى: {يَسْأَلُكَ النَّاس عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا}[122]. أي: مع أنَّ الله قد أظهر للنَّبي محمَّد -عليه الصَّلاة والسَّلام-ما أظهره عليه من وحي مُنزَّل، فإنَّه لم يظهره على كلِّ الغيب وعلمه؛

[122] الأحزاب: 63.

ومن هنا فإنَّ علم السَّاعة ما زال علم غيب ولا دراية لنا به مع علمنا وتسليمنا.

إذن: الدِّراية هي العلم بالشّيء يقينًا، وعن وعي واستطاعة، وهي الدَّالة على إحداث النُّقلة من حالة الأميَّة إلى حالة الإلمام بالعلم المنزَّل.

والدِّراية لا تكون إلَّا استنارة بعلمٍ كان مجهولًا كما تستنير الظُّلمة بنورٍ يضيء مساحتها وإنْ عظمت.

ولهذا فإنَّ علم الدِّراية لا أميَّة فيه أبدًا؛ ومن ثمَّ فإنَّ مفهوم الأميَّة يعطي مفهومًا مضادًّا لمفهوم الدّراية، وفي المقابل يصبح مفهوم العلم مضادًّا لمفهوم الجهل؛ ولهذا مع أنَّه لا وجود لأمَّة أميَّة بعد الرِّسالة الخاتمة والرَّسُول الخاتم، فإنَّ الجهل بين أفراد الأمم قيدٌ على كلِّ بداية ونهاية.

والأمَّة الجاهلة هي الأمَّة التي تعيش التخلُّف ولا تُدرِك الحالة التي هي عليها من تخلّفٍ، وهي التي لم تأخذ بأسباب العلوم ولا تسهم في إحداث النُّقلة وبلوغ الأمل ونيله درايةً.

ومع أنَّ الأميَّة على العقل قيدٌ صلبٌ فإنَّ الدّراية قادرة على كسر قيدها؛ وذلك كما كسرت أميَّة النَّبيّ محمَّد -عليه الصَّلاة والسَّلام-الذي كان قبل الوحي أميًّا والذي أصبح من بعده نبيًّا مدريًا.

وإذا أردنا أن نكسر قيد الأميَّة معرفةً فعلينا بتحديد المفاهيم ذات العلاقة بها وما تقيّده من مفاهيم متضادّة، والتي سبق تبيانها في كتبنا السَّابقة، ومنها:

- **الجهل** في مواجهة **العلم** (الجهل قيد دون العلم)؛ والجهل لا يعني عدم المعرفة، بل يعني أنَّ جزءًا كبيرًا من المعرفة غائبٌ؛ فالذي يعلم بمحمَّدٍ رسولًا، ولا يعلم عن رسالته إلَّا قولًا

مسموعًا يعدُّ جاهلًا، وليس بأميٍّ؛ ذلك لأنَّ الجاهل هو من تحوطه العلوم والمعارف والأنباء ولا يسعى إلى معرفتها، ومن هنا يعد غزو الأميَّة في مواجهة غزو الدِّراية (ولا اشتقاق مفهومي من الأميَّة إلَّا مفهوم عدم الدِّراية).

ولذلك فالجهل صفةً يلحق من لم يبحث عن المتوفَّر والموجود ليستفيد منه نهضةً وعلمًا؛ ومن هنا يوصف الجاهل بجهله؛ لكونه على الغفلة عمَّا يجب أن يقدم عليه باعتباره في حيّز الوجود متاحًا، ومع أنَّه المتاح فلا يسعى إليه؛ ولهذا فإنَّ الموجود دائمًا في حاجة لمن يسعى ويصبر على السّعي إليه ويقبل بتحدّي الصِّعاب التي لولا الجهل ما كانت صِعابًا.

ـ **الشَّك** في مواجهة **اليقين** (الشَّك قيد دون اليقين) بمعنى أنَّ الحقيقة القابلة للمشاهدة أو الملاحظة ستكون في حالة الشَّك حتى تُقَدَّم بين اليدين حُجّة، أو أن تتم البرهنة عليها بالحجّة كدليل قاطع للشَّكِّ، أمَّا اليقين فهو رسوخ معرفي حيث لا غموض يحفُّهُ.

ـ **الغفلة** في مواجهة **الانتباه** (الغفلة قيد دون الانتباه) والغفلة لا تكون إلَّا في حالة غياب الانتباه عمَّن يجب أن يكون منتبهًا، مما يجعله خارجًا عن دائرة التركيز صبرًا، وفي المقابل الانتباه هو تركيز العقل على ما يمكن أن يكون خاضعًا للملاحظة والمشاهدة دون فوات لأيَّة كبيرة أو صغيرة في أثناء إجراء عمليتي: المشاهدة والملاحظة.

ـ **الوعي** في مواجهة **الغيبوبة** (الغيبوبة قيد دون الوعي) الوعي صحوة يجعل الإنسان العاقل على المتابعة والفطنة في مقابل تلك الغيبوبة التي تحيد به عن الوعي بنفسه ومَن حوله وما يجب.

ـ **الضَّلالُ** في مواجهة **الهداية** (الضَّلال قيد دون الهداية) أي: إنَّ الضَّلال لا يكون إلَّا في حالة الحياد عمَّا يجب الأخذ به والصَّبر عليه والتمسّك به، وفي المقابل الهداية تعني مما تعنية الأخذ بما يجب بعد أميَّة أو ضلال عمَّا يجب الأخذ به واتباعه.

ـ **التيه** في مواجهة **المعرفة** (التيه قيد دون المعرفة)؛ ذلك لأنَّ التائه هو الذي ليس له من الدّليل شيءٌ ليستدلّ به على الشَّيء معرفةً؛ ممَّا يجعله في حاجة لمرشد يرشده أو يدلّه إلى الاتجاه الذي يعيده أو يمكّنه من بلوغ هدفه أو مقصده.

ـ **الدِّرايةُ** في مواجهة **الأميَّة**: الدِّراية هي التي تُحدث النُّقلة من حالة دنيا إلى حالة عليا، وهي إلمام معرفي بلا نواقص، وهي الممكِّنة مِن معرفة العلاقة بين السّماء والأرض، وهذه خاصيّة خصَّ الله بها الرُّسُل والأنبياء الكرام -عليهم الصَّلاة والسَّلام-وحيًا وإنباءً.

والدِّراية لا تكون استنارةً إلَّا من بعد الإلمام التَّام بما ينبغي الإلمام به، وأنَّ المدرى به سيكون قيدًا على من التزم به أوامر ونواهٍ؛ ولذا فالدّراية رفعة عن كلِّ ما من شأنه أنْ يؤدِّي إلى الانحدار والسُّفليَّة؛ وذلك بغاية بلوغ ما يُمكِّن من إحداث النُّقلة، التي:

ـ تغذي الرّوح نشوة.

ـ تطمئن النّفس سكينة.

ـ تخاطب العقل دراية.

ـ ترضي القلب يقينًا.

ـ تشبع البدن حاجة.

ـ تزيد الذّوق رفعةً وارتقاءً.

وعليه: فإنَّ الحياة الدُّنيا وبما فيها من دراية عقليَّة، إذا ما قورنت بتلك الحياة العليا لا تزيد عن كونها حياة الحاجات المنقوصة، وحياة الفتن والعداوات التي بدأت أوَّل ما بدأت بين الأخوين (ابني آدم)، ثمّ اتّسعت وتكاثرت مع التكاثر فأصبح الصِّدام والاقتتال انحدارًا بين بعض النَّاس، وفي المقابل يرتقي بعضهم رفعة؛ فآدم الذي خَسِرَ ذلك الموقع الرّفيع، أصبح يأمل العودة إليه درايةً؛ ولذلك فقد سعى استغفارًا وتوبة أهَّلته لأن يكون نبيًّا يُنبئ بما عُلِّم به من قِبل خَالقه؛ ومن ثمّ فلا مكان له بعد النبأ العظيم إلَّا الجنَّة، التي لا تبلغ ارتقاء إلَّا بالعمل الصَّالح عقلًا ودرايةً.

ولذلك أصبح العمل ارتقاءً أمل المصلحين السَّاعين إلى الكسب الحلال بلا حدود؛ والسَّاعون ارتقاءً مهما بلغوا من المراتب والقمم فهم يأملون مراتب عظيمة من بعدها قمّة أعظم؛ ولهذا وجب اتقان العمل إخلاصًا ودرايةً، حتى الارتقاء بالأرض الدُّنيا ورتقها في السَّماء جنَّة.

وعليه: وجب العمل الممكِّن درايةً من بلوغ الأحسن وغزوه ارتقاءً، شريطة ألَّا يكون التحسّن على حساب إشباع حاجات الغير، بل ينبغي أن يكون العمل تُرسًا من تروس عجلة الحياة العامَّة؛ ذلك أنَّ الارتقاء الممكّن من العمل المرضي لا يُمكن أن يتحقّق والغير يتألم؛ فالعمل وفقًا لأهداف الحياة ينبغي أن يكون من ورائه غرضٌ خاصٌّ وهو: إحداث النُّقلة عن درايةٍ، وغرض عام يُحفِّز الآخرين ويدفعهم للرّفعة، وإلَّا فألم الغير لن يفسح الطّريق أمام من يسعى إلى الارتقاء غاية وهو لا يدري.

ومن هنا فإنَّ بني آدم في دائرة الممكن هم بين متوقَّع الارتقاء عقلًا ودرايةً، ومتوقَّع الدُّونيَّة غفلةً وشهوةً، ومن جهة أخرى هم يتبدّلون؛ إذ لا ثوابت؛ فمنهم من يبقى على الارتقاء،

ومنهم من يتخلّى عنه قيدًا، ومنهم من نراه في دونيَّة، ولكن من بعدها يبلغ القمم ارتقاءً؛ ولذلك ينبغي العمل مع بني آدم من حيث هم؛ من أجل الارتقاء بهم إلى ما ينبغي أن يكونوا عليه درايةً واستنارةً.

ومن ثمَّ ينبغي على بني آدم عند رسم السّياسات أن يجعلوا وراء كلّ هدف غرضًا، من ورائه أغراض تحقّق لهم المكانة والرّفعة، أي: تحقّق لهم المكانة الشّخصيَّة قدوة، وتحقّق لهم الكرامة الآدميَّة فضيلةً، وتحقّق لهم العيش السَّعيد قيمةً، ولكن إن لم يعملوا ويفعلوا فلا شيء لهم إلَّا البقاء على الرّصيف بين حاجة وشُبهة، وهنا يكمن الانحدار دونيَّةً.

إذن: فعلى العقل الآدمي درايةً أنْ يعي إمكانيَّة بلوغ السَّماء ارتقاءً كلّما عمل وفقًا لأهداف تنجز، وأغراض تتحقّق، وغايات يتمّ بلوغها، ومأمولات يتمّ نيلها، ولكن إنْ أحسّ العقل وهو منفردٌ بشيءٍ من التّعب، فعليه بوضع اليدين مع الأيدي صعودًا وارتقاء.

فالارتقاء عقلًا ودرايةً مثل المعمار ينبغي أن يُبنى لبنة فوق لبنة (قيمة فوق قيمة، وفكرة من بعد فكرة، وهدفًا فوق هدف، وغرضًا فوق غرض، وغاية من فوقها غاية، وأملًا من بعده مأمول أعظم)، ولكن في المقابل هناك من يهدم المعمار رأسًا على عقب، وهناك من يهدّه لبنة بعد لبنة، فالصّراع بين بني آدم لن ينتهي بين البناةِ ارتقاءً، والهادمين له انحدارًا؛ ولأنَّ الخالق خَلقنا على الاختلاف فلا بدَّ أن نظل عليه مختلفين: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاس أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ}[123]، ولهذا فالصّراعُ والصّدامُ بين أهل

---

[123] هود: 118، 119.

العقول والدِّراية وبين أهل الشَّهوة والتمدُّد على حساب الغير سيظل قيدًا ساريًا بين حقٍّ وباطلٍ.

ولذا فإنَّ الاختلاف الذي خُلقنا عليه وسنظل عليه مختلفين قيمة خيّرة، هو: اختلاف التنوَّع المشبع للحاجات المتطوّرة عن رغبة وإرادة، ولكن هذا الإشباع لا ينبغي أن يكون على حساب ما يشبع حاجات الآخرين؛ ولذلك يجب أن تحدّد الأهداف والأغراض والغايات بعيدًا عن كلِّ ما من شأنه أنْ يؤدِّي إلى الخلاف الذي فيه الاقتتال والفتنة، أي: ينبغي عقلًا ودرايةً أن تحدّد الأهداف وفقًا لما يجمع شمل المتفرّقين خِصامًا، ويحلّ تأزّماتهم، ويشبع حاجاتهم المتطوّرة عدلًا وارتقاءً ونُقلة.

ومن أجل الارتقاء قمّة ينبغي الابتعاد عمَّا يؤدِّي إلى الاقتتال والفتن، فالاقتتال والفتن قيود وضياع فرصة، والزّمن قد لا يعطي الفرصة مرّتين، ومن ثمَّ يجب عدم إضاعة الفرص كلّما سنحت الظّروف دراية واستنارة، ومن يضيّعها سيجد نفسه على غفلة من أمره، وحينها لن ينفعه النّدم، فالنّدم قيد وعندما تضيع الفرص قد يؤدِّي بأصحابها إلى الهاوية، ولكن إن كانت الفرص لا زالت سانحة فقيد النّدم دراية يؤدِّي إلى تصحيح المواقف الخاطئة بمواقف صائبة، أي: متى ما غلبت الشَّهوة عقل الإنسان وغزته انحدارًا انحدر غفلة، ومتى ما قوي عقله وغزته الدِّراية تذكَّر، فاتّعظ واعتبر، ومتى ما تدبّر عمل وأنتج، ومتى ما فكّر درايةً حدّد أهدافًا من ورائها أغراض، وغاية من ورائها مأمول يتم نيله.

إذن: وجب التدبُّر درايةً بما يبعد بني آدم عن الجلوس على رصيف المتسوّلين؛ فالتسوّل يؤخّر أصحابه عن الالتحاق بأهل العقول والدّراية، وفي المقابل لا ينبغي أن تجرّ العاطفة أصحابها إلى دعم مواقف المتسوّلين (الذين يتخذون التسوّل

مصدرًا للعيش)، بل العقل المتدبّر لأمره يجب أن يدفع أصحابه إلى ما يُمكّن المتسوّلين من المشاركة في العمل المنتج، الذي يحفّزهم على تنمية قدراتهم وتوجيهها وفقًا لما يحقّق لهم الارتقاء نهضة ورفعة، فيخلّصهم من التسوّل إرادةً وعملًا، وكذلك لا ينبغي أن يضع بنو آدم أنفسهم في مواقف الاستعطاف، ولا ينبغي لهم الأخذ بالعاطفة فيما يؤسّس إلى ترسيخ الفضائل والقيم وبناء الدّولة، فرجالات الدّولة كلّما أخذتهم العاطفة أخّرتهم عن إنجاز الأهداف السّامية، والأغراض الرّفيعة، والغايات العظيمة، والمأمولات قمّةً وارتقاءً.

فرجالات الدَّولة عقلًا ودرايةً هم من لا تأخذهم العصبيّة؛ ذلك لأنَّ العصبيّة قيدٌ ومقبرة للذين لا يعلمون، فرجالات الدّولة درايةً وارتقاءً كلّما حكموا عدلوا، وكلّما قالوا صدقوا، وكلّما عاهدوا أوفوا، وكلّما كَبِروا تواضعوا، أمَّا المدّعون لذلك فهم مع كلّ هبَّة ريح يميلون، وهنا تكمن علّتهم وسُفليَّة الدَّولة ودونيَّتها.

فقيام الدَّولة ورفعتها ارتقاءً لا يكون إلَّا عن عقلٍ ودرايةٍ؛ ولهذا ينبغي أن يتمَّ استهداف رجالات بعينهم لإدارتها وفقًا لما هم عليه من مكانة ودراية وخبرة وتجربة، ومع ذلك ينبغي أن يتم إخضاعهم للتقييم قبل أن يتمّ اختيارهم إلى مناصب إداراتها، وكذلك فهم بعد الاختيار يقوّمون كلّما حادوا عن الدّراية قيمًا وخُلقًا؛ وذلك **أوَّلًا**: بهدف إعادتهم إليها ارتقاءً، **وثانيًا**: محاسبة مَن انحرف منهم عن قيم حَمْل المسئوليَّة التي تم اختيارهم إليها إرادة.

ومن ثمّ فمن يرى نفسه رجل دولة فعليه باختبار نفسه وتقويمها قبل أن يُختبر ويقوّم من قِبل الغير.

فبنو آدم سواء أكانوا رجالات دولة، أم مواطنين كرام يدركون أنَّ السَّبيل إلى النّجاح هو الارتقاء عن كلّ شيء يؤلم، أو يؤزِّم العلاقات، أو يؤدِّي إلى تفكّك اللحمة الاجتماعيَّة، أو الوطنيَّة، أو الإنسانيَّة، أو يمسّ معتقدًا دينيًا، ومع ذلك فهناك مَن يجهل ويغفل، فيقع في فخّ مصيدة الغاوين والمزيّنين والمضللين، التي تزداد ضيقًا على رقاب من يقع في فخّها كلّما حاول أن يرى نفسه غير مختنقٍ.

ومع أنَّ للألم أوجاعًا، وللتأزّم أوجاعًا، فإنَّ أكثر الأوجاع بين بني آدم ما يتركه الغدر والخيانة من ألم، فآلام الغدر والخيانة لا تموت، حتّى وإن سامحك من أجرمت في حقّه؛ ولذلك وجبت الدِّراية وأخذ الحيطة والحذر، حتى لا يحدث الوقوع في فخّ المصيدة مرّتين.

أمَّا الحقد بين بني آدم فهو مثل حطب نار جهنَّم يحترق قبل أن يحرق غيره، أي: إنَّ نار الحقد تحرق أوَّل ما تحرق حطبها (الحاقدين)؛ ولذلك فالحقد يُلهي الحاقد من بني آدم في نفسه، والحاقد في حقيقة أمره هو مَن في حاجة لمن يطفئ عنه النَّار التي بها نفسه تحترق، ومن ثمّ فمن يعتقد أنَّه إذا تمكّن من عضّ يد أحد وعضّها، فلا شكّ أنَّ عضَّ اليد يفكر الآخر في أنيابه إن لم تكن له مخالب.

ولذا فإنَّ حُرقة الجهل والظّلم والعدوان والكيد والمكر والحسد عندما تشتعل نيران غضبها بين بني آدم فلا سبيل لهم إلَّا الرّكون للتخلّف قيدًا، وفي المقابل الشّعوب التي تغزوها الدِّراية يرتقون علمًا ومعرفةً وتسامحًا وخبرةً وتجربةً، حتى يغزوا الأرض سلامًا، ويغزوا السّماء بحثًا وارتقاءً.

إذن: فبنو آدم بلا عقل ولا دراية وبلا أمل لا يعدّون إلَّا أمواتًا وهم على قيد الحياة، والذين يأملون الارتقاء ولا يعملون

من أجله فسيبقون على أملهم وكأنَّهم بلا أمل، أمَّا البعض الذي يأمل ويعمل ويفعل مع وافر الصَّبر على عمله تحدٍ فلا شكّ أنَّه سيُسهم في إحداث النُّقلة درايةً وارتقاءً، وفي المقابل هناك مَنْ يهدم وهو لا يعتقد أنَّ الهدم سيقع على رأسه وكأنَّه بلا رأس.

وهكذا بلا عقول ولا دراية هناك من يصدّق كلّ ما يقال، ثمّ يحمّسه بين بني آدم مثلما يحمّس القمح في الحمّاس؛ ولذلك لا ينبغي أنْ يكون بنو آدم سماعيّين فيصدّقون كلّ ما يقال، بل عليهم بالتذكّر اتعاظًا، وعليهم بالتدبّر تحليلًا وتفسيرًا وتخطيطًا وسلوكًا وعملًا، وعليهم بالتّفكّر دراية من أجل ما يجب؛ حتى يتمكّنوا من الارتقاء من خلال ما يمارسونه من حقوق عن رغبة، وما يؤدونه من واجبات عن إرادة، وما يحملونه من مسئوليَّات وهم متحمّلون كلّ ما يترتّب عليها من أعباء جِسام.

وعليه: مع أنَّ بنو آدم وهم تحت قيد العقل وغزو الدِّراية يصلحون أحوالهم ويعفون ويصفحون من أجل بلوغ ما يأملون رفعة وقمّة، فإنَّهم في حاجة للمزيد المعرفي الممكِّن من زيادة الارتقاء قمّة، وخير وسيلة لذلك المزيد من البحث العلمي والمعرفي في الكون المتسارع اتساعًا وتمدّدًا.

والارتقاء بالنّسبة إلى بني آدم هو أملٌ قابلٌ لأن يتحقّق ويتمّ بلوغه، ولكنَّ مفهوم الارتقاء غاية لا يتّضح إلّا بمقارنة بين العُليا والدُّنيا؛ فالعُليا هي السّماء وما فيها من نعيم الجنَّة وبقاء الحياة، أمَّا الدُّنيا فهي الأرض وما عليها من مخلوقات وزوال الحياة؛ ولذا فبين هذا وذاك وجد الإنسان نفسه بين التّخيير تارة، والتّسيير تارة أخرى؛ فالتّخيير (تؤمن أو لا تؤمن، تعمل صالحًا أو تعمل طالحًا، تَصدُق أو تكذب أو تنافق أو تدّعي ما تشاء....)، أمَّا التّسيير فلا خيار لأحدٍ فيه (حياة أو موت، شروق

أو غروب، برق ومطر ورعد وصواعق وزلازل وبراكين وتمدّد كوني متسارع، ومفاجآت عظيمة....).

ولهذا فالارتقاء قمَّة يُمكّن بني آدم عقلًا ودرايةً من العيش الرّغد في الحياة الدُّنيا (الزَّائلة) ويمكنّهم من العيش السّعيد في الحياة العليا (الباقية)، فبنو آدم عقلًا ودرايةً لا يقصرون أملهم على الحياة الزّائلة، التي يصرّون على أخذ نصيبهم منها، بل يقيّدون أمل عيشهم فيها بأمل العيش في الحياة الدَّائمة؛ ومن هنا فهم يعملون ويسعون إلى بلوغ المزيد المرضي ارتقاءً مع وافر الصّبر وقبول دفع الثَّمن تحدّيًا؛ وذلك بغاية نيل المأمول والفوز به نهضةً وبناءً وعملًا به تتغيّر أحوال النَّاس رفعةً سياسيَّةً واقتصاديَّة واجتماعيَّة وثقافيَّة ونفسيَّة وذوقيَّة[124].

الميلُ عن الدِّراية حياد عن الصَّبرِ:

مع أنَّ الدِّراية تستوجب الأخذ بالمدرى به، فإنَّ البعض عن الدِّراية يميل ويحيد اعوجاجًا وانحرافًا، أي: مع أنَّ الدِّراية تُمكِّن من الوعي، فإنَّ البعض مع أنَّهم يعرفون الحقّ فإنَّهم عنه يحيدون.

ومع أنَّ مفهوم الدِّراية يعني: الاستقامة والرّجاحة (رأيًا وعلمًا ومعرفةً واستنارةً) فإنَّ بعض النَّاس قد مالت عقولهم وحادت عن الدِّراية، فبنو آدم على الرّغم من خَلقهم في أحسن تقويم، وعلى الرّغم من اصطفاء واجتباء الأنبياء والرُّسُل منهم، وبعثهم إليهم؛ فإنَّهم لم يُخلقوا على الكمال، وهنا تكمن العلّة، التي تجيز ارتكاب المخالفات والمعاصي وارتكاب

[124] عقيل حسين عقيل، الدِّراية من الأمر إلى الطاعة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 2022م، 6 – 16.

الخطايا التي منها ما يُغتفر، ومنها ما لا يُغتفر؛ ولذا فهم يقعون بين اختياراتهم المسئولة (عن دراية) وغير المسئولة (بلا دراية)؛ فإن كانت اختياراتهم مسئولة حفّزت ودفعت تجاه كلّ ما يحققّ لهم الارتقاء قمّة، وإن كانت اختياراتهم غير مسئولة حفّزت ودفعت تجاه ما يؤدِّي بهم إلى الانحدار والدّونيَّة، ومن هنا يلد الخلاف خلافًا، فتشتدّ الخصومات والصّدامات بين من يرى المسئوليَّة ارتقاء، وَمَنْ لا يرها إلَّا سلبًا ونهبًا وعبثًا.

ولذلك عندما تغيب المسئوليَّة درايةً، يحضر الفساد والسّلب والنّهب والغدر والاقتتال المؤدِّي إلى الدُّونيَّة، ولأنَّ بني آدم لم يُخلقوا على الكمال؛ فكان الضّعف فيهم رغبة وشهوة؛ حيث اختياراتهم بأيديهم: {وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا}[125]، أي: إنَّ الضّعف والوهن هما مكمن العلّة الآدميَّة فمن يقوى من بني آدم ينهض ويرتقي درايةً، ومن يضعف يستكين ويعوجّ انحرافًا بلا درايةً؛ ولهذا بعث الله الأنبياء والرُّسُل الكرام يرشدون إلى ما يؤدِّي إلى القوَّة والارتقاء رحمة وعن دراية؛ فكان نوحٌ آية وبين يديه آيات النّهوض ببني آدم إلى ما يجب أن يكونوا عليه قمّة، ولكن معظم بني قومه كان الضّعف فيهم آية، فكذّبوه وكفروا به، وبما جاءهم به هداية وعن دراية.

فتلك الفترة التي بُعث إليها آدم نبيًّا قد انتهت، والخلاف على أشدّه بين بنيه الأوائل فبعث الله نوحًا لهدايتهم، ولكن شدّة الخلاف كانت عائقًا أمام هداية كثيرين منهم، فكان الطّوفان حلًّا فاصلًا بين من اتبع الحقّ هداية ودراية، ومن ضلّ عنه ضعفًا وانحرافًا وشهوة: {قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ}[126].

---

[125] النساء: 28.

[126] هود: 40.

فالقليل هم الأقوياء الذين ارتقوا إلى ما يُمكّن من النّجاة، أمَّا أولئك الضّعفاء فغرقوا ضعفًا ووهنًا.

وظلّت الحياة بعد الطّوفان العظيم مَحبَّة ومودّة بين بني آدم الذين نجوا هداية وقوَّة وارتقاء دراية، ولكن لأنَّ الذين أُهبط بهم ظلوا على الأرض الدُّنيا على ما هم عليه من خلاف، فالخلاف قيدًا بين بني آدم لا مهمّة له إلَّا إيقاد نار الفتنة، وهنا تكمن علّة الضّعف والوهن الآدمي؛ حيث بقاء الشَّهوة والرّغبة الجامحة في نفوس من خلف بعض النّاجين؛ ممّا ولّد فيهم ما ولّد من خلافات وانحرافات وشدائد وتأزُّمات، وكأنَّ الطّوفان لم يحدُث آية، فضلّ من ضلّ إلى أن بعث الله إبراهيم نبيًّا ورسولًا، ثمّ بعث من بعده من بنيه أنبياء عظامًا؛ فكان خاتمهم محمَّد -عليه الصَّلاة والسَّلام- نبيًّا ورسولًا بالرّسالة الخاتمة، وللنَّاس كافَّة، ولا إكراه في الدّين؛ حيث تبيّن الرُّشد من الغي.

أمَّا بعد انتهاء فترات بعث الرُّسُل -صلوات الله وسلامه عليهم- فقد أصبح الأمر بين أيدي بني آدم وفقًا لرؤاهم ومدى ارتقائهم وأخذهم بالفضائل الخيّرة عقلًا ودرايةً؛ ولذا في زمن الرُّسُل لا وجود للأنظمة الحاكمة، بل الأمر كان بين السّماء والأرض إنباء ورسالات (أنبياء ورُسُل)، أمَّا ما بعد الرِّسالات والرُّسُل فأصبح الأمر بين النَّاس شورى، وفقًا للإرادة والرّغبة والمقدرة والحاجة والحُجَّة العقليَّة وعيًا ودرايةً: {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ}[127]، والشورى هنا لم تكن خاصَّة بالمسلمين، بل هي الحلّ؛ فمن شاء الحلّ فعليه به ديمقراطيَّة وشفافيَّة بلا مكاره.

ومن هنا كان الاختلاف والخلاف في معظمه بين مَن يحكم مَن، ومَن يأخذ بما أنزلت به الرّسالات الخالدة قيد عقل ودراية،

---

[127] الشورى: 38.

ومن يتخلّى عنه دونيَّةً وانحدارًا، وبين من يرى الحريَّة؛ حيث لا إكراه، ومن يرها تمدّدًا خارج الحدود، ومن يرها لا تكون إلَّا وفقًا لما يفيد الأنا قيدًا، أو طائفته، أو قبيلته، أو حزبه، أو مدينته، وفي المقابل هناك من يرى الحرّيَّة تمكن من العدالة التي يستظل الجميع تحت مظلتها؛ حقوق تمارس، وواجبات تؤدّى، ومسئوليَّات تُحمْل، وبين هذا وذاك لا يزال بنو آدم مختلفين وسيظلّون إلَّا من رحم ربّك.

ولأنَّ الاختلاف لن ينتهي بين بني آدم، إذن فسيظل بينهم حيثما بقوا على أرض الاعوجاج قيدًا، ولا استغراب أن يخالف بعض النَّاس بعضًا، ولا استغراب أن يتصادم بعضهم مع بعضٍ، ولكن الاستغراب ألَّا تُصحّح المعلومات الخاطئة بمعلومات صائبة تُصلح المعوجّ وتدفعه تجاه الحلّ دون هيمنةٍ وقيودٍ؛ أي لا ينبغي أن يُلغى الاختلاف، بل ينبغي أن يلاحق الاختلاف حلًّا حيثما حلّ.

وعليه:

في زمن الرّسالات والأنبياء الكرام كان الحلّ يتنزّل على الأقوام والأمم والكافّة من السّماء، أمَّا في الزّمن الذي بعد رسول الكافَّة فلا نبيّ ولا رسالة بعد الرّسالة الخاتمة، فكلّ شيء قد أنزل، وبقي الأمر بين النَّاس شورى سواء أكان أمر النَّاس سلمًا أم حربًا، أم سياسةً داخليَّةً، أم سياسةً خارجيَّةً، ومن ثمَّ فما يتّفق عليه مَن يتعلّق الأمر بهم يُقدّر ويحترم ويعتبر، ثمَّ يُقرّ ويؤخذ به عملًا وفعلًا وسلوكًا، وفي المقابل لا يؤخذ بما يخالفه؛ لكونه معوجًّا.

ولذلك فالاختلاف والخصام والجدال والصّدام في زمن الرُّسُل قد تأسّس على الفضائل الخيّرة معها أو ضدّها، وهي الفضائل التي لا تستمدّ إلَّا ممّا أنزل من عند الله؛ إذ: {لَا إِكْرَاهَ

فِي الدِّينِ} [128]، و {وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ} [129]، و {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} [130]. هذه الآيات تقرّ الأخذ بالفضائل وجعلها سُنن جيل بعد جيل، إنَّها الفضائل التي لا تكون إلَّا ارتقاءً إنسانيًّا؛ ذلك لأنَّها فضائل طي الهوة التي تُختلق بين الحين والحين بين بني آدم علّة وعدم دراية.

أمَّا بعد اختتام الرّسالات والرُّسُل فأصبح للقيم الاجتماعيَّة تقدير ومكانة إلى جانب تلك الفضائل الإنسانيَّة، أي: أصبح للخصوصيَّة الاجتماعيَّة أهميَّة ومكانة، ولتنوّع اللغات أهميَّة ومكانة، ولما يختاره ويقرّه النَّاس أهميَّة وضرورة، ومن ثمّ أصبح للدّساتير والقوانين المنفّذة لها أهميَّة مقدّرة بين الأمم والشّعوب؛ ولذلك فالأخذ بالقيم الحميدة يؤكّد أهميَّة تلك الفضائل الخيّرة في ترسيخ قيمة الإنسان وحفظ كرامته من خلال عدم إكراهه بأيّة علّة، ومن خلال مشاورته في كلّ أمر يتعلّق به وبمصيره، وفي المقابل من يغفل عن أهميَّة ذلك سيجد نفسه شريكًا في كلِّ ما يؤدِّي إلى الفتن والانقسامات والصّدمات المؤلمة التي لا تكون إلَّا على أيدي المعوجّين عمَّا يجب أن يكون بين النَّاس محبَّةً ومودَّةً[131].

الصَّبرُ يكسرُ أوهامَ الخوف:

مع أنَّ الخوف قوَّة معطّلة للتفكير قُدمًا؛ فإنَّه المحصّن لما ينجم عن التفكير خوفًا؛ ولذا فالصّبر على التفكير خوفًا وحذرًا يكسر أوهام الخوف وعيًا واستنارةً؛ ولذلك يكمن التأنّي في

---

[128] البقرة: 256.

[129] الشورى: 38.

[130] الكافرون: 6.

[131] عقيل حسين عقيل، الدِّراية من الأمر إلى الطاعة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 2022م، ص 6 - 43.

الصّبر الذي يُمكّن النَّاس من التمييز الذي يستوجب خوفًا من أجل سلامة المستقبل والفوز بالمأمولِ.

ومن هنا فالعلاقة قويَّة بين الصَّبر والخوف؛ إلَّا أنَّ الفارق بينهما أنَّ الصّبر لا يكون إلَّا تأنِّيًا من أجل السَّلامة والنّجاة والفوز ونيل المكاسب، أمَّا الخوف فهو حذرٌ معطِّل للحركة؛ كونه مجالًا ووقتًا لاستحضار القوَّة وجمع شتاتها، أي: إنَّ زمنه زمن ترقّب للتفكير في النَّجاة، وفي المقابل الصّبر تأنٍ من أجل صُنع المستقبل؛ ولهذا فالصّبر وحده الممكِّن من كسر حواجز الخوف المعرقلة للإقدام على الفعل أو العمل.

وعليه: إنَّ الخوفَ شُعورٌ حذري ينتاب نفس الإنسان فيدفعه إلى أخذ الحيطة والحذر من المخيف سواء بتجنّبه أو بمواجهته مع تهيؤ واستعدادٍ وإعداد عدّة، ثمَّ تأهّب يُمكّن من الإقدام على تنفيذ أفعال المواجهة مع المخيف وكسر وهمه.

فإذا نظرنا إلى القبضة الحديدية للحاكم الدِّكتاتوري وأجهزته الكابحة لممارسة الحريَّة فلا نجد لها علّة إلَّا الخوف، وفي المقابل إذا نظرنا للمتحدّين له وقبولهم دفع الثّمن فلن نجد لهم علّة ووهمًا إلَّا الخوف؛ ولهذا فالقضاء على الخوف وحده يكسر الوهم ويحرّر جميع الخائفين، ويحقّق لهم الأمن.

ومع أنَّ الخوف مُقلق للنّفس البشريَّة فإنَّه لا يعدّ سالبًا، بل موجبًا بغاية تفادي المخاطر والمكائد والمظالم، ومن ثمَّ فمن يظن أنَّه بالتخويف يستقر له أمرٌ أو حُكمٌ فهو واهم؛ لأنَّ الخوف لا يصمد في أنفس المتحدّين إلَّا صبرًا حتى حين.

ومن هنا فإذا وجدّت من يُقدّم لك التنازلات كرهًا فلا تظنّ أنَّه من أجل محبَّتك، بل من أجل كسب الوقت الممكّن من إعداد العدّة لمواجهتك في الوقت الذي لا تتوقّعه؛ ولهذا كلّما اشتدّت

أفعال المخيف ضغوطًا على الخائف دفعته إلى تقوية علاقته مع الخوف صبرًا.

وعندما يصبح الخوف رفيقًا ودودًا مع الخائف فلن يعود وهم الخوف مخيفًا لمن كان خائفًا؛ ولهذا يتمّ التحفّز إلى رفع الصّوت الخافت إلى صوتٍ جهورٍ، خالٍ من تلعثم الألسُن مع فائق الوعي والإدراك بقبول ما يترتّب عليه من أفعال، (سالبة أو موجبة)، وبخاصّة إذا عرف الخائف أنَّ قبول الموت بالقوَّة هو المنقذ له من الخوف والموت معًا.

إذن: المخيف هو من لا يتَّقي الحقّ في الآخرين، وما يتعلّق بهم من أمر، أي: هو مَن يعرف الحقّ، ولا يعترف به؛ فيعتدي على الضّعفاء ظلمًا ووهمًا؛ ولهذا لا وجود لسببٍ إلَّا ومن ورائه مسبّب؛ فعلى سبيل المثال: إذا نظرنا في هذا العصر إلى ظهور الجماعات الإسلاميَّة المتطرّفة لا ينبغي أن نفصله عن ذلك الزَّمن الذي ظهر فيه الخوارج، لنتبيّن أنَّ علل ظهور هذه الجماعات علل خوف، أي: إنَّها المولودة من رحم الخوف.

ولذا فعندما يَبُث المخيف مخاوفه باتجاه الآخر، ويتملّك الخوف منه؛ يصبح في دائرة المتوقَّع متهيئًا لردّة فعل على مصدر الخوف، وهذا الأمر يُفضي إلى ظهور العنف بشتى أشكاله، وبمظاهر متباينة، ومن ثَّم فمن يُعدُّ العدَّة بقصد وإصرار وترصّد على إخافة الآخرين لا بدَّ أن يولِّد خائفين، وإذا وَلَّدَ خائفين فلا بدَّ أنْ يقدموا على أفعال المواجهة من الخوف ولكن بعد صبر يُمكِّن مِنَ النَّجاح.

ولذلك من المهم أن يفهم من يقوم بدور المخيف أنَّه بهذا النَّمط من السُّلوك الواهم قد أفرز جبهة من الخائفين، الذين يتربّصون بدرء الإخافة صبرًا، وهذا دليل أنَّه أوجد على أرضيَّة الواقع عددًا من الأعداء الذين يتربّصون به؛ من أجل

منع مظاهر التخويف من النَّيل منهم، ولكن لو فكَّر المخيف في غير ذلك، ألا تكون الطَّمأنينة هي البديل الأنسب؛ ولتبيان ذلك علينا أن نفرِّق بين المرهب والمخيف، فالفرق بينهما: أنَّ المرهب يمتلك القوَّة، ويتحكّم في مقاليد الأمر، ولم يستخدمها في أيِّ مظهر عدواني، سوى الردّ على العدوان، وهو الذي يمتلك القوَّة؛ لكيلا تسود المظالم بين النَّاس وينكسر الوهم.

أمَّا المخيف فهو بداية ونهاية يعدّ العُدّة بهدف الاعتداء على حقوق الآخرين وأوطانهم وثرواتهم ظلمًا؛ ولذا فكلّ من يُعتدىَ عليه ظلمًا سيظل خائفًا من الذي يشكّل خطرًا عليه؛ ولهذا لم يكن الخوف من العُدَّة التي تُرهب، بل الخوف من استخدامات العُدة بغير حقٍّ.

إذن: امتلاك القوَّة يجب تحقّقه في الأفراد والجماعات والمجتمعات، على أن يكون امتلاك القوَّة من أجل تعادل الأطراف على مركز الاتزان المعياري الذي كلّما تكرّر المقياس به كانت النتائج المتوصّل إليها هي كما هي من أجل الجميع، لا من أجل مغالبة طرف على طرفٍ، وبهذا النظرة الإنسانيَّة يختفي الخوف، وبخاصّة عندما يرى الأنا الآخر أنَّه لم يعدْ يشكّل خطرًا عليه؛ فتنتهي مظاهر الإخافة التي تورِّث الظُّلم والعدوان، إلى جانب أنَّها ستبذر في النَّفس الإنسانيَّة بذور العداء التي من الصّعب اقتلاع جذورها.

ولو تسنّى أن نسأل اليابانيين الآن وبعد نحو أكثر من ثمانين سنة من استخدام أمريكا للقنبلة الذّريَّة على هيروشيما وناجازاكي، وبعد التقارب الحاصل بين الدَّولتين، ومنذ زمن بعيد، هل يرون أنَّ أمريكا صديقة أم عدوة؟ في اعتقادنا أنَّ كثيرًا من المواطنين اليابانيين لم ينسوا عدوان أمريكا عليهم،

وكذلك كلّ الشّعوب التي تعرّضت للاحتلال تبقى تتذكّر تلك المذابح والمقابح والجرائم المؤلمة.

كان العدوان على اليابان من قبل الولايات المتحدة الأمريكيَّة بسبب رفض اليابان تنفيذ إعلان مؤتمر بوتسدام، الذي نصَّ على أن تستسلم اليابان استسلامًا كاملًا بدون أي شروط، إلَّا أنَّ رئيس الوزراء الياباني سوزوكي رفض، وتجاهل المهلة التي حدَّدها إعلان بوتسدام، وبموجب الأمر التنفيذي الذي أصدره الرَّئيس هاري ترومان قامت الولايات المتحدة بإطلاق السِّلاح الذري (الولد الصَّغير) على مدينة هيروشيما يوم الاثنين الموافق 6 من أغسطس من عام 1945م. ثم تلاها إطلاق قنبلة (الرَّجُل البدين) على مدينة ناجازاكي في التاسع من شهر أغسطس 1945م.

وعليه: فإنَّ مقولة الواهمين: (الخوف دائمًا يجعل من الخائف مستسلمًا للمخيف) مقولة واهمة، ومن يظن غير ذلك سيجد الزّمان كفيلًا بإظهار الحقيقة وكسر الوهم؛ ولذلك فالعلاقة بين الخائف والمخيف علاقة لا ثقة تسندها، بل الذي يسندها بوضوح هو العمل على كسب الوقت صبرًا ليس إلَّا؛ فالزَّمن صبرًا بالنّسبة إلى الخائف كفيل بترّويض الطّغاة، وكفيل برمي الخوف في أكياس زبالة التَّاريخ، وكفيل بامتلاك القوَّة لمن يسعى لامتلاكها، وكفيل بتغيير الأحوال من الغفلة إلى الإفاقة، ومن ثمَّ فهو كفيل بكسر الوهم، وهكذا سيكون الزَّمن هو الضَّامن الوحيد إذا ما صبرنا.

ولأنَّ الخائف يعلم جيّدًا أنَّ الخوف مؤقّت؛ فهو لم يكن متسرّعًا ولا مستعجلًا، بل لثقته بأنَّ اليد التي امتدّت عليه ولا يستطع قطعها ليس له من بدٍّ إلَّا أن يُقبِّلها إلى أن يستطيع، وعندما يستطيع عُدّةً وقدرةً واستعدادًا سيكون الإعلان عن ذلك

بالنّسبة إليه ضرورة، وستكون المعادلة الجديدة مؤسَّسة على ردِّ الاعتبار، ونيل الاعتراف من الآخر الذي كان واهمًا عن حقيقة من أخافه ظلمًا، وإن لم تكن الاستجابة المرضيّة ستكون المواجهة معه حتميَّة.

وعليه: فإنَّ الإخافة لا تولِّد خائفين، بل تولّد المتمرِّدين والغاضبين والثائرين؛ ولهذا عُمْرُ الظَّالمين قصير؛ فلا يخيف، بل الذي يخيف ألَّا يَعُدَّ الخائف العُدّة المرهبة للمخيف والكاسرة للوهم.

والمثال الحي لإظهار العلاقة بين الخائف والمخيف هو ما يجري بين الغرب وإيران، التي تسعى لإعداد العُدّة لمواجهة التخويف المتزايد تجاهها باستخدام القوَّة من قِبل الغرب تلميحًا وتصريحًا، وفي مقابل ذلك فإنَّ إيران تعلم أنَّها لو أعدَّت العُدّة القتاليّة واستعدَّت وتأهبت ورابطت فإنَّ الخوف بالنسبة إليها سينتهي والوهم يُكسر، ومع أنَّ العدوان على إيران في دائرة الممكن المتوقَّع لن يحدث، إلَّا أنَّه في دائرة غير المتوقَّع ممكن الحدوث؛ ولهذا فالمواجهة بين الغرب وإيران ممكنة، من حيث سباق الإخافة والتخويف المحتدم بين الطَّرفين اللذين أحدهما يعمل على رفع سقف الإخافة، والآخر يسعى لامتلاك القوَّة، التي تردع المخيف، وتوقفهُ عند حدّه، ومع ذلك فالمواجهة ليس بالضّرورة أن تكون عسكريّة، بل طرق تغيير الأحوال والسِّياسات والأنظمة متعدّدة ومتنوّعة؛ ذلك أنَّ المواجهة مع إيران أمرها صعب جدًّا؛ إذ إنَّ موقعها الجغرافي جعل أهداف الخصوم في مرمى قدراتها العسكريَّة، وإلى جانب ذلك دخول الصّين على المشهد السِّياسي الدّولي بقوّة تكاد أن تكون سرعتها فائقة وقادرة على تغيير المواقف وإعادة الاصطفاف الذي يسمح للجمهوريَّة الإسلاميَّة الإيرانيَّة بأن تمتلك السِّلاح النَّووي.

وعليه: فالواهمون الذين يعتقدون أنَّ التخويف هو الحلّ، عليهم أن يعرفوا لو كان التخويف حلًّا لما كانت أحداث 11 من سبتمبر المؤسفة ضربة موجعة في قلب الولايات المتحدة الأمريكيّة، وعليهم أن يعرفوا أنَّ الخائف سيظل دائمًا متربِّصًا بالمخيف يُقبِّل يديه إلى أن يتمكَّن من قطعهما؛ لذلك فإنَّ أحداث سبتمبر ومهما كانت ألوان طيفها هي ردّ فعل خائف من مخيف.

ولهذا فنظريَّة الإخافة لن تكون حلًّا، بل إنَّها نظريَّة لاشتداد التأزُّمات، وإن لم يُنزع التخويف من عقل المخيف؛ فلن يُنزع من ذهن الخائف تقبيل اليدين حتى تتاح له الفرصة لقطعهما.

إنَّ نظرة المخوِّف ترى أنَّه بحاجة إلى تجويد ملامح التخويف وتقويتها، من خلال استعراض أكبر كمٍّ من صور الاعتداء والبطش والظُّلم؛ ولهذا فالولايات المتحدة الأمريكيَّة لم تقم بضرب عناصر من القاعدة ردًّا على أحداث سبتمبر فحسب، بل قامت بما هو أكبر من ذلك تهديدًا ووعيدًا، كما جاء على لسان رئيسها آنذاك جورج بوش الابن: (من لم يكن معنا فهو ضدّنا)؛ فكان احتلال أفغانستان ثمَّ احتلال العراق، مع وافر أساليب التخويف، والإيماء بالعصا الغليظة، ومع ذلك يظل وراء كلّ دينٍ مطالب به[132].

وعليه: فإنَّ نظريَّة التخويف تجاه الضّعفاء من ميزاتها أنَّها كلّما ازداد التخويف شِدّةً حفّز الخائفين على قبول التحدّي صبرًا وعملًا، وحفّزهم على التمرُّد والثَّورة، حتى امتلاك القوَّة التي بها يُرهب المخيف ويقف عند حدّه، ومن ميزاتها أيضًا أنَّ النتيجة التي سيتمّ التوصل إليها هي حذف كلمتي: (خائفٍ ومخيفٍ)، ومن ثمَّ فعندما يعرف المخيف أنَّ الخائف لا يخاف

[132] عقيل حسين عقيل، التطرف من الإرادة إلى الفعل، القاهرة، المصرية للنشر والتوزيع، 2019م، ص 82.

الموت، فبما سيخوفه؟ أي عندما يُكسر حاجز الخوف سيكون واهمًا من يعتقد أنَّه ما زال مخيفًا.

يقول جيمس ماتيل الذي كان رئيسًا لطاقم الموظفين بمكتب الخارجيَّة الأمريكيَّة للمحاسبة والشَّفافيَّة ببغداد: (الخوفُ هو الخيط المشترك الذي يَنْسجُ الحركاتَ السِّياسيَّة العَنيفةَ سويَّةً، وهو لَيسَ الحافز الوحيد وراء العنفِ السِّياسي، ولا بالضَّرورة الأكثر وضوحًا، لَكنَّه عمليًّا دائمًا هناك حينما نَسْألُ: لماذا يَكْره النَّاس؟ أَو لِماذا هم راغبون في القَتْل أَو الموت من أجل قضيَّة ما؟ الجواب دائمًا .... الخوف).

وهنا يمكن القول: إنَّ الخائف ليس بالضّرورة أن يكون خائفًا من الموت؛ فالمؤمنون يعتقدون أنَّ الموت حقّ، ويعتقدون أنَّ الأحياء لن يموتوا قبل أن تنتهي أيَّام أعمارهم؛ ولهذا فهم لا يخافون الموت؛ لكونهم لن يموتوا إلَّا إذا كانت أيَّامهم التي أعدَّها الله لهم قد انتهت، أي: إنَّهم يؤمنون أنَّ الحرب والاقتتال لا ينهي الأيَّام والأعمار إذا لم تكن عند الله منتهية: {فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ}[133]؛ ولهذا يخوضون الحروب إذا ما كُتبت عليهم كرهًا بوافر الاستبسال.

وكذلك كثير من العقلانيين يعدُّون الموت واقعًا لا مفرَّ منه، أمَّا الخوف فأمره لم يكن مثل أمر الموت؛ فالخوف يكون من أمور أخرى، منها: الإلغاء، والتحقير، والتهميش، أو التسفيه، أو التغييب، أو احتلال البلدان والأوطان، والاعتداء على أعراض الذين لم يمتلكوا القوَّة، الأمر الذي يفضي إلى التفكير بالتخلّص من مصدر التهديد بكلِّ الوسائل الممكنة في دائرة المتوقَّع وغير المتوقَّع.

---

[133] النحل: 61.

وعليه: الكلّ يسعى للتخلّص من الخوف، أي: إنَّ كلّ الأطراف خائفة من الخوف، ممّا يجعلهم يسعون إلى التخلّص منه، وبكلِّ الوسائل والأساليب؛ فالخائف هو خائف؛ لأنَّه يستشعر الخوف، ويريد أن يتخلّص منه؛ ولذلك يرى أنَّ العدوان على المخيف يُخرجه من حالة الخوف إلى حالة الاطمئنان؛ فالخوف شعور يعبّر عن عميق المعاناة المسيطرة على الإنسان؛ فيشلُّ رغباته في التفكير ممّا يجعل الإنسان في دائرة التوتّر والقلق المتَّصلين وهما اللذان لا ينفكّان إلَّا بالصَّبر دراية وتحدٍّ؛ وذلك من أجل البحث عن حلٍّ يفضي للوصول إلى حالة الاطمئنان المنشودة، الأمر الذي يوجّه السُّلوك إلى دائرة الممكن؛ للإقدام على الفعل المتوقَّع، والفعل غير المتوقَّع.

إنَّ المخيف من دون شكّ يعرف أنَّ الخوف شعور لدى كلِّ الكائنات؛ فما بالك بالبشر، إنَّه شعور قوي يُحفّز على اتخاذ قرار المهاجمة للدِّفاع عن النَّفس، دفاعًا شديدًا واضح المنهج، ومعلوم النتائج، أو دفاعًا هائجًا هستيريًّا ينتج ضررًا ربما يتجاوز حدود المهاجم إلى غيره، وما هو أبعد منه.

ولأنَّ الخوف مشكلة أنتجت قاعدة: (الخائف والمخيف)، وجعلت بعضًا من الخائفين يقبل الموت، ويُقدم على تنفيذ أفعاله دون تردّد، ولأنَّ لكلِّ مشكلة حلًّا؛ إذن لماذا لم يلتقِ الخائف والمخيف لفكِّ الفتيل وكسر أوهام الخوف؟

نقول: الفتيل لا يمكن أن يُفكّ إلا بالتقاء أيدي المخيفين بأيد الخائفين، ولكن هذا الأمر لن يتحقّق إلَّا إذا امتلك الخائف القوَّة الفاعلة عُدّة وإعدادًا وتدريبًا ومهارةً وتأهّبًا، حينها يعرف المخيف أنَّ زمن تخويفه قد ولّى إلى النِّهاية.

قال تعالى: {لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ}[134].

يُفهم من هذه الآية الكريمة: أنَّ كفّة الصِدام قد تعادلت؛ فلم يعدّ وجود لخائفٍ ومخيف، بل الوجود لطرفين هم على القوَّة التي بها قد تحقّق فعل الإرهاب؛ فالمؤمنون من جهة هم الذين امتلأت صدورهم رهبة من الله تعالى، والذين لا يفقهون هم الذين امتلأت صدورهم رهبة من الذين آمنوا.

ومع أنَّ الله هو أشدّ رهبة، فإنَّ الذين لا يفقهون عندما رأوا قوَّة الذين آمنوا ارتهبوا؛ فاعتقدوا أنَّها أشدّ رهبة من رهبة الله، ولكن الذين آمنوا يؤمنون بأنَّ رهبة العظيم -جلَّ جلاله- هي الأعظم، ولو أدرك الذين لا يفقهون أنَّ الله هو الشَّديد لآمنوا أنَّ الله أشدّ رهبة.

الصَّبر تحدٍّ يكسرُ أوهام العقل:

الوهمُ هو ما يجثم على العقل البشري من معلومات مملوءة بالمخاوف، وفاقدة للمصادق، ويتم التمسّك بها والتعصُّب لها، والوهم يؤدِّي بأصحابه إلى المبالغة في الانقياد والتبعيَّة، أو المبالغة في المواجهة مع المخيف، ومَنْ يشكِّل الوهم عنده قناعة يظل واهمًا إلى وقت متأخر قد تضيع منه فُرص الصّحوة والعودة إلى المعرفة الواعية بما يجب الإقدام عليه وما يجب الإحجام عنه.

ومع أنَّ الوهم يؤدِّي إلى تطويع العقل وانقياده إلى الاتجاه الخطأ فإنَّ المتمسّكين به كُثر؛ فتراهم في مواضع الخلاف يدافعون به ويحاججون عنه وهمًا مع ظنّهم أنَّه سيتحقّق لا محالة.

---

[134] الحشر: 13.

ولذا يعد كل ما يُغيِّب العقل عن معرفة الحقيقة وكشف الزّيف عنها وهمًا، ودائمًا حال الوهم من الحقيقة كحال الكذب من الصّدق، وحال السَّراب من الماء، ومعظم الواهمين إذا ما أتيحت لهم فرص الاختيار فلا يرون من الألوان إلَّا أحد اللونين: (الأسود أو الأبيض)، وهذا أيضًا حال المتأدلجين فهم لا يرون إلَّا بعين الغير الذي أوهمهم بأنَّ أعينهم لا ترى صوابًا، ومن ثمَّ فهم في حاجة لسلامة عينه التي ترى دون غيرها كلّ شيء بما فيها شئونهم؛ وبهذا يُسلِّمون أمرهم إليه وهم يعتقدون أنَّه لا مستقبل لهم إلَّا المستقبل الذي يرتضيه، ويوجّههم إليه، ممَّا يجعلهم كالأوراق المسحوبة نسخة واحدة (إنَّها أوراق الوهم).

ومن ثمَّ فمن يقنع نفسه بأنَّه البطل، أو العالم، أو الزَّعيم، أو القائد، أو الخليفة فهو لا شكّ أصبح يعيش حالة من الوهم، ومع ذلك فقد يصدّق البعض ادعاءاتهم وأوهامهم وأخصُّ بالبعض: (الذين هُزموا في معارك سابقة، أو ضاقت بهم الدُّنيا بما رحبت، أو من تكون لهم أوهام مرجوة) فيتعلقون بمثل هؤلاء وكأنَّهم المنقذ، فيضحُّون بمستقبلهم من أجلهم حتى يقبرهم الوهم واحدًا واحدًا، أو ينعم الله عليهم بغضبٍ يقلب الطَّاولات على رؤوس الموهِمين، أو أن تلد لهم الأرض طفلًا مثل ذلك الطّفل الذي رأى الملك عاريًا؛ حيث يُحكى: أنَّ أحد الملوك خدعه خيّاط محتال وأقنعه بأنَّه سيصنع له ثوبًا سحريًّا عظيمًا لا يراه إلَّا الحكماء. اقتنع الملك بمهارة الخياط المحتال فظهر على وزرائه من على شرفة القصر المطلّة على الحديقة عاريًا تمامًا، وقال: انظروا ما رأيكم في هذا الثَّوب السّحري الذي لا يراه إلَّا الحكماء؟! فخاف الوزراء من غضب الملك فقالوا وكأنَّهم يقرأون أنشودة سبق لهم وأن حفظوها: إنَّه ثوب عظيم يا مولانا، وأضاف بعضهم: لم نرَ في حياتنا أجمل ولا أروع

من ثوبك هذا، ولكن المفاجأة جاءت من طفل كان من بينهم في حديقة القصر، فقال ببراءة: أين هو الثّوب الذي ترونه؟! ثمَّ صاح بأعلى صوته: إنّي أرى الملك عاريًا... إني أرى الملك عاريًا.

هكذا هي بالتمام حقيقة التُّبع والذين تأدلجت عقولهم بأوهام وأفكار لا تَمتُّ للحقيقة بصلة، وجميعهم ينطبق عليهم: (إني أرى الملك عاريًا)؛ ولهذا دائمًا الوهم مخالف للحقيقة؛ ومن ثمَّ يجب أن يُكسر قبل أن يجعل من الأسوياء معاقين.

ومن هنا لا يعد التأدلج إلَّا وهمًا؛ كونه يجعل من المتأدلجين أدوات مسخّرة بأيدي كبير الواهمين، والواهم أوَّل ما يوهم نفسه بأنَّه يفهم أكثر من غيره، ويعلم أكثر من غيره، ومن ثمَّ على الغير اتباعه وطاعته وإلَّا فهم في ضلال، ولا منقذ غيره؛ فيتظاهر وهمًا أنَّه الزّعيم، أو القائد، أو المنقذ، أو المفكّر، وعندما يستشعر أنَّه في أعين البعض يبدو كذلك يزداد في تصنّعه قائدًا أو زعيمًا أو مفكّرًا حتى يثبت بحق أنَّه الواهم.

وعليه: فالوهم تضخيمٌ للأنا الذي يبلغ الحال به وهمًا أنَّه لا يرى مركزًا للعالم إلَّا هو دون غيره، ومن ثمَّ يرى وجوب دوران العالم من حوله دون سواه. وبهذه الحالة لا فرق بين الواهم والكاذب الذي يعرف حقيقة نفسه أنَّه يكذب، ومع ذلك عندما يجد النَّاس تستمع له فيصدّق وكأنَّه الصَّادق؛ ولهذا فالمصدّقين لما يقال من دون تبيّن ولا امتلاك شجاعة مثل شجاعة ذلك الطّفل سيظلّونَ واهمين بلا إرادة، وسيظلونَ في حاجة لمن يساعدهم على كسر ما ألمَّ بهم من وهمٍ؛ ولهذا لا يكسر الوهم إلَّا صبرًا على اتباع الحق؛ وذلك بإظهار الحقيقة وكشف الزّيف عنها عندما تحين الفرص لذلك.

ومن ثمَّ علينا أن نميّز بين حقيقةِ: أنَّنا نحلم، وحقيقة: أنَّنا لا نصدّق أحلامنا (لا نصدق ما نراه يجري أثناء نومنا، ولا نأخذ بما جاء فيه) ومع ذلك لا نستطيع أن ننكر حقيقة السُّؤال القائل: لماذا لا نشكّ في أنَّنا نحلم، ونشك فيما نحلم به؟ أي: بما أنَّنا نحلم يقينًا وحقيقة فلماذا لا تكون أحلامنا هي الأخرى حقيقة ينبغي الأخذ بما يورد فيها؟

أقول: مع أنَّ ما يجري في أثناء النّوم حُلمًا حقيقيًّا فإنَّه لا يزيد عن كونه حقيقة نائم؛ ولأنَّه كذلك فالواهم بأنَّ الصَّواب في أحلامه صدقًا لا يزيد عن كونه لا زال نائمًا، ومن يأخذ بما حلم به فلن يجد أمامه بعد الصّحوة واليقظة إلَّا سرابًا؛ ولهذا قبل أن يُوهم نفسه ويقنعها بذلك ينبغي أن يُنصح بحقيقة أحلامه؛ كي لا يسكب الماء الذي بين يديه بغاية أن يشرب من السَّرابِ ماءً.

ومع أنَّ العقل يُعدُّ من أهم ما تميَّز به الإنسان خَلقًا فإنَّه لا يدير شئون الإنسان كُلّها وحدهُ، ومع أنَّ الوهم حادث على العقل فإنَّه لا عقل إلَّا بوهمٍ؛ غير أنَّ رقابة الضَّمير على العقل تعيده مركزًا؛ ولذا وجب كسر أوهام من يعتقد إنَّه المسيطر، أو أنَّه سيسيطر ويصبح مركزًا ولا إمكانيَّة لغيره وكأنَّه المستحيل؛ ولهذا دائمًا الواهمون حتى وإن قرأوا التَّاريخ واطَّلعوا على ما جرى فيه على الغير؛ فإنَّهم لا يتخذون العبر منه، بل يدّعون أنَّهم أهل معرفة تفوق أولئك الغافلين في ذلك الزّمن الذي رواه الرّواة في كتب المؤرِّخين.

ومن هنا فإن العقل هو مركز الإدارة العامَّة الذي يدير الحواس كما يدير المدركات ويدير المجرّد والمحسوس، والمشاهد والملاحظ، ويتدبَّر ويتذكَّر، ومع أنَّ العقل هو مركز الإدارة فإنه لا يتولّى تنفيذ كلّ شيء، بل يترك التنفيذ لكلٍّ وفقًا لاختصاصه؛ ممّا يجعل الكلّ مراكز لا تدار إلَّا بهم؛ ولهذا

فبالنّسبة إلى المشي القدمين هي المركز، فإن لم يُعطِ العقل حريَّة الحركة للقدمين فإنَّ الخطوات لن تتبادل بمرونة، وإن حاول أحدٌ مبادلتها فسيكون صاحبها من المتعثرين؛ ولذا لن تخطو القدمين بصاحبها خطوات ثابتة إلّا بقرار واضح من العقل لأداء واجبات محدّدة.

وعليه: الخطى عندما تطوي المسافات بقرارٍ من الإدارة العامَّة (العقل) تصبح علاقة التطابق تامَّة بين خطى القدمين ورؤية العقل؛ ومن ثمَّ فلا وهمَ يتعارض مع الأمر أو يخالفه.

أمَّا إذا أُجبرت القدمين على قطع المسافات، فلا شكَّ أنَّها ستتعثَّر عندما يحاول آخر أن يجرَّها أو يجبرها بما لا يصدره لها العقل من قرارات واضحة ومحدَّدة، وعندما يكون قرار الإدارة العليا (العقل) وفقًا لِما يجب تصبح الخطوات متهيّئة ومستعدّة ومتأهِّبة لقطع المسافات دون تردّد؛ ولذا فمِن دون وهم فإنَّ المدير العام (العقل) لا يدير شيئًا باستقلال عن غيره إلَّا في حدود الوظيفة الخاصّة به؛ إذ خصَّصَ مهام العين للنّظر، واللسان للذّوق، والأنف للشّم، والأذن للسّمع، وجعل كلّ منها في حالة تهيّؤ لإرشاد غيره إلى ما يجب عند كلّ أمر يصدر له، كما يرشد البصر القدمين إلى السَّير في الاتجاه الذي يشاء العقل بلوغه، وعندما لا يكون الوهم مرافقًا لقطع المسافات تزداد القدمين ثباتًا تجاه الهدف الذي يستوجب الإنجاز، ومعها العينين تحمْل مسئوليَّاتها تجاه ما يجب أن تقدِّمه للقدمين من إرشاد، ممَّا يجعل الإنسان متمكِّنًا من الوقوف على أدق الأشياء بإرادة، وظهورها أمام المركز برؤية واضحة؛ ولهذا عندما تُجبر العينين جبرًا فلا يكون للرّؤية وضوح، ولا تُكشف الحقيقة أمام الإدارة العليا ما يجعل المدير العام غير قادرٍ على اتخاذ قرارات مُرضية وواضحة للأنا والآخر والوسطي وإن حاول واجتهد؛ فيترتّب على ذلك فوضى إن لم يُحسم الأمر فيها قد

يشتدّ الصّراع ليكون فيه كلّ طرفٍ متطرّفًا. ومع أنَّ العقل هو المسئول الأوَّل الذي يدير الإدارة العليا إلَّا أنَّ الإدارة العليا لا تدار به وحده، فهناك القلب، وهناك العاطفة، ولكلٍّ منهما غاياته التي تمتدّ بين قوَّة وضعف، فإن تطابقت رؤى المدير العام (المسئول الأوَّل) مع المساعد له (القلب) كانت القرارات الصَّادرة ضميريَّة، تُطمئن الأنا والآخر والوسطي، وإن غَلَبت رؤى العاطفة المساعد الثَّاني للمدير العام مالت القرارات إلى ما يُشبع الغرائز على حساب ما يُشبع النَّفس التي لا تطمئن إلَّا بقرارات الضَّمير العادلة التي لا تغفل عمَّا يرغبه القلب وما ترغبه العاطفة، ولكلٍّ حاجاته التي يجب أن تُشبع باعتدال، دون أن تكون على حِساب طرفٍ من الأطراف، وعندما تكون قرارات العقل مع الضّمير حاسمة فإنَّ العينين لا تقومان بتزوير الحقائق البصريَّة وإن رغبت العاطفة أو وهمت[135].

إذن: تتعدّد مراكز الإدارة في الإنسان من المدير العام ومُسَاعِديه إلى الإدارات المركزيَّة الأخرى وفقًا للصلاحيَّات والاختصاصات التي بها يُدار السَّمع بمتخصّصين كما يُدار البصر بمتخصّصين، والشّم واللَّمس والذّوق بمتخصّصين، وكما تدار الإدارات التي تليها في الأهميَّة بمتخصّصين بالنّطق، والمشي، والرَّمش، وما يتعدَّد من إدارات فرعيّة أخرى؛ تقرّر ما تشاء، ولكنّ التنفيذ الموضوعي عندما يتعلّق الأمر بالمراكز الأخرى لا يتمّ إلَّا بعلم الإدارة العامّة؛ ولهذا كلّما وجب ظهور أو وجود المركز العام وجب ظهور المراكز الخاصّة، مراكز السّمع والشّم واللَّمس والذّوق والبصر وغيرها، ومن يحاول أن يجعل الأمر كلّ الأمر في إدارة عامَّة يجعل الحواسّ غير قادرة على أداء وظائفها التي خُلقت من

135 عقيل حسين عقيل، التطرف من التهيؤ إلى الحل، القاهرة: المجموعة الدولية، 2011م، ص 78.

أجلها، ويدفع بعضها إلى التطرُّف الذي به تشوَّه الحقائق وتزوَّر فلا تُقدَّم للمسئول الأوَّل (هي كما هي) ما يجعله في كثيرٍ من الأحيان يتخذ قرارات غير صائبة، وقد يتمسَّك بها ويجبر النَّاس عليها. وسواء أكان يدري أم لا يدري يجد نفسه قد دفع بعض الذين تمّ إجبارهم بغير حقّ إلى التطرُّف فكرًا وتأدلجًا مع الإقدام على أفعال التنفيذ؛ فتنجم ردود أفعال بأسباب المعلومات الخاطئة والمزوَّرة التي قُدِّمت للمسئول الأوَّل وترتَّب عليها ما ترتَّب من إجراءات غير موضوعيَّة؛ ولذلك سيكون واهمًا من يعتقد أنَّ العقل يدير كلّ شيء طوعًا وكرهًا.

ومن هنا فبوجود الإدارة المركز تظهر مراكز متعدّدة، ولكلّ مركز أهميَّة تستوجب الاعتراف، والتقدير، والاعتبار؛ إذ لا تجاوز وكلّ وفقًا للتخصّص والاختصاص والخصوصيَّة، وهكذا المراكز تتعدّد بما يُمكِّن المواطنين من ممارسة الحقوق، وأداء الواجبات، وحمْل المسئوليَّات، وإن لم يتمّ الاعتراف بذلك فستكون أوهام التطرُّف من الأساليب المنتشرة بين من يريد نيل الاعتراف ومن لا يريد الاعتراف به.

فالمركز الذي يريد أن يكون على حساب طمس مراكز الآخرين سيكون واهمًا إن ظنَّ أنَّه لن يتعرَّض هو الآخر للطَّمس وبكلّ الأساليب، ومن يريد من المراكز الأخرى أن تُقدِّم له التنازلات تلو التنازلات فلن يكون قادرًا على إدارة ما يُراد له أن يديره بنجاح؛ ممَّا يجعل الوهم مرافقًا له أينما حلّ، ثمَّ تلاحقه شتائم المواطنين إلى أن يرحل بإرادة أو يرحَّل بالقوَّة.

ولأنَّ الحقوق الوطنيَّة متماثلة، والواجبات متباينة، والمسئوليَّات غير متوازنة، إذن لا إمكانيَّة إلَّا وهمًا أن تكون كلّها بيد مركزٍ واحدٍ، فهذه ينبغي أن تدور حول المركز بقوَّة جذبه لها إرادة، وإدارة متماسكة.

وكما أنَّ الإنسان خُلق مركزًا لا يتطابق مع أيٍّ آخر في قدراته، واستعداداته، وخصوصيَّاته الفرديَّة، والجماعيَّة، والمجتمعيَّة؛ فهو على الأرض المدحاة أينما وجد، أو وقف، أو جلس هو المركز، وهكذا الآخرون كلّ منهم على الأرض هو المركز من خلال النُّقطة التي يكون عليها، ولا يتغيَّر مركزه إلَّا بتغيُّر مكان وجوده على الأرض أينما تحرَّك، وبما أنَّ الأمر كذلك خَلقًا إذن فلماذا لا يكون الإنسان مركزًا أينما وُجد؟، ومن ثمَّ فالوطن الواحد لا ينبغي أن يكون فيه مواطنو العاصمة هم المركز، والآخرون لا يعدّون إلَّا أطرافًا على الحدود، وكأنَّ المواطنة تضعف كلّما بعد المواطن عن المركز.

فضيلة الصَّبر ونعمه:

الصَّبر فضيلة لا يستمدّ إلَّا من صفة، ولا توجد صفة يستمدّ الصَّبر منها إلَّا صفة الصَّبور جلَّ جلاله؛ والصَّبور هو الذي لا تحمله العجلة على المسارعة إلى الفعل قبل أوانه، بل ينزل الأمور بقدر معلوم ويجريها على سُنن فلا يؤخّرها عن آجالها المقدورة لها تأخير متكاسل ولا يقدّمها على أوقاتها تقديم مستعجل، بل يودع كلّ شيء في أوانه على الوجه الذي يجب أن يكون وكما ينبغي.

وفي أَسماء الله تعالى الصَّبور هو "الذي لا يُعاجِل العُصاة بالانْتقامِ، ومعناه قَرِيب من مَعْنَى الحَلِيم، والفرْق بينهما أَن المذنِب لا يأْمَنُ العُقوبة في صِفَة الصَّبور كما يأْمَنُها في صِفَة الحَلِيم"[136].

وأمَّا صبر العبد فلا يخلو عن مقاساة؛ لأنَّ معنى صبره هو ثبات داعي الدّين أو العقل في مقابلة داعي الشَّهوة أو الغضب، فإذا تجاذبه داعيان متضادّان فدفع الدَّاعي إلى الإقدام والمبادرة

[136] لسان العرب، ج 4، ص 437.

ومال إلى باعث التأخير سمي صبورًا؛ إذ جعل باعث العجلة مقهورًا وباعث العجلة في حق الله سبحانه معدوم، فهو أبعد عن العجلة ممن باعثه موجود، ولكنَّه مقهور فهو أحق بهذا الاسم بعد أن أخرجت عن الاعتبار تناقض البواعث ومصابرتها بطريق المجاهدة[137]؛ قال تعالى: {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاس بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةَ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ}[138]، فتأخير العقاب على مستحقيه لا يعني إسقاطه عنهم، بل وجوب وقوعه عليهم في وقت معلوم ومحدّد من الخالق -جلَّ جلاله- لا دخل للإنسان بهذا التوقيت، ولا علم له به، ولولا صبر الله المطلق على المجرمين والعصاة لكان العقاب فوريًّا، لكنَّه لا يعجّل إنزال العقاب عليهم ليمهلهم.

والصَّبور مصدر لكلِّ صبر، يستمدّ الصَّبر منه وهو لا يستمدّ من شيء سبحانه جلَّ جلاله؛ ولذا فالصَّبر دليل قوَّة العزَّيمة وسلامة الرَّأي والقرار والفعل والعمل؛ وذلك لأنَّه المستمدّ من الصَّبور المطلق، ومن اتصف به كان من المستخلفين فيها.

والصَّبر في حق الله تعالى يكون درسًا في التوازن والنِّظام، أي: إنَّه -سبحانه وتعالى-لا تحمله العجلة على تقديم ما لا يجب تقديمه، أو تأخير ما لا يجب تأخيره، بل حكمته جلَّ جلاله تتدخل لتعمل على تسيير أمور خَلقه وفق نظام وسُنن ثابتة، لا يمكن أن تتبدَّل هذه السُّنن أو تتغيّر لتعجل أو تسرع في أمر من أمور عباده.

---

[137] الغزالي، المقصد الأسنى، ص 149.

[138] النحل: 61.

والصَّبور سبحانه وتعالى بقدرته فهو القادر وبقوّته فهو القوي يستطيع أن يفعل ما يشاء، في الوقت الذي يشاء؛ قال تعالى: {فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ}[139]، فصبره دائمًا على حكمة مطلقة وبالغة، ومع أنَّه يأمر بالكاف والنّون فإنَّه يُمهل ويصبر بشكل متوازن وعادل دون أي خلل في ذلك، وكيف يكون ذلك وهو المنزّه عن كلِّ نقص أو عيب من شأنهما أن يسببا أي ضعفٍ أو خلل لأيِّ توازن في مرضاته؟

وكل شيء عنده بميزان وبمقدار وبميعاد، قدرّه الخالق مسبقًا مع التوافق بسرعته في تسيير الأمور، وهنا نجد أن السُّرعة المتوازنة صائبة لا خلل فيها ولا عيب، فمثلًا نجد أنَّ الله -سبحانه وتعالى-في مواطن كثيرة من حياتنا يعطينا ما نطمح إليه ونحتاجه في وقته، وفي أحيانٍ أخرى يمسك تلك الحاجة فيمهلها أو يؤخّرها علينا، وكأنَّه -عزَّ وجلَّ-يدلنا على أصوب الطُّرق للصّبر الذي علينا أن نستمدّه منه جلَّ جلاله.

فالصَّبور -تبارك وتعالى-يعلّمنا ماهيَّة الحكمة في العطاء وفي منع هذا العطاء، ويُشعرنا بهيمنته الكاملة على كلِّ شيء في الحياة والكون بصفة عامَّة؛ قال تعالى: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}[140]، إذن هو الصَّبور على الرّغم من استطاعته وقدرته وقوَّته على كلِّ شيء مطلقًا فهو الكامل في صفاته وأفعاله الجليلة العظيمة الحكيمة، وصبره نابع من ذلك الكمال كلّه.

وعلى الرّغم من أنَّه يصبر على العباد إلَّا أنَّه في أحيانٍ أخرى قد ينزّل عقابه سريعًا ويرسله كعبرة للبشر وموعظة؛

---

[139] البروج: 16.

[140] يس: 82، 83.

قال تعالى: {وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ}[141]، وهنا صفة الصَّبر لا تنتفي مع تنزل العقاب والعذاب؛ وذلك ليكي يُحدث التوازن في إحقاق الحقّ والانتقام من الظَّالمين الذين لن يرتدعوا بأيَّة وسيلة، ولا نجد أيّ نوع من التناقض في ذلك أو الظُّلم؛ قال تعالى: {كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ}[142]، فعلمه المطلق والمسبق أدرك مسبقًا أنَّ الخير والنَّفع للعباد سيكون على هذا الشَّكل، فالصَّبور بصير بعباده وعليم بهم وبما يكتمون ويُظهرون، وهو المقدّر للأمر عن صبرٍ أو عن غير صبر: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ}[143].

ولله المثل الأعلى: فالإنسان عادة ما يقوم بعملٍ ما أو يكون مسئولًا عنه فنجده في يومٍ من الأيَّام متدمِّرًا منه ضائقًا به، ولا بدَّ أن تمر عليه لحظة يشعر فيها بالملل والتَّعب والضّجر منه، فيؤثِّر ذلك على سير عمله بالاختلال أو النّقص، فيضطر للاستعانة بغيره؛ لمساعدته على ضبط العمل والعودة إلى سرعة الإنتاج وتجاوز الخلل الذي سبق وأن حدث، لكنَّ الخالق -عزَّ وجلَّ- منزَّه عن كلِّ نقصٍ أو عيبٍ أو خللٍ فلا يكابده التّعب أو الضَّجر؛ لقدرته الكاملة على استيعاب كلّ شيء في آن واحد، فهو الصَّبور بقوَّته ومتانته وجبروته وعظمته، فنلاحظ اجتماع أكثر من صفة في حق المولى عزَّ وجلَّ.

وتكمن صفة القوَّة في الصَّبر؛ حيث أنَّه لا قوَّة بلا صبر، ولا صبر إلَّا عند قوي متين، فالصَّبر الحقيقي يكون متّحدًا وملازمًا للقوَّة، تلك القوَّة التي تحتاج إليها عمليَّة الخلق، فكان

---

[141] هود: 67، 68.
[142] القمر: 42.
[143] الروم: 60.

حقُّ لله على خَلقه توحيده وعبادته، قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّة الْمَتِينُ}[144].

والصَّبور في حق الله له أكثر من دعامة يرتكز عليها، منها:

1- صبره -عزَّ وجلَّ- عن عزٍّ وقدرة مطلقين:

فَصَبر الخالق المطلق على عباده يدعمه العزُّ والقدرة لا الضّعف والحاجة، فما حاجة الله لنا وهو المالك لكلِّ شيء وبأمره (كُنْ) يفعل ما يريد؛ قال تعالى: {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}[145]، فمن يملك كل هذه القدرة بالتأكيد هو بغنى عن كلِّ ما خلق وصوّر، قال سبحانه وتعالى: {لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ}[146]، فبما أنَّه -عزَّ وجلَّ- الغني عنَّا فهو القوي القادر على كلِّ شيء؛ ومن ثمَّ فمن يملك هذه القدرة المطلقة لا يمكن أن يكون صبره عجزًا أو ضعفًا أو حاجةً، فهو المنزَّه عن النَّقائص والعيوب عزَّ وجلَّ، ولا يمكن أن يكون إلَّا الكمال له في ذاته وصفاته.

وعلى الرّغم من قدرته المطلقة فإنَّه صبورٌ على أخطاء عباده مفسحًا لهم المجال للرّجوع عن ذنوبهم والتَّوبة منها؛ إذ إنَّه -عزَّ وجلَّ- لا يمكن أن يظلم أحدًا بسبب خطيئة غيره: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}[147].

2- صبره عن علم لا عن غفلة:

---

[144] الذاريات: 56 - 58.
[145] النحل: 40.
[146] لقمان: 26.
[147] الأنفال: 33.

قال تعالى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ}[148]، فالله تعالى تنتفي عن نفسه صفة الغفلة والنّسيان والتلاهي عن أي أمر، وصبره لا يعني أنَّه غافلٌ عمَّا يفعله العباد، وطول الفترة لا يعني نسيان أمرهم، بل صبره فيه تأخير لهؤلاء البشر؛ وذلك لحكمته المطلقة وعلمه اللذان يقدّمان ويؤخرّان الأمور حسب مشيئته وإرادته عزَّ وجلَّ، فالغفلة تتنافى مع علم الله المطلق بكلِّ شيء، وما صبره المطلق بعباده إلَّا لعلمه المطلق بما هو نافعٌ وضارٌّ بهم: {وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ}[149].

وفي الآيات الكريمات السَّابقات توضيح لعدم غفلة الله بدليل تحضير العقاب المناسب لهم، والذي استحقّوه بظلمهم، فمن كان على علم بالعقاب كيف يكون غافلًا عن العمل المستحقّ لهذا العقاب؟

الله -جل جلاله- بعلمه المسبق والمطلق على علمٍ بكلِّ شيء لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السَّماء؛ لهذا فقد كان جزاؤه وعقابه حاضرين، وهذا يدلُّ على درايته لأصغر وأدق الأمور: {يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ لِّيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ }[150].

---

[148] إبراهيم: 42.
[149] البقرة: 216.
[150] سبأ: 1، 5.

3-صبره -عزَّ وجلَّ-على عباده لا يعني إسقاط العقاب:

العقاب قائم بإذنه تعالى على من يستحقّه كما سبق وأخبرنا الله تعالى بذلك في كثير من الآيات القرآنيَّة الكريمة؛ قال تعالى: {مِنْ قَبْلُ هُدى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآَيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ}[151]، وكذلك قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّنْ نَاصِرِينَ}[152]، **إذن:** فالعقاب قائم رغم عدم وقوعه عليهم في الدُّنيا بصبر الله تعالى عليهم، ولكن هذا الصَّبر لم يكن بمثابة عفوٍ أو إسقاطٍ لهذه العقوبة.

فقد حذّر الله تعالى عباده من العقاب الشَّديد الذي ينتظرهم جزاء ما اقترفوه من ذنوبٍ وشرور وفساد، وهذا تأكيد على أنَّ العقوبة قائمة رغم الصَّبر عليهم، فلا يلغي الصَّبر على كفر الكافرين العقاب الشَّديد، الذي يستحقّونه دون نقصٍ أو زيادة.

بذلك لا بدّ أن نفرّق بين صبر الله تعالى وصبر العباد؛ لأنَّ صبر الصَّبور يكون عن قدرة مطلقة كاملة، وأيضًا لا يكون صبره لقضاء حاجة له عند عبيده في الأرض، وكذلك لا يكون صبره حاملًا الألم والحزن؛ لعدم تمام ما يريد أو تأخيره: {وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُم مِّنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آَخَرِينَ}[153]، أمَّا الإنسان فقد يكون صبره عن ضعف وعدم استطاعة، أو لقضاء غاية والوصول إليها عند غيره من البشر، ويكون في صبره شعورًا

---

[151] آل عمران: 4.
[152] آل عمران: 90، 91.
[153] الأنعام: 33.

يحرّك الألم والحزن في داخله، وقد يؤدِّي به إلى اليأس والإحباط والقنوط.

إنَّ الله الصَّبور هو الصَّبور على الخلقِ جميعًا مسلمهم وكافرهم، عاصيهم ومطيعهم، تائبهم ومذنبهم، فقيرهم وغنيهم، وصحيحهم ومريضهم، وباختلافهم هذا اختلفوا عن بعضهم في الصَّبر الذي استحقّ الثَّواب، وحتى إن كتب عقابًا على أحدٍ فصبره تعالى هو الذي أخّر هذا العقاب الدّنيوي جزاءً لهم على كفرهم وعنادهم، فصبر الصَّبور هنا تمثّل في المنع عن تنفيذ العقاب الفوري لأولئك المخالفين لأمره تعالى.

فعلى خليفة الله أن يكون صابرًا؛ امتثالًا لأمر الخالق في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[154]؛ لأنَّ الصَّبر فيه حكمة التصرُّف والتحكّم في النَّفس؛ ليصل الإنسان إلى أفضل وأسلم النتائج.

لذلك فلا بدَّ لخليفة الله تعالى أن يكون عاشقًا لله مستشعرًا بمكانته عنده، فلا يفرّط فيها ولا يجب يومًا من الأيَّام أن تنقص، بل يجب أن تزيد، ومكانة هذا الخليفة لا تزيد إلَّا بالصَّبر على العمل الصَّالح والطَّاعة لله تعالى وخشيته والإخلاص له والصَّبر على حكمه؛ قال تعالى: {مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ مَنْ عَمِلَ صَالِحا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاة طَيِّبَة وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[155].

والصَّبر ليس شعورًا يزرعه الصَّبور فينا فقط، بل هو منهج حضاري راقٍ يصل بالبشريَّة إلى الهدف الأسمى وهو سيادة المحبَّة والعدل والنّظام وحبّ التحدّي مع وافر الصَّبر في سبيل

---

[154] آل عمران 200.

[155] النحل: 96، 97.

غايات عظيمة لا تكون إلَّا في مرضاة الله تعالى؛ ولهذا يتطلّب من الإنسان أن يتأمَّل في الكون من حوله ليدرك مظاهر الصَّبر الظَّاهرة فيه، فالشّمس مثلًا تشرق رويدًا رويدًا وتغرب كذلك لا عجلة في حركتها، بل تتحرَّك وهي مقدّرة بنظام ودقّة، وكذلك فقد خلق الله السَّماوات والأرض على مراحل وأيَّام ولم يكن خلقها في لحظة مع إمكانيَّة تحقيق ذلك بالنّسبة إلى قدرة الله تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}[156]، وكذلك لو تأمَّلنا إلى خَلق الإنسان نفسه منذ بداية تكوينه **جنينًا** في رحم أمّه، فينمو ساعة بعد ساعة ولا يتم تكوينه في يوم واحد، بل يكون في تكوينه تجسيدًا لنوعين من الصَّبر:

أوَّلهما: صبر الأم تسعة أشهر ممزوجة بالمعاناة والألم والتعب، وكذلك رضاعته لم يجعلها الله أيَّامًا أو ساعات، بل امتدت فسحتها عامين؛ قال تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ}[157].

وثانيهما: صبر يتمثل في تكوين الإنسان نفسه، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا}[158]، إذن فالصَّبر له صور متعدّدة وواضحة في حياتنا

---

[156] الأعراف: 54.

[157] لقمان: 14.

[158] الحج: 5.

فينبغي أنْ لا نغفل عن أهميّة الصَّبر من أجل المأمولات العظيمة.

فوائد الصَّبر عديدة، ومنها:

أ-التحكّم في الشَّهوات:

خَلق الله الإنسان وخَلق فيه الشَّهوة والرَّغبة، وقد تباين البشر في اتباع شهواتهم؛ فمنهم من كان عبدًا لها تأمره فيطيع، لا يستطيع الصَّبر على ما يشتهيه فيسرع إليه دون إعطاء الفرصة لنفسه أن يحاورها عن مدى صحة أو خطأ هذه الطَّاعة لشهوته، فلا يتأنّى ولا يصبر على زينة ومتاع الدُّنيا اللذين من شأنهما أن يدمرا حياته إن لم يكن متحكمًا في أمره وعيًا وصبرًا، قال تعالى: {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنيا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ}[159]، فالشّهوات متعدِّدة في الدُّنيا وكثيرة، وكلّ نوع منها يحتاج إلى إرادة قويَّة يدعمها الصَّبر والجلد، والصَّبر لا يأتي إلَّا بالطّمع فيما عند الله تعالى، ومدّ البصر إلى النّعيم الأخروِي الذي ينتظر الصَّابرين في الدُّنيا والمتمسكين بصبرهم أمام إغراءاتها المتنوّعة، ومع هذا فإنَّ التمتّع بِنعم الدُّنيا في مرضاة الله شيء عظيم: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا}[160].

ولهذا فالخليفة حريصٌ على مرضاة الله في كلِّ أمره، فما بالك بشهواته وكيفيَّة إشباعها؛ وذلك لعلمه بأنَّها خُلقت لكي تكون عونًا للإنسان في نيل رضا ربّ العالمين، ولا تكون فتنةً ودمارًا للإنسان في الدُّنيا والآخرة، فالخليفة المحبّ لله تعالى

---

[159] آل عمران: 14.

[160] القصص: 77.

تجده صابرًا على هذه الزّينة البالية لعلمه بأنَّ صبره عليها هو أكثر فائدة ومتعة من الغرق فيها، والعلم يمنح الإنسان اتساعًا في مداركه وفهمه للأمور، وإذا توصَّل هذا الإنسان للفهم الصَّحيح لأمور دينه ودنياه وصل إلى معرفة قيمة الصَّبر وفائدته العظيمة، التي تجعل منه إنسانًا مترفّعًا عن الرَّذائل، مسيطرًا على نفسه ومعتزًّا بها، فيصل إلى حدود حبّ الله وطلب رضاه وعفوه.

ب-التوكّل على الله واللجوء إليه:

في هذه الحياة الفانية ليس لنا إلَّا أن نقبل بعديد من الامتحانات ونصبر تحديًا لها بمزيدٍ من الطَّاعات، وفي المقابل يظل البعض ضالًّا عنها: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ}[161]، وبالصَّبر على الطَّاعات نستطيع أن نجتاز هذه الامتحانات والابتلاءات، فكثيرًا ما نجد أنَّه في موقف نعيش فيه أشدّ لحظات الحزن بفقد أعزّ النَّاس لدينا، فنشعر بالعجز وعدم القدرة على تحمل الألم وصعوبة الفراق، ولكن على الرّغم من ذلك نجد أنَّنا نتجاوز هذه السَّاعات والأيَّام ونكمل حياتنا العاديَّة، فكيف يحدث ذلك؟

يحدث ذلك بأنَّ الله تعالى خَلق الحزن وخّلق معه الصَّبر وأعطاه لمن طلبه، فمن المستحيل أن يطلب الإنسان العون والصَّبر من الله على ما أصابه ولا يستجيب الله تعالى له، فهو الصَّبور المطلق الذي يهدي صبره لمن يستحقّه ويطلبه، فلا يستعين الإنسان المؤمن بأيّ وسيلة أخرى للنسيان وتجاوز محنته وحزنه وعتقه من الهموم، ونجد الذين يلجئون إلى وسائل أخرى للغرق فيها ونسيان ما هم فيه، كأن يتّجه بعضهم

---

[161] المائدة: 48.

لشرب الخمر، أو تعاطي المخدرات، أو محاولة الانتحار، أو اللجوء للسّحرة والدّجالين؛ لاعتقاد البعض أنَّهم قادرون على التخفيف عنهم؛ فكلّ ذلك لا يعد إلَّا من أشكال البدع والخرافات والفساد والضّياع، ولا أروع من الاحتذاء بالرَّسُول الكريم – صلى الله عليه وسلم- فقد كان دائمَ الطلبِ للصَّبر والعون من الله على ما مرَّ به من صعاب؛ وذلك في سبيل تبليغ رسالته للبشريَّة، فها هو مع صديقه أبي بكر الصّدّيق في غار ثور عندما أوشك المشركون على اللحاق والفتك بهم، فقد استعان بالله وتوكل عليه فألهمه الله الصَّبر والثّبات ونجا منهم، وكذلك في خروجه للطّائف وتحمّله الأذى العنيف من أهل الطّائف لم يكن الرَّسُول مستعينًا إلَّا بخالقه، يتصبر بحبِّه له على ما بلاه، وقد كان الصَّبر أمرًا لازمًا لكلِّ الرُّسُل ليستعينوا به على شدائد الأمور؛ مصداقًا لقوله تعالى: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ}[162].

فلتكن يا خليفة الله في الأرض صابرًا متوكِّلًا على الله الذي لا يمنحك الصَّبر غيره، فممن تطلبه إلَّا منه -عزَّ وجلَّ-الذي جعلك خليفته في الأرض؛ لتصلح فيها ولا تفسد، ولا تسفك الدِّماء بغير حقٍّ، وليس لك إلَّا أن تكون طائعًا في مرضاته.

ج -الصَّبر يأتي بالنَّصر:

بما أنَّ حياة الإنسان فيها من الصِّعاب والامتحانات ما فيها خلق الله الصَّبر ليكون خير ساندٍ لعباده، ولا يكون الصَّبر إلَّا بالحقّ وللحقِّ، فعندما يدرك الإنسان المؤمن أنَّه على حقٍّ يستمدّ قوَّته على التحمل وصبره على الأذى؛ ليقينه بأنَّه على حقٍّ؛ ولهذا فإنَّ الله سينصره ولو بعد حين؛ ولذا فالصَّبر يأتي

[162] الأحقاف: 35.

بالنّصر، أي: في أثناء المواجهات مع أي شيءٍ فلا نصر إلّا مع الصَّبر، والأمثلة على ذلك كثيرة؛ فمن كان يصدق أنَّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والصَّحابة -رضي الله عنهم- سيفتحون العالم وهم قلة وتجلجل دعوته في الآفاق لولا صبرهم على الشّدائد والمصائب كما حدث حينما قام أهل مكَّة بمقاطعة الرَّسُول -عليه الصَّلاة والسَّلام- وإخراجه إلى شعاب مكَّة مع قطع التعامل معهم لسنوات وهم صابرون لم يتراجعوا عن الحقّ المتمثل في الدَّعوة إلى توحيد الله عزَّ وجلَّ، وقد كانت نتيجة صبرهم هو ما نراه الآن من انتشار الإسلام في كلِّ بقاع الأرض وانتصارهم على أولئك الجبابرة المتكبّرين ظلمًا وطغيانًا.

وعلى خليفة الله في الأرض أن يستمدَّ حبَّه لانتصار الحقّ من صبره فيكون بذلك عبدًا صبورًا منتصرًا على الظُّلم والباطل والفساد؛ لأنَّ من شأن الخليفة أن يكون معمّرًا للأرض ولا يتحقّق ذلك إلَّا بانتصار الحقِّ ومغالبة الباطل حتى يقهر، وهذا يتطلب منه الصَّبر الكثير والقرب الشّديد من الخالق العظيم عزَّ وجلَّ.

تجلِّياتُ رحمته تعالى في صبره:

1 - عدم تعجيل العقوبة على العصاة والكافرين:

تبارك في علاه يتجلَّى لنا المعنى العظيم والعميق لهذا الاسم في أنَّه لا يعاجل في عقابه وانتقامه كل مستحقٍ لهما مهما كانت درجة الخطأ والجحود، فقد وصل الأمر ببعض البشر بالتطاول في تشكيكهم في وجوده مثل الملحدين وأصحاب النظريَّات التي تُرجع وجود هذا الكون للطبيعة، وهي منكرة بذلك وجود الخالق عزَّ وجلَّ، والبعض الآخر من العباد الظَّالمين لأنفسهم نسبوا إلى الله -جلَّ جلاله- الأبناء، وافتروا عليه كثيرًا من

الأكاذيب على مرّ الزّمان: {أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلا عَظِيما}[163] ، وكذلك قوله تعالى: {قالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ}[164]، وعلى الرّغم من ذلك فقد أرسل الصَّبور الرُّسُل والأنبياء لهدايتهم وإرجاعهم للحقِّ؛ لكي يصلوا إلى اليقين المثبت في حقّ الله تعالى، مع قدرته سبحانه وتعالى على أن يخسف بهم الأرض في أي وقت، لكنَّه فتح لهم باب التّوبة والتراجع بإعطائهم الفرص المتتالية لإصلاح الأحوال.

ومع أنَّ الخالق عزَّ وجلَّ قادر على أخذ الكفار في أي وقت يشاء فإنَّ حكمته المطلقة ورحمته وصبره عليهم يؤخّر عقابه عنهم في الدُّنيا، ومن يتمادى في كفره فإنَّ عذاب جهنَّم آتٍ، ولن يغفر لهم ولن يعفو عنهم بصبره، بل يمهلهم الوقت فمن رجع للحقّ كان له الفوز والنَّجاة؛ قال تعالى: {وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلا وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدا}[165].

2-خَلقُ الفرص للتَّوبة لمنْ أذنب:

هناك كثير من المسلمين الذين يقترفون الذّنوب والكبائر في حياتهم، ويمضي بهم العمر وهم غافلون عن ضياع حياتهم سُدى، ومع ذلك فإنَّ الرَّحيم بصبره عليهم وعدم تعجيل عقابه لهم على ذنوبهم يمنحهم الفرص المتكررة للتّوبة، والتكفير عمَّا صنعوه: {وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ

[163] الإسراء: 40.
[164] يونس: 68، 69.
[165] الكهف: 58، 59.

الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلا عَظِيما يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفا}[166]، فبصبر الصَّبور المطلق يريد الخالق أن يصحّح مِن سّير المسلمين ويغفر لهم بحبِّه الذي يمنحهم الوقت لمراجعة أنفسهم والعودة لطريق الحقّ والصَّواب، فيأتي صبر الخالق عليهم في مواجهة إغراءات الدُّنيا ووسوسات الشّياطين: {فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[167]. فكم من ناجٍ من العذاب بسبب صبر الله تعالى عليه مانحًا له الفرصة لتغيير مسار حياته أحيانًا بكلمة أو موقف أو فعل أو ابتلاء فينجو من عذاب الحريق بالعودة عمَّا كان فيه والتّوبة من ذنوبه.

3-ضرب الأمثال للعباد بصبر رُسُله:

مِنْ كرمه تعالى على عباده أن أمرهم بالصَّبر علاجًا لما قد يتعرَّض له الإنسان من ضيق وبلاء بأشكاله المتباينة، وقد جعل الله -عزَّ وجلَّ- الرُّسُل -صلوات الله عليهم وسلامه- أمثلة للصَّبر على الابتلاءات والمحن، فما من رسولٍ أو نبيٍّ إلَّا وكان الصَّبر من صفاته، ومن شأن هذا أن يدعّم فينا هذه الصِّفة؛ حيث إنَّ الصَّبر كان وسيلة من ضمن الوسائل التي لجأ إليها المصطفين والأخيار في مشوار دعوتهم ومسيرة تبليغهم لرسالات الخالق تعالى: {وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ}[168]، وقوله تعالى أيضًا: {وَاصْبِرْ

[166] النساء: 27، 28.
[167] المائدة: 39، 40.
[168] النحل: 127، 128.

عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرا جَمِيلا}[169]، وكأن أمر الله بالصَّبر لرُسله علاجًا يتعامل به مع الكفرة والعاصين، وليس مجرَّد توقيت فيه تأخير أو مماطلة، وهو عبارة عن مبدأ اعتمد عليه الرُّسُل والأنبياء فيرتكزون عليه في تحمُّل معاناة تبليغ الرِّسالة لتوحيد الخالق سبحانه وتعالى، ولولا ذلك لما بلغت الدَّعوة إلى توحيد الله هذا المدى بإذنه تعالى، فصبرهم كان سلاحًا قويًّا يدعم شعور الإرادة فيهم نصرًا، وليس بشعور ضعفٍ واستسلام. ونستطيع أن نذكر هنا أنَّ الرِّضا متبادل بين الصَّبور جلَّ جلاله وعباده الصَّالحين، قال تعالى: {لَا تَجِدُ قَوْما يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آَبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}[170]، فهنا يتجلَّى لنا الحبَّ المتبادل، وهو أرقى درجاته وأسمى أنواعه، هذا الحبَّ الخالص الذي لا يمكن لإنسان أن يعبد الله تعالى ويصل بحبِّه له هذه الدرجة من الحبِّ إلَّا وتجد الله تعالى قد أهداه بين جنبيه قلبًا صابرًا على الشَّدائد ومتحدِّيًا للصِّعاب، مما يجعل المؤمن صابرًا لا يتذمر؛ ولذا فإنَّ الله لن يضيع صبره أبدًا: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجنَّة وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ}[171]، من هنا يتَّضح لنا حُبّ الله لعباده الصَّابرين، ومن هنا أيضًا نستطيع أن ندرك مصدر العزَّة التي يتحلَّى بها عباده الصّابرين.

فعلى خليفة الله أن يكون حبَّه لله دافعًا لصبره، محتذيًا بالصَّالحين والأنبياء والرُّسُل من قبله، فلا ينكسر أمام حزنه،

---

[169] المزمل: 10.

[170] المجادلة: 22.

[171] آل عمران: 142.

أو يستسلم أمام فشله، أو يضعف أمام مصيبة أو بلاء قد يحلان به، بل عليه أن يستحضر الصَّابرين في سبيل الله ليشدّ عزَّيمته، وأن يكون على يقين بأنَّ الله يزيد من محبَّته لعباده الصَّابرين، فيكون مضرب مثل بصبره، فلا يستطيع أي كان أن يخترق هذا الحصن المنيع الذي لا يبنيه ولا يعمّره إلَّا الرِّضا والقبول بقدر الله، ولا يأتي هذا الرِّضا إلَّا بحبِّه جلَّ جلاله.

لذلك فخليفة الله هو عنوان الصَّبر في الأرض، يتعامل مع أمور دينه ودنياه بالصَّبر الجميل الذي من شأنه أن ينصره على نفسه أوَّلًا، وثانيًا على مَنْ يحاول أن يؤذيه، فلا يشعر باليأس؛ فيكون ردَّه على هذا الحبّ بالصَّبر الذي يرتضيه الله لخليفته في الأرض؛ ولذا فعلى خليفة الله في الأرض أن يكون معينًا لغيره، وملجأً لهم عند حلول الأزمات؛ ليستشعر غيره بما للصّبر من فضائل وفوائد تعين الإنسان نفسه وتجعله معينًا لغيره.

ومن هنا فالإنسان حينما يصبر على مكروه أو أذى فهو بذلك يسلّم أمره بالكامل لله القوي العزَّيز، وهنا تتجلَّى طاعة العبد لخالقه تعالى، وكذلك لرُسُله وأنبيائه المكلّفين بتبليغ رسالاته للبشريَّة، لما كانوا عليه مِن صبرٍ وحبٍ لله تعالى؛ ويحضرني هنا كمثل لطاعة وحبّ الله والصَّبر على الشدائد قصَّة سيدنا إسماعيل -عليه الصَّلاة والسَّلام- مع أبيه إبراهيم -عليه الصَّلاة والسَّلام- فبمجرد رؤية رآها سيّدنا إبراهيم بأنَّه يذبح ولده بأمرٍ من الله تعالى، وعلى الرّغم مِن حبِّه الشَّديد لابنه إسماعيل فإنَّه أخبره بما رأى وامتثل ابنه لأمر الله، ففي هذا الموقف نستشعر مدى عظمة الصَّبر والتضحية، وعظمة مكافأة الصَّبور لهما جزاء صبرهما على ذلك الأمر؛ قال تعالى: {فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فأنظر مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ

شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ}[172]، فمع أنَّ سيدنا إبراهيم أحبَّ ولده إسماعيل حبًّا كبيرًا، فلإنَّه أحبَّ الله أكثر، فصبر على أمره وأطاعه، وصبر سيدنا إسماعيل على مصيره لعلمه برحمة الله وحبّه، فكان الله رؤوفًا رحيمًا بهما، مكافأً لهما على صبرهما فهو الكريم الذي يجازي الصَّابرين خير الجزاء.

وعلى خليفة الله في الأرض أن يسلّم أمره لله تعالى، ليتعلّم كيفيَّة الصَّبر وتحدّي الصِّعاب؛ لأنَّ نفوسنا البشريَّة أحيانا تخوننا عند حلول الأزمة أو وقوع الكارثة؛ فإن لم يستطع الإنسان الصَّبر فعلى الأقل يجب أن يحاول التصبّر، وأن يدرِّب النَّفس على الصَّبر ويهيئها لتحمل الشَّدائد ومواجهة الصّعاب وكسر قيودها.

وقد حبا الله عباده المتقين بصفة الصَّبر، تلك الصفة النَّبيلة الكريمة التي إذا انغرست في النَّفس البشريَّة تنبت صفة الإيثار والتضحية؛ فالإنسان يصبر أحيانًا على أذى يأتيه من أحبِّ النَّاس إلى قلبه وأقربهم إليه، ويتقبّله برحابة صدر وطيبة خاطر؛ ليعلّم هذا المخطئ أن يكون متسامحًا عطوفًا، فيقابل هو بدوره الأذى بإحسان، فكثيرون منا يسيئون لأقربائهم، وفي المقابل حين يحتاج أولئك المسيؤون للعون يجدون من أساؤوا إليهم يمدّون يد المساعدة والعون لهم على طبق من الحبِّ والتسامح، والأمثلة بين البشر على ذلك كثيرة، فمثلًا أروع ما يمكن أن نضرب به المثل في هذه الحالة هي الأم، فهي تفني أيَّام عمرها وزهرة شبابها في تلبية متطلّبات أبنائها وخدمتهم

[172] الصافات: 102 - 111.

أطفالًا وكبارًا على السَّواء، ولكن في كثير من الأحيان والأحوال يقابل هذا الحبّ والعطاء والتضحية بالنّكران والقسوة والجحود، فيتجسّد الصَّبر على هذا الشّعور في شخص الأم؛ وذلك لاحتمالها هذا الأذى النَّفسي الذي من شأن مثل هذا الرد أن يسبِّبَ صدمةً نفسيّةً عليها، فتصبر الأم وتصبر مع اختلاط صبرها بدعواتها بالخير والصّلاح والهداية له، وأنَّ يرزقه الله ويوفقه ويعطيه من نعمه، فهنا الأم تجسد الصَّبر على شديد الاحتمال وصعب التحمُّل؛ فيصبح الصَّبر هنا قمّة العطاء وقمّة التضحية وقمَّة الرَّحمة الربَّانيَّة.

وعليه: عندما يصبر الإنسان فمعنى ذلك أنَّه قد فوّض أمره لله تعالى وتوكَّل عليه، ومن ثَمَّ فإنَّ الله دون شكّ سيكون عند حُسن ظن عبده به: {بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ}[173].

وقد كان الله صبورًا على أفعال البشر الإيجابيَّة والسَّلبيَّة، فلو أخذنا مثلًا صبره على أفعال عباده الإيجابيَّة لوجدنا أنَّه - عزَّ وجلَّ- يقابل كلّ ما هو طيب صادر عن عباده من قول أو فعل بالجزاء الأوفى؛ قال تعالى: {إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ}[174]، إنَّهُ الدَّرس والعبرة لخليفة الله؛ لكي يصبر ويكون في صبره هذا شكر للمولى عزَّ وجلَّ، فيجتمع هنا الصَّبر مع الشّكر؛ حيث قال الله تعالى: {اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ}[175]، فعلى المستوى البشري العادي أنَّه لمن الصَّعب اجتماع الصَّبر مع الشُّكر في قلب الإنسان العادي، الذي تشغله الدُّنيا؛ فيسعى خلفها لاهيًا غافلًا لا يهمّه إلَّا الحصول على مبتغاه، ولكن عند خليفة الله في الأرض يجتمع الصَّبر مع الشُّكر فيقوى الإيمان؛

---

173 آل عمران: 150.

174 هود: 11.

175 سبأ: 13.

حيث صبر الخليفة على الشّدائد وهو شاكر لله فضله، وبذلك يكون قد نأى بنفسه وارتقى بها إلى أعلى درجات الحبِّ والطَّاعة للخالق تعالى، وهذا الأمر الذي يشقّ على كثير من المسلمين.

وهناك نوع من الصَّبر يكون مصحوبًا بالتذمر والضّيق، أي يكون على عدم رضا من الإنسان فيضيق صدره بما حلَّ به أو نقص عليه، فتراهم لا يحتملون الشّدائد ولا يقبلون بتحدّي الصّعاب ولا المحن التي من الطَّبيعي أن يمر بها النَّاس في حياتهم الدُّنيا.

وقد خصَّ الله تعالى الصَّابرين الرَّاضين والمطيعين بمزايا، منها:

1- ينزّل الله رحمته عليهم فيصيبهم بالأمن والطّمأنينة؛ قال تعالى: {الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّنْ رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}[176]، فرحمة الله تعالى تكون بمثابة الطمأنينة والسَّكينة التي تسكن قلوب الصَّابرين حبًّا في الله.

2- استحقاق البُشرى: فبصبرهم استحقوا بشراه كهدية لهم جزاء صبرهم؛ قال تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ}[177]، فطوبى لمن استحق بشرى الخالق جلَّ جلاله؛ لما فيها من مكرمة ورفعة للإنسان عند ربّه، فالصَّبور لا يمنح بشراه إلَّا لأقرب عباده وأخلصهم طاعة.

3- مدُّ الله الصَّابرين بالعون والمساعدة؛ قال تعالى: {وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ

---

[176] البقرة: 156، 157.
[177] البقرة: 155.

اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنيا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}[178].

4- الجزاء الكبير المجزي: فقد خصَّ الله تعالى عباده الصَّابرين بالجزاء العظيم؛ قال تعالى: {مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}[179].

5- تعليمهم الدُّعاء: كونه مرتبط بالاستجابة؛ قال سبحانه وتعالى: {وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صبرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ}[180].

6- زرع الطّمأنينة في قلب الصَّابر: الإنسان بطبيعته عجول لا يحب الانتظار ولا يطيق أن يطول به الوقت عند عزمه على قضاء أمرٍ ما، وبطبيعته أيضًا فأنَّه مخلوق لا يهدأ ولا يستكين بسهولة، ولا تنقطع متطلباته في الدُّنيا، فلا يقتنع بأي شيء ولا يرضى بأي حال؛ قال تعالى: {إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعا}[181]، لكنَّ المؤمن الحقّ ليس من صفاته اليأس والقنوط، فالله تعالى يهبه الصَّبر والرّضا ويملأ فؤاده بالطّمأنينة؛ التي يبحث عنها ملايين النَّاس الذين شغلتهم الحياة الدُّنيا على حِساب الحياة العليا.

وعليه فعلى الخليفة أن يكون صبره لشيئين:

---

178 آل عمران: 146 - 148.
179 النحل: 96.
180 الأعراف: 126.
181 المعارج: 19 - 21.

1 - عمَّا يحب ويرغب.

2 - عمَّا يبغض ويكره.

ولا شكَّ أنَّ الفرق كبير بين النَّوعين؛ لأنَّ الصَّبر عمَّا نحب يستوجب منَّا جهدًا نفسيًّا شديدًا وجهادًا صعبًا لا يحتمله إلَّا أصحاب القلوب الشَّديدة الإيمان والمطواعة لله جَّل جلاله، كأن يصبر المؤمن على فقدان أعزَّ أحبابه سواء بالموت أو حتى في الحياة، وهناك النَّوع الآخر من الصَّبر وهو الصَّبر على ما نكره؛ إذ لا خيار لنا إلَّا الصَّبر كأن نصبر مثلًا على المرض والنّقص وغيرهما، ولا يمكن للخليفة في الأرض أن يسلك طريق الجنَّة بسهولة ويسر؛ ذلك لأنَّ طريقها مليء بالشّدائد والمصاعب والابتلاءات، فالمحبّ لهذه الجنَّة ومن يرغب في الوصول إليها منحه الله الصَّبر على تخطي هذا الطَّريق.

ومن مزايا الصَّبر إذا انغرس في نفس المؤمن أن يجعله متوكّلًا على الله وحده، الذي لا يخيّب ظنّ عباده به، فهناك رابط بين الصَّبر والتوكّل على الصَّبور المطلق؛ إذ إنَّه سبحانه وتعالى وكيلنا ولا وكيل لنا غيره: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاس إِنَّ النَّاس قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ}[182]، فهو سبحانه وتعالى وليّنا ووكيلنا الذي نوكله بكلِّ أمورنا ونحن مطمئنّون وراضون بحكمه وقضائه، ولو أنَّ كلّ مسلم وكَّلَ أمرهُ للخالق، وفي الوقت نفسه بذل كلّ طاقاته في الحياة سعيًا وعملًا نافعًا؛ فبالتأكيد سيمدّنا الصَّبور المطلق بالنَّجاح والأمل والفرج من كلِّ ضيق؛ ولذلك وجب الصَّبر على العمل وتحدّي الصّعاب التي لا تصمد أمام متحدّيها؛ قال تعالى: {وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا

[182] آل عمران: 173، 174.

شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}[183]، العجول دائمًا قلق؛ ولهذا لا يدرك الأمور كما هي عليه، سريع التصرّف؛ ولهذا لا يحسنه، فكثير من الأمور تحتاج إلى تأنٍّ وصبر؛ وذلك لأجل التدبُّر الحسن والتصرّف الأحسن؛ ولهذا قال تعالى: {وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ} فالذي يكرهه البعض بأسباب الاستعجال والقلق، قد يكون فيه الخير الكثير؛ ولذا قال: {وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ} أي: لماذا هذا الاستعجال الذي بأسبابه قد تُضيِّع ما هو أهم.

وقوله تعالى: {وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ} أي: ليس دائمًا كلّ ما تحبّونه نافع ومفيد، فقد يكون المحبوب فاسدًا أو يؤدِّي إلى المفاسد، وقد يكون شرًّا وأنتم بحكمكم المستعجل ظننتم أنَّه محبَّب ومفضَّل؛ ولهذا فتبيّنوا قبل أن تقرّروا.

وعليه: فالصَّبر هو مفتاح التَّحدِّي الممكِّن من إحداث النُّقلة والرِّفعة والنُّهوض من أجل مأمولاتٍ منتظرةٍ ومستقبلٍ زاهرٍ.

وعليه: أود أن أقول للقرَّاء الكرام وأهل العقول: إنَّ هذا المؤلَّف هو رقم (205)، وهذه المؤلَّفات لو لم يكن فضل الصَّبور -جلَّ جلاله- عليَّ كبيرًا ما بلغت هذا العدد من المؤلَّفات التي من بينها سبع موسوعات كبيرة؛ ولذا فالصَّبر على العمل مداومة لا شكَّ أنَّه كما يقولون يفلّ الحديد: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}[184].

فالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ على صبره علينا، ومعيَّته التي جعلتنا نتحدَّى الصِّعاب صبرًا، ونقهرها في مجالات تخصّصنا واهتمامنا مؤلَّفًا من بعد مؤلَّفٍ، وما تبقَّى منها وفقًا لاهتمامنا

[183] البقرة: 216.

[184] البقرة: 153.

أمام ما تبقَّى من العمر؛ سيقهر بعزّة الله الصَّبور أمام استعانتنا به صبرًا وصلاةً في مرضاته.

والحمد لله ربِّ العالمين.

2024م

المؤلِّفُ في سطورٍ

ـ أ د. عقيل حسين عقيل

ـ مواليد ليبيا 1953م

ـ بكالوريوس آداب 1976م بدرجة الشّرف الترتيب الأوَّل جامعة الفاتح (طرابلس).

ـ معيد بكليَّة التربية طرابلس قسم الخدمة الاجتماعيَّة 1977م

ـ ماجستير تربية وتنمية بشريَّة، الولايات المتحدة الامريكيَّة (جامعة جورج واشنطن) 1981م مع درجة الشّرف.

ـ دكتوراه في الخدمة الاجتماعيَّة 1992م.

ـ أستاذ بجامعة الفاتح كلية الآداب (طرابلس).

ـ شغل منصب أمين عام اتحاد الطلبة بمحافظة سبها 1970 – 1972م.

ـ شغل منصب أمين تعليم بلدية طرابلس (1986 ـ 1990).

ـ انتخب من قبل مؤتمر الشّعب العام مفتشا عامًّا لقطاع الشؤون الاجتماعيَّة، ثمّ كلِّف بالتفتيش على وزارتي التعليم العام والتعليم العالي 2006م.

ـ شغل منصب أمين التعليم العالي (وزيرًا) 2007 - 2009م.

ـ انتخب أمينًا عامًّا للتنمية البشريَّة بأمانة مؤتمر الشّعب العام 2009م.

ـ صدر للمؤلّف 92 بحثا نشرت داخل ليبيا وخارجها.

ـ صدر له (205) مؤلّفا منها سبعة موسوعات.

ـ أشرف وناقش 83 رسالة ماجستير ودكتوراه.

ـ مجالات اهتمام المؤلف البحثيَّة:

1 ـ الخدمة الاجتماعيَّة والتنمية البشريَّة.

2 ـ طرق البحث الاجتماعي.

3 ـ الفكر والسياسة.

4 ـ الإسلاميات.

5 ـ الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية والتركية.

الموقع الإلكتروني: (موقع الدكتور عقيل حسين عقيل)

أو: https://draqeel.com/

صدر للمؤلّف

صدر للمؤلّف الدّكتور عقيل حسين عقيل: 92 بحثا نشرت داخل ليبيا، وخارجها.

صدر له (205) مؤلّفا منها: سبعة موسوعات، وهي:

1 ـ الموسوعة القِيميَّة لبرمجيَّة الخدمة الاجتماعيَّة (4 مجلَّدات)، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

2 ـ موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض (11 مُجلَّد)، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2009م.

3 ـ موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن (9 مجلَّدات)، المجموعة الدوليَّة للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

4 ـ موسوعة الأنبياء من وحي القرآن (12 مجلَّد)، المجموعة الدوليَّة للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

5 ـ الموسوعة من قيم القرآن الكريم (13 مجلَّد)، شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

6 ـ موسوعة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة (27 مجلَّد)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

7 ـ موسوعة الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (18مجلَّد).

أشرف، وناقش 83 رسالة ماجستير، ودكتوراه بالدَّاخليَّة والخارج.

ـ مجالات اهتمام المؤلف البحثيَّة:

1 ـ الخدمة الاجتماعيَّة، والتنمية البشريَّة.

2 ـ طرق البحث الاجتماعي.

3 ـ الفكر والسِّياسة.

4 ـ الإسلاميَّات.

5 ـ الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلَّفات باللغة الإنجليزيَّة، والتركيَّة.

صدر للمؤلِّف

صدر للمؤلّف الدّكتور عقيل حسين عقيل: 92 بحثا نشرت داخل ليبيا، وخارجها.

صدر له (205) مؤلّفا منها: سبعة موسوعات، وهي:

1 ـ الموسوعة القِيميَّة لبرمجيَّة الخدمة الاجتماعيَّة (4 مجلَّدات)، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

2 ـ موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض (11 مُجلَّد)، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2009م.

3 ـ موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن (9 مجلَّدات)، المجموعة الدوليَّة للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

4 ـ موسوعة الأنبياء من وحي القرآن (12 مجلَّد)، المجموعة الدوليَّة للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

5 ـ الموسوعة من قيم القرآن الكريم (13 مجلَّد)، شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

6 ـ موسوعة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة (27 مجلَّد)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

7 ـ موسوعة الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (18مجلَّد).

أشرف، وناقش 83 رسالة ماجستير، ودكتوراه بالداخل والخارج.

ـ مجالات اهتمام المؤلف البحثيَّة:

1 ـ الخدمة الاجتماعيَّة، والتنمية البشريَّة.

2 ـ طرق البحث الاجتماعي.

3 ـ الفكر والسِّياسة.

4 ـ الإسلاميَّات.

5 ـ الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلَّفات باللغة الإنجليزيَّة، والتركيَّة.

المؤلَّفاتُ المنشورة

1 ـ مستوى التحصيل العلمي بمرحلة التعليم المتوسط، طرابلس ليبيا، 1989م.

2 ـ الأصول الفلسفيَّة لتنظيم المجتمع، منشورات جامعة طرابلس، ليبيا، 1992م.

3ـ فلسفة مناهج البحث العلمي، منشورات الجأ، 1995م.

4 ـ منهج تحليل المعلومات وتحليل المضمون، منشورات الجأ، مالطا، 1996م.

5 ـ سيادة البشر دراسة في تطور الفكر الاجتماعي، منشورات الجأ، مالطا، 1997م.

6 ـ المفاهيم العلميَّة دراسة في فلسفة التحليل، المؤسسة العربيَّة للنشر وإبداع، الدار البيضاء، 1999م.

7 ـ البُستان الحُلم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1999م.

8 ـ التصنيف القيمي للعولمة، منشورات الجأ، مالطا، 2001م.

9 ـ الدِّمقراطيَّة في عصر العولمة (كسر القيد بالقيد)، دار الجأ، مالطا،

2001م.

10 ـ نشوة ذاكرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004م.

11 ـ خماسي تحليل القيم، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

12 ـ منطق الحوار بين الأنا والآخر، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

13 ـ خدمة الفرد قيم وحداثة، دار الحكمة، 2006م.

14 ـ خدمة الجماعة رؤية قيميَّة معاصرة، دار الحكمة، 2006م.

15 ـ البرمجيَّة القِيميَّة لمهنة الخدمة الاجتماعيَّة، الدار الدوليَّة للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

16 ـ البرمجيَّة القِيميَّة في طريقة تنظيم المجتمع، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

17 ـ البرمجيَّة القِيميَّة في طريقة خدمة الجماعة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

18ـ الموسوعة القِيميَّة لبرمجية الخدمة الاجتماعيَّة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

19 ـ البرمجيَّة القِيميَّة في خدمة الفرد، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

20 ـ مفاهيم في استراتيجيات المعرفة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

21 ـ المقدمة في أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، بيروت ـ دمشق، 2009م.

22 ـ موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2009م.

23 ـ ألستم من آل البيت، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

24 ـ مختصر موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

25 ـ خطوات البحث العلمي (من تحديد المشكلة إلى تفسير النتيجة)، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

26 ـ قواعد المنهج وطرق البحث العلمي، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

27 ـ أسماء حُسنى غير الأسماء الحسنى، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

28 ـ آدم من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

29 ـ نوح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

30 ـ إدريس وهود وصالح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

31 ـ إبراهيم وإسحاق وإسماعيل ولوط من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

32 ـ شعيب من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

33 ـ يعقوب ويوسف من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

34 ـ داوود وسليمان من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

35 ـ يونس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

36 ـ أيوب واليسع وذو الكفل وإلياس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

37 ـ موسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

38 ـ عيسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

39 ـ محمَّد من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

40 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، آدم ونوح، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

41 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، ادريس ويعقوب ويوسف، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

42 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، أيوب وذو الكفل واليسع والياس، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

43 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، موسى وهارون وعيسى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

44 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، يونس وزكريا ويحيى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

45 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولوط، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

46 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، هود وصالح وشعيب، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

47 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، داوود وسليمان، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

48 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، النبي محمَّد، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

49 ـ موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

50 ـ موسوعة الأنبياء من وحي القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

51 ـ التَّطرُّف من التهيّؤ إلى الحلّ، المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

52 ـ ألسنا أمة وسطا، ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2011م.

53 ـ المنهج وطريقة تحليل المضمون، ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2011م.

54 ـ الإرهاب (بين قادحيه ومادحيه) المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

55 ـ الخوف وآفاق المستقبل، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2011م.

56 ـ سُنن التدافع، شركة الملتقى للطباعة وانشر للطباعة والنشر، بيروت: 2011م.

57 ـ خريف السُّلطان (الرَّحيل المتوقَّع وغير المتوقَّع) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

58 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم إقداميّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

59 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم تدبُّرية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

60 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم وثوقيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

61 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم تأييدية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

62 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم مناصرة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

63 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم استبصارية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

64 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم تحفيزية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

65 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم وعظية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

66 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم شواهد) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

67 ـ من قيم القرآن (قيم مرجعيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

68 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم تسليمية) شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

69 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم تسامح)، شركة الملتقي للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

70 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم تيقُّنيّة)، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

71 ـ الرَّفض استشعار حرية، دار الملتقى، بيروت، 2011م.

72 ـ تقويض القيم (من التكميم إلى تفجّر الثورات)، شركة الملتقى، بيروت، 2011م.

73 ـ ربيع النَّاس (من الإصلاح إلى الحلّ) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011م.

74 ـ موسوعة القيم من القرآن الكريم، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2012م

75 ـ أسرَّار وحقَّائق من زمن القذافي، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ودار المختار طرابلس، 2013م.

76 ـ وماذا بعد القذافي؟ المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

77 ـ ثورات الرّبيع العربي (ماذا بعد؟) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

78 ـ العزل السّياسي بين حرمان وهيمنة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

79 ـ السياسة بين خلاف واختلاف، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 3014.

80 ـ الهويّة الوطنيَّة بين متوقَّع وغير متوقَّع، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014.

81 ـ العفو العام والمصالحة الوطنيَّة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

82 ـ فوضى الحلّ، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

83 ـ بسم الله بداية ونهاية، القاهرة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، 2015.

84 ـ من معجزات الكون (خَلق ـ نشوء ـ ارتقاء)، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016م.

85 ـ مقدّمة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

86 ـ موسوعة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

87 ـ آدم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

88 ـ إدريس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

89 ـ نوح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م 89 ـ

90 ـ هود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

91 ـ صالح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

92 ـ لوط من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

93 ـ إبراهيم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

94 ـ إسماعيل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

95 ـ إسحاق من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

96 ـ يعقوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

97 ـ يوسف من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

98 ـ شعيب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

99 ـ أيوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

100ـ ذو الكفل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

101 ـ يونس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

102 ـ موسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

103 ـ هارون من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

104 ـ إلياس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

105 ـ اليسع من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

106 ـ داوود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

107 ـ سليمان من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

108 ـ زكريا من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

109 ـ يحيى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

110 عيسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

111 ـ محمّد من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

112 ـ الدّعاء ومفاتيحه، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2017م.

113 ـ صُنع المستقبل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

114 ـ الفاعلون من الإرادة إلى الفعل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

115 ـ مبادئ التنمية البشريَّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

116 ـ من الفِكَر إلى الفِكْر، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

117 ـ التهيؤ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

118 ـ منابع الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

119 ـ الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

120 ـ المبادئ الرئيسة للسياسات الرّفيعة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2018م.

121 ـ تحدّي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

122 ـ الواحدية من الخلق إلى البعث، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

123 ـ مبادئ تحدي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

124 ـ المعلومة الصَّائبة تصحح الخاطئة (من الخوف إلى الإرهاب) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

125 ـ الممكن (متوقَّع وغير متوقَّع) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

126 ـ مبادئ فكّ التَّأزُّمات، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

127 ـ الأهداف المهنيَّة ودور الأخصائي الاجتماعي، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

128 ـ تصحيحا للمفاهيم (فاحذروا)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

129 ـ العدل لا وسطية ولا تطرف، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

130 ـ غرس الثِّقة (مبدأ الخدمة الاجتماعيَّة)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

131 ـ مفاهيم الصَّلاة والتسليم على الأنبياء، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2018م.

132 ـ الخدمة الاجتماعيَّة (قواعد ومبادئ قيميَّة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

133 – كيفيَّة استطلاع الدراسات السَّابقة مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

134 – الخدمة الاجتماعيَّة (تحليل المفهوم ودراسة الحالة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

135 – الخدمة الاجتماعيَّة (مبادي واهداف قيميَّة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

136 – الخدمة الاجتماعيَّة (مفاهيم مصطلحات)، مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

137 – التنمية البشريَّة (كيف تتحدّى الصّعاب وتصنع مستقبلًا)، مكتبة القاضي، القاهرة، 2018م.

138 - مبادئ الخدمة الاجتماعيَّة (تحدّي الصّعاب وإحداث النُّقلة) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

139 _ الإرهاب بين خائف ومخيف، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

140 _ التَّطرُّف من الإرادة إلى الفعل، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

141 _ البحث العلمي (المنهج والطَّريقة) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

142 _ العدل ينسف الظُّلم، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

143 _ تقويض الإرادة، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

144 _ القوَّة تفكّ التَّأزُّمات، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

145 _ إحداث النُّقلة تحدٍّ، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

146 _ نيل المأمول قمَّة، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

147 _ نحو النظريَّة خلقا، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

148 _ نحو النظريَّة نشوء، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

149 _ نحو النظريَّة ارتقاء، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

150 – الخلاف (في دائرة التَّاريخ) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

151- القواعد المنهجية للباحث الاجتماعي والقانوني، القاهرة: دار القاضي، 2220.

152 – قواعد البحث للعلوم الاجتماعيَّة والإنسانيَّة، 2020م.

153 – خطوات البحث العلمي وصناعة الأمل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

154 – المنهج العلمي وإحداث النُّقلة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

155- دراسة الحالة ودور الأخصائي الاجتماعي، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

156- قواعد البحث العلمي وصنع المستقبل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

157- وسائل التأهب للبحث العلمي، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

158- حلقات صناعة المستقبل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

159- أمحمَّدٌ أميٌّ، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

160- طرق البحث العلمي ونيل المأمول، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

161- الطَّريقة العلميَّة لتحليل مضمون القيم، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

162-كسر الوهم، القاهرة: مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

163- معجزات وبعضها من بعض، المصرية، القاهرة: 2022م.

164 ـ أيد السارقِ تقطع، المصرية، القاهرة: 2022م.

165 – العقل من اللاشيء إلى الشَّيء دراية، مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

166 – النُّقلة من التكيف إلى التوافق، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

167 – أوهام الأنا (اللاهويَّة)، مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

168 – استرداد السِّيادة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م

169 - موت الموت، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

170 – العقل قيد (من الأمّية إلى الاستنارة)، مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

171 – الرِّجال القوامة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

172- الدِّراية من الأمر إلى الطاعة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

173- النشوز والقيم القوَّامة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

174 – استطلاع الدراسات السَّابقة (من حيرة الباحث إلى نيل المأمول)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

175 – الخدمة الاجتماعيَّة الناهضة (قواعد ومبادئ)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

176 – الخدمة الاجتماعيَّة الناهضة، (غرسُ ثقة، تحدّي صِعاب، إحداثُ نُقلة)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

177 – الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (الدَّور المهني للأخصائي الاجتماعي)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

178 – الخدمة الاجتماعيَّة النّاهضة (من التكيُّف إلى صنع الأمل)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

179 – الخدمة الاجتماعيَّة النّاهضة (مجالاتها عمليَّاتها وسائلها)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

180 – الشَّخصيَّة (من الترجّي إلى التحدي)، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

181 – الشَّخصيَّة الليبيَّة، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

182 – الشَّخصيَّة المتهيّأة، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

183 – الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (دراسة الحالة من النشوز إلى قطع اليد)، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

184 – الشَّخصيَّة المتأهِّبة، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

185 – الانحراف من النّشوز إلى الضَّرب، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

186 – التدبُّر، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

187 – التفكير (من التذكُّر إلى التَّفكُّر)، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

188 – الاستنارة (من الاستظلام إلى الاستجلاء)، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

189 – الخدمة الاجتماعيَّة الناهضة (من إنجاز الأهداف إلى نيل المأمولات)، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2023م.

190 – الخدمة الاجتماعيَّة الناهضة (المستويات القِيميَّة للتحليل العلمي)، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2023م.

191- الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (الأهداف المهنيَّة وإحداث النُّقلة)، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2023م.

192 – الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (تحدي الصِّعاب يمكن من بلوغ الغايات)، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2023م.

193 – الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (من الإرادة إلى تفعيل المشاركة)، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2023م.

194 – الخدمة الاجتماعيَّة الناهضة (التطرف بين المعلومة الخاطئة والمعلومة الصَّائبة)، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2023م.

195 – الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (كيف تصنع أملا)، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2023م.

196 – الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (الخوف استطلاع مستقبل من التذكُّر إلى التَّفكُّر)، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2023م.

197 – الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (مجالات مهنة واستنارة عقل)، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2023م.

198 – الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (المبادئ القِيميَّة لرعاية الأفراد وتنظيم المجتمع)، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2023م.

199 – الخدمة الاجتماعيَّة الناهضة (طرق متساندة مترابطة)، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2023م.

200 – موسوعة الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2023م.

201 ـ الشَّخصيَّة الوطنيَّة الليبيَّة (سيادةً وهويَّةً)، دار النخلة للنشر، طرابلس: 2023م.

202 ـ أرسول ويغزو؟!، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة: 2024م.

203 ـ الخلق من العدم إلى الاستخلاف، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة: 2024م.

204 ـ الفضائل مصادر النِّعم، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة: 2024م.

205 – الصّبر مفتاح التحدّي، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة: 2024م.